

# من آدم إلى حواء

مؤمنة محمود



من آدم إلى حواء

الجزء الثاني

مؤمنة محمود

رسائل واقعية

تدقيق لغوي: راما محمد

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٤٥٦٦



الإهداء

إلى ذلك الشخص الذي أطلق العهود مراراً بالأل يغيب

فغاب..

أين أنت الآن؟



لستُ كاتباً

ولكن..

حين ألمحُ عينيكِ يتدفَّقُ إلهامُ الكتابةِ شللاً غزيراً من الإبداع..

لستُ كاتباً

ولكن..

كُرمي لكِ سأتقنُ ما لم أحلمُ به يوماً..

كُرمي لكِ أنتِ فحسب

سأبدعُ مع أني لستُ بكاتب..



## أميرة قلبي

أحببتك فمحتك القلب والروح..

عشتك

فأخلصت في العشق والغرام..

أهفو إلى لقائك في أحلك لحظات عمري وأجملها..

فليشهد الكون بأكمله أنني دونك أندثر وأنتهي

وأشيخ وأختفي..

أحبك

وبك أعيثُ الوله وأكتفي

فأنت ربيع القلب وديمومته..

خذيني واسرقيني أبعد من الخيال

فلن أنوح ولن أشتكي..



أجملُ حبُّ هو حبُّ الرُّوحِ..

حبُّك لروح شخصٍ ما سيلازمُك العمرَ كلَّهُ

هو مميّزٌ

لا يُشبهُ عشقَ الوجوه التي تملؤها التَّجاعيدُ بمرور السنين

ولا حُبَّ التَّعوُّد الذي تملُّ منه مع الأيامِ..

إنَّما هو حبُّ أعمقُ من كلِّ حبٍّ..

عندما أحببتُ روحكِ كان صعباً عليَّ أن أراها في غيرك

فروحكِ نادرةٌ لا تتشابهُ مع أيِّ روحٍ أُخرى، وليس لها من بديلٍ..



كُرمى لكِ

حواء

تفوّقتُ بالغرام.. وأبدعت..

كُرمى لكِ

استنبطتُ الحبَّ من عالم الخيال..

ابتدعتُ كلماتِ العشقِ الخالدة

كلماتِ العشقِ الأربعِ والعشرين..

ومع ذلك لم أوفكِ حقَّكِ في الغرام..



في لحظةٍ واحدةٍ قصيرةٍ وغريبةٍ غيرتني مئة  
درجة، حوّلتني من كائنٍ عاديٍّ لا يهتمُّ بما يدور حوله إلى كائنٍ  
فضوليٍّ مُتطفّلٍ باحثٍ عن حكايا الغرام. في اللّحظة التي عانى  
فيها ملايينُ الأشخاصِ الفراقَ وحُرقتَه، الشّوقَ والحنينَ وأرقَ  
الحبِّ وسُهادَه، وجدتُ حبَّ عمري مُتخفياً بين أروقة الكتبِ  
ودهاليز الورق. في تلك اللّحظة بالذات دخلتُ عالم الحبِّ،  
فاستضاء لي الكونُ بنوره مرحّباً بي بين العشّاق والمحبيّين، أنا  
الرّجلُ المكابرُ الذي شارف الخمسين من عمره وجدتُ حبّاً لطيفاً  
مليئاً بالبراءة والنّقاء.

حينئذٍ أشعلتُ حواسّي جميعها لتلاحقك وتتابع آخر أعمالك  
الأدبيّة. يا صبيّةً في الثلاثين من عمرها، كنتِ تشعّين حماساً  
وبهجة، وها قد أشعلتِ بعفويّةٍ جمرة حبّي وفؤادي الذي هام بكِ  
دون أن ترأفي بحاله.

أتذكرين ذلك؟

حينئذٍ لم يكن لي وجودٌ يُذكرُ في حياتك. كنتِ تعيشين حياتكِ  
عابثةً بالأقدار غير أبهةٍ بأيِّ رجل. أمّا أنا فقد بدأت نشوةَ الحبِّ  
عندي قبل معرفتكِ معرفةً حقيقيَّةً، بل عرفتكِ من منشوراتكِ  
العنصريَّةِ النَّائرة ضدَّ الرِّجال، ورسمتُكِ في الخيالِ حوريَّةَ بحرٍ  
صغيرةٍ وأميرةً في قصرٍ كبيرٍ.

أحببتُكِ قبل عامٍ أو ربَّما أكثرَ بقليلٍ من خلال صفحات التَّواصلِ  
الاجتماعيِّ الزَّرقاء، كنتِ تكتبين بانفعالٍ عن مكر الرِّجال، لم  
ألمحه لكنِّي شعرتُ به. أنثى شرسةٌ ضدَّ الذُّكور كنتِ، وكنتِ  
حينها تصرخين بملء فيكٍ من على المنبر الأزرق بأنَّ الرِّجل  
ذكوريٌّ مُتخفِّفٌ لا يستحقُّ العيش على كوكبنا النَّظيف؛ إذ لا يهْمُهُ  
من الحياة سوى شهوته الذُّكوريَّة المرتبطة بعقله المحشوِّ قرنيبيط.  
لا يعرفُ الحبَّ؛ لأنَّه لا يملكُ قلباً بل عقلاً فارغاً.

تابعتكِ بصمتٍ، عزيزتي، وأدركتُ أنَّ وراءكِ بحرٌ متلاطمٌ  
الأمواج وسماءٌ ملبَّدةٌ بغيوم الخيانات، لكنَّ الرِّجال يختلفون  
كاختلاف النَّسوة عن بعضهنَّ، وأنتِ لم تفهمي ذلك أبداً.

تكتبين بقهر أنثى عانت غدراً وظلماً، حاقدةً على صنف الرجال  
كنتِ، فلا تطيقين نقاش أحدهم بتاتاً.

سألتُ نفسي:

"من هذه؟ وما خطبُها؟"

اسمحي لي أن أشاركك القهرَ الكبير، فأنا مثلكِ أعاني الوحشة  
والفراغ، لا أنيس لديّ سوى منشوراتكِ الزرقاء. قد خطوتُ أوّل  
خطواتي في درب حبِّكِ، وكانت الأرضيةُ مفترشةً بورد اللّيلك،  
وعلى جانبيه تموضع اللّافندر وهو يُدندنُ الحبَّ ويُغنيهِ. زيّن لي  
الكائنُ الأزرقُ طريقَ الحبِّ، ولكن ليّنتني ما مشيتُ به. بدأتُ  
أرسمكِ في خيالي كما يحلو لي وكما يليقُ بكِ، بينما أنتِ تعبثينَ  
بالحياة دون أن تعرفي أنّ هناك من يخيّطُ حكايا الحبِّ معكِ  
ويُفكّرُ بكِ طوال اللّيل والنّهار، وفي الوقت الذي كنتِ على  
فراشكِ تبكين غدر آدم وخيانتَه كنتِ أتمنّى محادثتكِ، أتمنّى أن  
تُرحّبي بحبّي لكِ وودّي.

بحثتُ عنكِ كثيراً. أردتُ معرفة الكثير عنكِ؛ إذ كان لديّ نهمٌ شديدٌ لمعرفةكِ عن قرب، وكان ثمّة سؤالٌ ظلّ يراودني:  
"ماذا تُخبئين في جعبتكِ من رواياتٍ مختزنةٍ في أعماقِ ذاكرتكِ؟".

وجدتُ صفحتكِ الزرقاء فأعجبتُ بها، لمحتُ فيها روايتكِ الجديدة، حملتها على جهازِي وسارعتُ لقراءتها طوال يومين متعاقبين، اللّيل مع النّهار قد تكاتفا حتّى أنهيتها سريعاً، وذبتُ في حبّكِ أكثر فأكثر، وفي كلّ مشهدٍ كنتُ أراكِ تلعبين أمامي وترقصين، تمارسين دور الحبِّ بإتقان.

أمّا أنا فمن أكون؟

أنا بطل روايتكِ الجديدة، فهياً نلعب ونكتب ونمارس الحبّ معاً. أنهيتُ الرواية وكأنّها كتبت لي، صرختُ بعد إتمامها وجدتُ الحبّ أخيراً، الحبّ الذي طالما حلمتُ به. هنا على جدار قلبي رسمتُ قلباً فارغاً منذ زمنٍ بعيد، عاهدتُ نفسي أن أملاه بالحبّ

الذي أشتهيه، كان فارغاً دونكِ واكتفى بك. أعيديني إلى الحياة يا  
صغيرتي، اجعليني خالداً، لا تقصّي جناحيّ؛ فأنا أريدُ الطيران  
بكِ إلى عالمٍ واقعيّ ليس فيه خيالٌ أو سرابٌ، ليس فيه جزءٌ من  
أوهام وأحلام. روايتكِ كانت تتحدّثُ عن حبيّ لكِ وكأنّك تنبأتِ  
بما سيحصل، مليئةً بالعشق الذي به ارتويت.

أستطيعُ الاعتراف بحبّك، ولا أخجلُ من ذلك بتاتاً، فما أجملك! ما  
أجملَ كلماتك! أنتِ مبدعةٌ في وصف الحبّ، لكنّك فاشلةٌ في  
الحبّ ولستِ بارعةً فيه. أرسلكِ الله إليّ على هيئة ملاكٍ بريءٍ،  
فساعديني لنحقّقَ حلماً في بيتٍ يأوينا ويجمعنا.

عشقك من روايةٍ لم تُكتب لي ومن حروفٍ لم تُنشأ لي، همتُ بكِ  
وأنتِ لا تعرفين شيئاً عني، ولا تعرفين من هو هذا العاشقُ  
الولهان.

باتت لياليّ مرتبطةً بكِ وحدك، كم مرّةٍ حلمتُ بكِ!

أه.. ليالٍ كثيرة لا أحصيها، جميعها تُطالبُ بكِ زوجةً لي في  
الحلال، فأنا أبغضُ الحرام وأمقتُهُ يا أميرة القلب الجريح.

سرقَتِ لبَّ عقلي، فازدحمَ بكِ. رحْتُ أبحثُ عنك كثيراً في  
الصَّفحاتِ الزَّرقاءِ سواء كنتُ في عملي أو بيتي أو سيَّرتي.  
أصبحتِ شغلي الشَّاغل، فحاولتُ لمسِ مشاعركِ بشتَّى الطُّرقِ  
بالبحثِ والجري وراءكِ أينما حلَّ لكِ تعليقٌ أو منشور، حتَّى  
غلبتني الشَّجاعةُ وقمتُ بإرسالِ طلبِ صداقةٍ إليك، فجعلتني في  
خانة الانتظار، وما كان لي إلَّا أن أنتظر كالغرباء، وأنتِ لا  
تعرفين القلب وما به من أسقام.

قد عزَّ عليَّ هذا الأمرُ يا صغيرتي، فأنا المتيمُّ بتفاصيلكِ المليءُ  
بأحلامكِ وأمانيكِ، حزنْتُ ولم يغلبني اليأسُ، فالياسُ ليس من  
سماتي أبداً. تركتُهُ لوقتٍ يرغب فيه القدرُ بإسعادنا معاً، وقلتُ في  
خدي:

"سيأتي اليومُ الذي نصبحُ فيه أجملَ عاشقين".

عدتُ أتابعكِ بصمتٍ وأسى، وبدأتُ أُغرِّقُكِ بالتعليقاتِ على كلِّ منشورٍ تضعينه، لم يهمني ما كنتُ أكتبه، همَّني لفتُ انتباهكِ فحسب. زاحمتُكِ بها كي لا تُفكِّري بسواي، فأنتِ ملكي منذُ اللحظة الأولى التي عشقتكِ بها.

واقفتِ على طلبِ الصداقةِ أخيراً، فرقص قلبي، وزگرد عقلي، وطرْتُ من الفرح بجناحيِّ اللذين قصصتِهما فيما بعد.

دخلتُ المرحلةَ الثَّانيةَ من الاقترابِ منكِ؛ إذ بدأتُ أتابعُ منشوراتكِ، أصدقاؤكِ، أحلامكِ، أهدافكِ، اهتماماتكِ. أحسستُ بحيرةً أربكتني بشدَّةٍ ممَّا رأيتُهُ من منشوراتٍ تتحدَّثُ عن الفراقِ وعن لوعةِ الحبِّ واللامبالاة، فكتاباتكِ متقلِّبةٌ، وأنا لم أفهمكِ، لكنِّي سأفهمكِ لاحقاً.

زلزلتِ كياني، ورفعتِ هرمون الحبِّ لديَّ لأعلى مستوياته، أصبحتُ لا أرى غيركِ أبداً، تركتُ الجميعَ وهمتُ بكِ وحدكِ.

وها أنا أريدُ دخولَ عالمكِ، فافتحي لي الأبواب المغلقة، وأنيري  
موقد الحبِّ، فأنا تواقٌّ لمعرفتكِ عن كُتب.

حاولتُ التحدُّثُ إليكِ، لكنَّكَ صددتِ قلباً أُغرمَ بكِ. كنتِ باردةً  
معي لا تعبريني أدنى اهتمامٍ وكأن لا وجود لي على كوكبكِ أبداً.  
حاولتُ لفت انتباهكِ، فزدتُ تعليقاتي الملفتة للانتباه إلا أنَّكَ لم  
تلتفتي. التفتت كلُّ الكائنات في صفحتكِ إلا أنتِ. أقنعتُ نفسي بأن  
تكتفي بالاطمئنان عليكِ كلَّ يومٍ، وإلى الآن مازلتُ أطمئنُّ عليكِ،  
عليكِ يا ابنتي.

قرأتُ رواياتكِ كلَّها كي أقترِب منكِ، وبالفعل أنجزتُ في مرحلة  
الاقتراب. رواياتكِ حزينَةٌ جدًّا، وأنتِ كئيبةٌ وصامتةٌ وباردةٌ  
المشاعر والأحاسيس. أعطيتكِ رأيي في روايتكِ الأخيرة، وقد  
سُررتُ كثيراً حين نشرتها في صفحتكِ الزرقاء وأرفقتها بالشُّكر  
لي، جعلتها ذريعةً للاقتراب منكِ أكثرَ فأكثر.

لقد أردتُكِ يا حواءَ، لمَ لم تفهمي ذلك؟ اقتربي كي نُزيلَ الحواجز  
معاً كي نهدم الجدران التي بيننا ونفتح الأبواب جميعها.  
ذهبتُ في زيارةٍ إلى موطني بعد عامٍ كاملٍ من الحبِّ الصَّامتِ،  
وهناك تجرأتُ وحدثتُكِ عمّا في قلبي من عشقٍ وهيامٍ. أخبرتُكِ  
بحبِّي العاصفِ، فاستقبلته بسعادةٍ وحبورٍ، وصرنا نتحدّث عن  
الحبِّ وعن صدف الأقدار.

هل تقبلين بي حبيباً يُساندكِ مدى العمر فلا يبتعد؟

هل تقبلين أن أكون أماناً وحرزاً لك من القهر والآلام؟

وافقتِ على العهد الكبير بفرحٍ هَلَلٍ له قلبك الصَّغيرِ، وانفقتنا معاً  
حين أعودُ إلى غربتي أن نتحدّث في كلِّ شيءٍ. وبالفعل بدأنا  
نتحدّث معاً كلَّ يومٍ، وتعلّقتُ ببراءتكِ العفويّةِ وأنوثتكِ الرّائعةِ.  
أنتِ صغيرةٌ يا حواءَ، أنتِ ابنتي وقلبي وعقلي، باختصار أنتِ  
كلّي.

عدتُ إلى غربتي سعيداً لنجاح خطّتي، وطوال الرّحلة وأنا أفكّرُ  
بكِ وبقلبكِ الصّغير، فمهمّتي في الحياة غدت إسعادك. سأرسلُ  
إليكِ مختلف الهدايا، وأمنحكِ الحبّ الخالد والأمان. كوني لي  
فحسب، ولا تنظري لغيري. أريدكِ أملاً واعداءً وبسمةً نضرةً،  
أريدكِ حبّاً راسخاً لا ينضب. فلنتعاهد على لقاءٍ يطول ولا يعقبه  
فراق، لا فراق ولا خصام ولا وداع.

أكرّرها على مسامحكِ كثيراً، أكرهُ الفراق ولا أطيقه، فلا  
تشعريني بلوعته. لنجعل الحبّ والعشق والغرام غايتنا. إن لم أكن  
أول حبّ لكِ فأنتِ أول حبّ لي. لقد رأيتُ فيكِ براءة الأطفال  
وصورة ملائكة الرّحمة، رأيتُ فيكِ طيبة الجدّة وعفويّة امرأةٍ  
قرويةٍ بسيطة. لذا لا يمكنني تجاوز فكرة حبّي لكِ حتّى في أشدّ  
لحظات حياتي حزناً. أحبُّك دائماً وأبداً حتّى في الأوقات التي لا  
أطيق فيها فعل أيّ شيء. أحببتُ كلّ ما فيكِ من قسوةٍ وغضبٍ  
واشتياقٍ وغيابٍ وحضورٍ وعشقٍ وهيام، وأتوقُ إلى حديثٍ طويلٍ

معك كي أسمع نبض قلبك هامساً باسمي، لذا أسمىك (وتيني)،  
فكوني الوتين الدائم الذي لا ينقطع.

آدم: لا يمكنني تجاوز حبي لك، ففي أسوأ لحظات ألمي حبك هو ألمي، وحتى في الأوقات التي لا أطيقُ بها فعل شيءٍ واحدٍ أجدُ غرامك ملاذي وأماني.

حواء: وأنا أحببتُ ما فيك من قسوةٍ وغضبٍ واشتياقٍ وحنينٍ وغرامٍ وأمان.

آدم: أتحدّثُ معك فأسمعُ نبضَ قلبك يناديني.

حواء: لأنّك وتينُ القلبِ وشرابينه.

آدم: وأنتِ سارقةٌ لبّ عقلي.

حواء: وبمَ ستعاقبُ السارقة؟

آدم: بعناقٍ يطولُ كثيراً وقلباتٍ لا تنتهي.

لم يكن الذنبُ ذنبِي حين أحببتني دون علمٍ مِنِّي، فحبُّكَ سابقٌ لحبِّي  
بآلافٍ من ليالي الوله والولع، وإن كنتَ قد وصلتَ إلى الوجدِ في  
الحبِّ فأنا مازلتُ في المرحلة الأولى، أحاولُ فيها التَّعرُّفَ عليك.  
ساعدني كي أنعم بكَ ولا أشقى، كن جنَّتِي، ولا تكن جحيماً  
يحرقتني ويصليني. أعترفُ أنَّكَ لم تكن أولَ حبيبٍ لي لكنَّكَ أولُ  
حياة.

لم أرتكب جريمةً بحقِّكَ أو بحقِّ نفسي حين كان العشقُ يأكلُ  
قلبك، كنتُ أنا حينها لاهيةً عن الحياة بحياةٍ أُخرى لم تعجبك، لكنَّه  
ذنبُكَ أنتَ حين وقفتَ صامتاً تتابع ما يجري كمشاهدٍ لا علاقة له  
بما يحدث وبما يدور حوله.

لَمْ لَمْ تقترح عزلي لتخبرني بحبِّكَ لي وعشقتك؟!!

لَمْ لَمْ تخبرني بالكمِّ الهائل من الشَّوق والحنين؟!!

أُعِيدُهَا عَلَى مَسَامِعِكَ أَلْفَ مَرَّةٍ، لَمْ تَكُنْ جَنَائِيتِي مَا حَصَلَ، وَلَمْ  
يَكُنْ خَطَايَا مَا حَدَثَ فِيمَا بَعْدَ. كَانَ ذَنْبُ قَلْبِي حِينَ كَانَ يَفْتَحُ أَبْوَابَهُ  
عَلَى الدَّوَامِ دُونَ إِرَادَةِ مَنِّي وَكَأَنِّي تَحْتَ تَأْثِيرِ الكَلِمَاتِ أَقَعَ فِي بئرٍ  
لَا أَقْوَى عَلَى الخُرُوجِ مِنْهُ. قَدْ لَعِبَ القَدْرُ فَيَّ كَمَا شَاءَ، وَرَمَانِي  
بَعْدَ أَنْ انْتَهَى مِنْ لَعِبَتِهِ عَلَى رَصِيفِ العَمْرِ أُفْتَشُ فِي جِيُوبِ  
المَارَةِ عَنِ حَلْمٍ كَانَ لِي، ثُمَّ رَمَانِي مَرَّةً أُخْرَى فِي دَرَبِكَ  
المَزْرُوكِشِ بِأَبْهَى الأَلْوَانِ.

وَجَدْتُ مَا حَلَمْتُ بِهِ مِنْذُ سَنِينَ خَلْتُ، لَكِنَّكَ أَتَيْتَ حَامِلًا مَعَكَ سِلَاحًا  
مِنَ العَشْقِ، لَتَغْمِرَنِي بِهَا، أَتَيْتَ مَعْتَقِدًا أَنِّي فِي مَاضِيٍّ أَعِيشُ لَا  
فِي حَاضِرِكَ، أُرْهَقْتَنِي كَثِيرًا وَأَسْرَفْتَ فِي افْتِعَالِ المَشْكَلاتِ بَيْنَمَا  
بَقِيتُ أَتَأَمَّلُكَ وَأَنَا عَلَى رَصِيفِ الأَمَلِ، أَقْتَاتُ الحَبَّ مِنْ طَيْفِكَ،  
وَأَشْرَبُ مِنْ نَبِيذِ أَلْمَكِ وَوَحْشَتِكَ، وَأَصْرُخُ مِائَاتِ المَرَّاتِ فِي  
وَجْهِكَ:

- "أَحْبُكَ يَا هَذَا، فَاقْبَلْ حُبِّي، وَاقْبَلْنِي، ثُمَّ قَبِّلْنِي وَعَانِقْنِي".

فما كان منك إلا أن ترفض حبي وتتقبلي ثم تقبلي من خلف  
الشاشة، وتسد أذنيك عن وقع كلماتي، وتقول لي بحزن جمّد  
الوقت للحظات:

"أنت لا تعرفين الحبّ ولم تتذوّقيه من قبل. أنت لا تعرفين ماهيّة  
الحبّ يا صغيرتي".

لأجيبك بلمح البصر:

"أنا لا أعرف الحبّ! علّمني إيّاه. اجعلني تلميذتك الصّغيرة  
وأميرتك اللّطيفة".

سأخطئ كثيراً وأنا أتعلّم لغة الحبّ، فعاقبني بالأحضان والقبلات،  
ولكن حذارٍ يا صاحب الحبّ الكبير أن تعاقبني بالهجر والفراق،  
فالهجر لم يُخلق لأمثالنا، إنّه يعلمّ القسوة والصّلابة.

أردتُك معي على الأيام السّوداء، فلا تكن والأيّام ضدّي، أردتُك  
رفيقاً ودوداً حسنّ المعشر، لا خصماً ممقوتاً سيئ المعشر.

كنتَ تصمتُ فيطول صمتُك، وتنظرُ إليَّ من خلف الشَّاشة  
الصَّغيرة فأرسلُ لك ابتسامةً بلهاء لكنَّها مليئةٌ بالغرام، ثمَّ أقول  
لك:

"لا تنظر إليَّ هكذا، لا تشعرني أنني مخطئة".

تبتسمُ فيضيعُ قلبي منِّي، وتردُّ عليَّ بقولك:

"لا شيء، فأنا أتأملُ لغة عينيكِ وجمال ابتسامتكِ وتقسيمات  
وجهكِ ككل".

أه يا صاحبي كم أحبُّك! ابتسامتُك كفيلاً بأن تبعث الأمل في قلبي  
الصَّغير، فتنبأ للحياة ألف مرَّة! كيف لها أن تأتي بالرجل المناسب  
في الوقت غير المناسب؟!!

أتيتني وكلِّي خرابٌ وأطلالٌ لم يُشيد بها الحبُّ منذ زمن. في قلبي  
دمارٌ وحفرٌ كثيرة، وها هو لم يعد صالحاً للحبِّ ولا للسكن. كيف  
ستزيل الحزن والخذلان منه؟ كيف ستجدده؟

أخشى يا صاحبي أن تدمر ما بقي لي فيه. عدني أن تبقى معي  
إلى الأبد، إلى ما بعد الأبد. عاهدتني بذلك مرّاتٍ لا تُحصى،  
طمأننتني في كلّ مرّةٍ خشيتُ فيها فقدانك، منحنتني الأمان في أحلكِ  
لحظاتٍ خوفي وعمتها. يا لكِ من رجلٍ متفرّدٍ بالحبِّ ورائعِ  
القلب والروح.

أحببتُك ولكن ليس من المرّة الأولى، بل من مرّاتٍ متلاحقةٍ  
ومتعاقبة. لكم تمنّينا لو عرفنا بعضنا منذُ زمنٍ ولى وانقضى،  
لكنّك وفرّت عليّ حياةً كاملةً من المعاناة التي عشتها وحدي!  
ليتّك كنت معي حينها، لكنّك عصمتني عنها جميعاً.

أشعرُ بكلامك في كلّ حين، وأستمعُ بهمساتك وأنا في طريقي  
إلى عملي، فأغرمتُ بكِ سريعاً؛ لأنّك كنتِ رجلي الأوحِد وخليلي  
الرائع.

كنتَ تقول لي في بداية الصّباح:

"وكانَّ الشَّمسُ تشرقُ عليَّ عند قراءتي لرسالتك، فكلُّ ما في

داخلي يعودُ لأجمل حياةٍ، فبكِ يبدأ الصباح".

وأنا أقول لك:

"وبكِ تبدأ الحياة".

آدم: أيقنتُ أنّ بقاءكِ ورحيلكِ مرتبطانِ برغبتكِ فحسب، لا بما  
تقدّمينه لي.

حواء: لكنّي لستُ براحلة، وإن أرغمتني على الرّحيل.

آدم: سترحلين ذات مساءٍ كئيبٍ رغم تقانيّ في الإخلاص لكِ.

حواء: لا، إطلاقاً، فقلبي ممتلئٌ بالصّباة والأشواق.

آدم: حياتي امتلأت فيما مضى بالعابرين، لكنّي اخترتكِ أنتِ، فلا  
تضعي بيني وبينكِ ماضيكِ، ثمّ تفضّليّ عليّ.

أَيُّ دَسْتُورٍ يَبْقِيَنِي عَلَى ذِمَّةِ فُؤَادِكَ وَأَنْتِ فِي الْبَعْدِ تَغْيِيْبِيْنَ؟!!

قَرَّرْنَا أَنْ نَعِيْشَ الْحَبَّ مَعًا لِنَعْرِفَ بَعْضُنَا عَنْ قَرَبٍ، أَرَدْتُ مَعْرِفَةَ كُلِّ شَيْءٍ عِنْدِكَ، وَهَذَا مِنْ حَقِّي. يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَيَقْتَرِنُ اسْمُهَا بِاسْمِي، الْمَرْأَةَ الَّتِي سَتَدْخُلُ بَيْتِي وَأَنَا رَاضٍ عَنْهَا وَعَنْ حَيَاتِهَا الْمَاضِيَةِ، تِلْكَ الَّتِي سَتَغْدُو زَوْجَتِي وَأُمًَّ لِأَطْفَالِي. أَرَدْتُ الْحَقَائِقَ بِتَفَاصِيلِهَا وَالصِّدْقَ فِيهَا، لَمْ أَكُنْ أَسْعَى لِشَيْءٍ آخَرَ. لَا تَبْخُلِي عَلَيَّ بِأَدَقِّ التَّفَاصِيلِ وَإِنْ كُنْتَ تَرِينَهَا صَغِيرَةً بَلَا مَعْنَى.

فَفِي بَدَايَةِ عِلَاقَةِ الْحَبِّ كُنْتُ جَرِيئَةً فِي الْحَبِّ أَكْثَرَ مِنِّْي، فَوَجَلْتُ مِنَ التَّقَدُّمِ نَحْوَ الْأَمَامِ بِسُرْعَةٍ، وَاخْتَرْتُ التَّقَدُّمَ ببطءٍ كَمَا أَعْرِفُ مَا وَرَاءَكَ مِنْ أَحَاجِي. انْتَابَنِي الشُّكُّ وَأَدْخَلَنِي فِي دَوَّامَةِ تَفْكِيرٍ

طويل. لم أتوقَّع منكِ جرأةَ العشق هذه، فأصابني ذلك بصدمةٍ  
وتفكيرٍ طويلٍ شلَّ عقلي وأربك فؤادي.

أهْرَبُ وأنا ما زلتُ في طور الحبِّ الأوَّل وبدايته أو أبقى لبضعة  
أشهرٍ ريثماً أفهم طلاسكِ المعقَّدة؟

ما الذي غيَّركِ يا حواء؟

لا أعرف اليد التي أوصلتكِ إلى هذه الحالة من التَّخَبُّط العشوائيِّ.  
كنتُ أتمنَّى معرفة الأسباب منكِ، لكنَّكِ كنتِ دائمة الهرب،  
تهربين وتحتمين خلف أسوار الدُّموع وصيحات الغضب، فعند  
النِّقاشات تتذرَّعين بالأم رأسكِ الحادَّة وتخلدين إلى النُّوم باكراً،  
بينما تتركيني وحيداً أنفثُ مئات السَّجائر التي أخلو بها في  
عزلي، وأظُلُّ أستنجدُ طيفكِ أن يأويني.

وبينما تغطَّين في نومٍ عميق بدأتُ أنهال عليكِ بالأسئلة التي  
قرأتها فور استيقاظكِ، فلا مهرب منِّي يا صغيرة.

أخبرتني عن صديقي وعن علاقتكما معاً. لا، لم يكن صديقي،  
عرفته منذُ فترةٍ وجيزةٍ، فغدا رفيقي في الصَّفحة الزرقاء ليس إلا.  
لم يكن مقرباً منِّي إطلاقاً، ومع أنه زارني مرَّةً في ديارٍ البعيدة  
إلا أنه لم يكن مرحباً به أبداً. كنتِ معجبةً به كثيراً، وجمع بينكما  
حبُّ لذيذٌ سرعان ما انتهى.

سألتُك إن كان هناك آخرون قد عبروا حياتك، لكنك أنكرتِ ذلك،  
وحلفتِ بالإله وبي أن ليس هناك غيره. لم أصدِّقك ولم أصدِّق  
كلام الحبِّ منك؛ لأنِّي لم أشعر بحبِّك إلى الآن. شعرتُ بحبِّك  
لصديقي الذي عرفك قبلي، فدفاعك الغيبي عنه أربكني حتَّى  
صرتُ أمقتُ منحه صفة صديقي، وكأنَّ لسان حالك يقول:  
رضيتُ بالحبِّ معك، لكن حذارِ التحدُّث عنه بكلمةٍ جارحة.

قررتُ الابتعاد والسَّير في اتِّجاهٍ معاكسٍ، وحبَّذا لو افترقنا منذُ  
البداية! لبيت الشَّجاعة وافتنني وفعلتها، لكنتُ وفرتُ عاماً كاملاً  
من الخذلان والأسقام! ولكن لا، ما كان لهذا أن يحدث، فشيءٌ ما  
كان يربطني بكِ ويُقيِّدُ قدميَّ عند المسير.

بدأتُ باستجوابك في مختلف نواحي الحياة لعلِّي أدركُ وجهات  
نظركِ حول الحقائق أجمعها. ما السرُّ الذي تخفيه عني وعنك  
ولا تُريدين له الخروج إلى النور؟

ألححتُ في المعرفة أكثرَ، واقتربتُ منك أكثرَ، فطلبتك للزَّواج  
كي تشعري بالأمان الذي طالما رجوتِه منِّي. هلَّ قلبك فرحاً كيوم  
اعترافي لك بالحبِّ جهاراً، وبدأنا نشيد بنيان الأحلام معاً، منِّي  
حلمٌ ومنك آخر حتى تلاحقت الأحلامُ في واقعٍ ثابتٍ لم يمشِ  
خطوةً، وإلى الآن لم أشعر بقربك كما لم أشعر بحبِّك. الحبُّ  
إحساسٌ، فأين إحساسُ الحبِّ عندك؟

طلبتُ منك الأرقام السريَّة لحساباتك الزَّرقاء، فزاد شكِّي بأنَّك  
تملكين أكثر من ثلاثة حسابات، وفي كلِّ حسابٍ أصدقاءٌ يختلفون  
كلَّ الاختلاف عن غيرهم، وإلَّا لما كان عندك كلُّ هذا. لم  
تترددي، أعطيتني إيَّها باسمه ضاحكةً، وكأنَّك قادرةٌ على  
الضحك عليَّ، وبالرَّغم من عنادك الذي أفضل حياتنا إلَّا أنِّي كنتُ  
أجدك مطيعةً لي في أحيانٍ كثيرةً، فقررتُ ألا أرحل، وكان لزاماً

عليّ سحب عينيك إلى النور الساطع، إلى صفحاتٍ بيضاء خاليةٍ  
من السوء تعكس جمال روحك، فلا تكوني السوء الذي أفرُّ منه.  
لقد وجب عليّ حمايتك، فكلُّ من عرفتهم قبلي أرادوا جسدك ليس  
إلا، ووحدني يا صغيرتي، وحدي أردتُ روحك، فلا تقتلي  
الروح؛ لأنك بها تعيشين، ولأجلك تحيا هذه الروح وتتنفّس.  
في عينيك ليلاً حالك الظلام يضمّني كلما اشتقتُ ساعة حنانٍ،  
راحتا يديك دفءٌ لي من صقيعٍ يُجمدُ الدّم في أضلعي دون أن  
أراه، حضنك الأمان والاطمئنان، وأنتِ مدينةٌ مليئةٌ بالكرم، وأنا  
لاجئٌ باحثٌ عن مكانٍ يأويني، فهلاً فتحت يديك لتعانق روحي  
التائهة في شوارع أيّامك وساعاتها.

آدم: في أيّامنا السّوداء نسعى لترتيب الآخرين من حولنا.

حواء: لمّ؟

آدم: لأنّها مع الأيّام تكشف لنا شخصيّاتهم الحقيقيّة التي ما كنّا نعرفها لولا تلك الأيّام.

حواء: أنتَ محقٌّ، فهي تُبيّن لنا من يستحقُّ القرب ومن لا يستحقُّ.

آدم: كلُّ الأيّام السّوداء ستمرُّ، ولكنّ..

حواء: ولكن، ماذا؟

آدم: ...

حواء: لمّ سكت؟

آدم: الذين يخذلوننا لا يعودون إلى ذات القلب مرّةً أُخرى.

لم أكن عنه مدافعة، ولم يهمني من كان، ما أهمني هو أنتَ  
وحدك، يا خليلي الأوحـد ويا حبي الصادق. أنا أحبُّكَ بذكاءٍ،  
ولستُ غبيّةً كما تقول. أعرف ما أريدُ تماماً، ولأنّي صادقةٌ معك  
بالقول والفعل أعطيتُكَ أرقامِي السريّة دون تردّدٍ منّي، كنتُ  
أوافقُكَ الرأْي والمشورة؛ لأنّي أحببتُكَ. كنت عجيبةً بين يديكَ  
تُشكّني كما تريد وترغب.

أكرّرها على مسمعك: إلى متى؟ لستُ أوّل حبٍّ، لكنّكَ أوّل  
العمر. لي أن أنسى كلّ ما عداك، فلنعش حاضرنا بحبٍّ يستطاب  
لنا وبوفاء وإخلاص.

أعاهدُكَ أمام الله أن أسقي حبّاً إخلاصاً وصدقاً، فلا يعينني  
ماضيك بقدر ما يهمني حاضرُكَ ومستقبلك. أنتَ أملي الواعدُ  
وبسمةُ الأيام القادمة. عنا نعتد معاهدة حبٍّ خالدة، وأوّل بندٍ فيها

أَنْ أَحَبَّكَ بِكُلِّ لُغَاتِ الْعَالَمِ؛ لِأَنَّكَ الْعَالَمِ. وَأَخْرُ بِنْدٍ فِيهَا أَنْ لَا فِرَاقَ  
وَلَا نِهَآيَاتِ.

لَا نِهَآيَاتِ لِلْحُبِّ، فَالْحُبُّ الَّذِي يَنْتَهِي وَيَنْدَثِرُ لَمْ يَكُنْ فِي يَوْمٍ مِنْ  
الْأَيَّامِ عَشْقًا وَلَا غِرَامًا، وَأَنَا وَأَنْتِ كِلَانَا مَرْتَبَطَانِ بِرُوحِ الْحُبِّ،  
فَلَا نَقْدِرُ عَلَى الْفِرَاقِ، مَلْتَصِقَانِ كَتَوَاقِمِ سِيَامِي إِذَا قَتَلْتَ الْأَوَّلَ مَاتَ  
الْآخِرُ، لَا مَفْرَجًا مِنَ الْهَرُوبِ وَلَا مِنْ التَّرَاجُعِ. إِلَى مَتَى سَأَعِيدُهَا؟  
لَا تَرْحَلِ، فَكِلَانَا مَحْتَاجَانِ إِلَى هَذَا الْحُبِّ، فَلْنَسْقِهِ كِي يَكْبُرَ بِنَا.  
أَسْمِيْتُكَ أَبِي، فَفِيكَ رَأَيْتُ حِنَانَ الْأَبِ الضَّائِعِ. لَا تَبْتَعِدْ يَا أَبِي؛  
لِأَنَّكَ مَسْجُونٌ فِي قَلْبِي لَسَرَقْتِكَ لَبَّ عَقْلِي.

أَعْتَرَفْتُ لَكَ الْآنَ بِأَنِّي لَمْ أَشْعُرْ بِحُبِّي لَكَ فِي الْبَدَايَةِ، وَإِنَّمَا أَحْبَبْتُ  
حُبَّكَ لِي، فَحُبُّكَ كَانَ جَمِيلًا وَرَائِعًا، أَمَّا كُلُّ عَشَّاقِي قَدْ مَرُّوا دُونَ  
أَنْ أَشْعُرَ بِهَذَا الْكَمِّ الْهَائِلِ مِنَ الْحُبِّ مَعَهُمْ. هَيَامُكَ لَوْ وُزِعَ عَلَى  
أَهْلِ الْأَرْضِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ لَأَفْسَدَ الْحُرُوبَ وَلصَنَعَ الْوَدَّ  
وَالسَّلَامَ. كُلُّ مَا فِيهِ لَذِيذٌ يَا سَمِيرِي، وَمِنْهُ تَعَلَّمْتُ الْكَثِيرَ مِمَّا كُنْتُ

أجهله. رهنتُ حياتي بحياتك، فلا تقتل الحبَّ ولا تنحر الرُّوح؛  
لأنَّك بها تعيش. صادقةٌ معك لأبعد الحدود رغم قسمي الكاذب في  
أولِّ علاقتنا أن لا شيء في ماضيِّ يسجِّل ضدِّي. أقسمتُ أن  
صفحاتي بيضاء نقيَّة من أيِّ شائبة، وكنتُ أكذبُ في هذا، وهذا  
آخر كذبي. برعتُ في الصّدق، وأتقنتُ أبجدية العشق لأجلك، فلا  
تحملني ما لا طاقة لي به، ولا تنفر منِّي. علّمني دون أن تعاقبني،  
وساعدني دون أن تهجرني، وسامحني دون أن تغضب منِّي. كن  
يداً تسحبني نحو النّجاة، ولا تكن يداً تغرقني نحو الأسفل. ارفعني  
إليك، ولا تنزل إليّ.

أخبرتني ذات يومٍ ربيعيّ دافئٍ أنّ من جذبتك إليّ هي رُوح  
المرحة الباسمة على الدّوام، وصرختَ بملء فيك:

- "أنتِ حبيبةُ الرُّوح وساكنةُ الفؤاد، وأغلى ما لديّ هو حبُّنا، فلا  
حبيبة بعدك ولا ثمّة حبُّ قبلك".

أستطيعُ إخبارك الآنَ دونما خجلٍ أنّ ما جذبني إليك كلُّ ما فيك،  
أنفاسك المليئةُ بالعطر والشّذا، وإن كنت بعيداً آلاف الأميال عني  
إلا أنّي أشعر بها تسكن محيطي، فوحداك ساكن أفكاري ومربك  
عقلي. العينُ لا تملُّ من رؤياك، إنّها تطالبنني بالمزيد يومياً، ترنو  
لرؤية ملامحك السّمراء الهادئة، فلنتفق معاً أنّ كلينا قد امتلك  
الدُّنيا وما فيها بهذا الحبِّ الكبير.

آدم: لن تفهميني.

حواء: اشرح لي أكثر، لعلّي أفهمك، فمازلتُ على مقعد الدّراسة  
أتعلمُ منك أسلوب الغرام.

آدم: أنا أتحدّثُ عن الحبّ الذي قطعْتُ به آلاف الأميال تفكيراً  
لوحدي، وأنتِ لم تمشِ فيه خطوةً واحدة.

حواء: مشيتُ معك، ولكنْ كانت خطواتي بطيئةً وخطواتك  
سريعة، فعجزت قدامي عن إكمال المسير.

آدم: كيف مشيتِ معي والمشاعر المتداخلة التي جالت في قلبي  
دفعاً واحدةً أرادت القصاص منّي؟! حدث ذلك في ليالٍ كثيرة،  
وفي كلّ ليلةٍ ملايين المرّات، وأنتِ لم يطرق قلبك مرّةً واحدةً  
شعوراً واحداً أردتُهُ منك، فبخلتِ به عليّ.

حواء: لم يكن ذلك ذنبِي.

آدم: ذنب من إذاً؟! أهو ذنب المسافات الهائلة بين كلماتك

وأفعالك؟

حواء: بل ذنب المسافات الهائلة بيني وبينك.

يشهدُ اللهُ أنَّه كانَ عاماً مليئاً بليالٍ ثقيلٍ، ما مرَّ يوماً إلا زرتني به  
وحملتني فوق حملي أحمالاً كثيرة لا طاقة لي بها حتى تمزقت  
روحي كورقة خريفٍ لم تعذر منها الرِّيح كما لم تعذري أنتِ،  
نفدت طاقتي بسببكِ وتجمدت الدُّموع في المقلتين.

لي الحقُّ في ماضيكِ، كما لي الحقُّ فيكِ، ماضيكِ وحاضركِ  
ومستقبلكِ جميعها لي منذ الآن وما قبل الآن. أخبريني بكلِّ شيءٍ  
حتى لو كان تفصيلاً صغيراً، فقد يكون ذا أهميَّةٍ لديّ.

قُوبل حقِّي منكِ بالرَّفْضِ، وأقسمتِ ذات اليمين وذات الشمال أنَّ  
ماضيكِ بريءٌ من كلِّ ما نُسبَ إليه من اتِّهاماتٍ باطلة. لم أُصدِّق  
لسانكِ؛ لأنَّ هناك شيئاً مخفياً عني لا تودِّين أن يراه غيرك. إنَّه  
شيءٌ تخفيه لنفسكِ وتحتمين خلفه خشية إظهاره لي، لكنِّي منكِ  
وفيكِ، فنحنُ روحٌ واحدةٌ في جسدين. اقتربي منِّي أكثر ولا  
تفرعي، سأصفحُ مهما كان الماضي مؤلماً ومؤذياً، فكُنَّا مذبونين  
في مرحلةٍ من العمر، وليس بيننا ملاكٌ أو قديس، كلُّنا اقترفنا

أثاماً كبيرةً، وكُنَّا تَوَاقُونَ للتَّوْبَةِ، وأنا يا صغیرتی سأغفرُ طالما

قد غفر الله لكِ، فمن أنا لأمتنع عن الغفران؟!!

أجیبی بالله علیک: ماذا فعلت بكِ الحیاة؟ ومن قابلتِ؟ تصمتین

وتحلفین، وأنا أصمت وأتأمَّلُ من خلف الشَّاشة الصَّغیرة دون أن

أصدِّقك. إحساسٌ غریبٌ ینتابنی ویخبرنی بكذبك، فأنتفضُ فی

وجهك رغماً عنِّي، تغضبین كثيراً وتصلُ دموعك إلى فوائدی،

ومن ثمَّ تغلقین الهاتف، تعتقدین بذلك أنكِ أغلقتِ كلَّ الأبواب

بیننا، ولا تعرفین أنَّ الأرواح فی السرِّ تتلاقی، وحين أحاول

تصدیقك أفضل. تعودین إليَّ بعد انتهاء فورة غضبكِ وتحلفین

بالصدِّق ولا شيء غیره.

أصدِّقُ من إذا؟ أنتِ؟ إحسası؟ لم یخب الإحساسُ يوماً، فقد كان

أصدِّقُ بكثیرٍ منك.

بدأت بمضايقتك كي أصل أو لنصل معاً، فكلانا يملك الهدف  
والحلم نفسيهما. أردتُكِ زوجةً في الحلال أفخر بها أمام الجميع،  
فأنا لست ممّن عرفتهم، أنا أظهر وأنقى من الجميع.

جعلتُك الهدف والحلم في آن معاً، وقررتُ أن أجتهد ليالٍ طوال  
كي تكوني من نصيبي، ولكن لا شيء يُعكّرُ الحلم سوى كتمانك  
الأمر ولو كان سرّاً.

أفصحي عمّا في بطانتك لأعرف من أوصلك إلى الحال التي أنتِ  
عليها الآن بدلاً من أن يسكت لسانك عن الكلام، فتبّاً لصمتك  
القاتل! سأبحث عن المستحيل الذي تصمتين عنه، وسأجتهد  
وحددي وأنتِ ابقي في صمتك الغبيّ حتّى أضيع منك. إن كنتِ  
مازلتِ في طور الهوى فأنا قد سبقتكِ إلى لوعة الفتون والميل  
وحرقة القلب ولهيبه، فلا تطفئي أنوار العشق، دعينا نضئه معاً.  
لا تنتقمي منّي، فنحنُ لسنا خصمين. أنا الحبُّ يا غاليّتي، فأنيديه  
بنورك كي يُضاء الكون بجمال مبسمك. لا أريدُ منك سوى  
لحظات صدقٍ صافيةٍ من أيّ شائبة، فضلاً عن الأمانة في سرد

الأحداث، وبلا شكّ لديكِ القدرة على كلّ هذا، فأنت تقدرين عليه  
إن أردتِ. لا أطلبُ معجزةً ثامنة، أمنيّتي واضحةٌ يا بنت الفؤاد،  
فطهّري الحبّ كي نتطهّر من دنس الماضي.

كانت محادثاتنا أنيقةً وراقيةً، أحببتُ براءتكِ العفويّة وروح الحبّ  
فيك، فتنّني جمالُ قلبكِ كما فتّنتني جمالُ وجهكِ الصّغير. بدأتُ  
أميلُ لكِ كلّ الميلِ وأبتعدُ كلّ البعدِ عن أصدقائي؛ إذ أصبحتِ  
الحياة الخالدة بأكملها، الحياة التي كنتِ أنشدُها على الدّوام.

وكثرتُ كلامُ الحبّ بيننا حتى صرتُ أنهي عملي بسرعةٍ كي أصل  
إليكِ، فلا أتأخّر بالرّغم من أن ما يربطنا هو هاتفٌ صغيرٌ لا حياة  
مشتركة، إلّا أنّي كنتُ أسعدُ كثيراً حين أتّصل بكِ فأسمع عزف  
كلماتكِ على قلبي المبتسم بالغرام، أرى لمعة الحبّ في عينيكِ  
فأتأمّلُ كثيراً وأبدأ بمغازلتكِ بقلبٍ سعيدٍ وبخاصّةٍ حين يداهمكِ  
الحياءُ. حينها تتحوّلين إلى كتلةٍ حمراء من الخجل.

أحبُّ سماع صوتك؛ فلايقاعه سمفونيَّةٌ عجز أمهرُ الموسيقيين  
عن الإبداع بمثلها، معزوفةٌ رائعةٌ أتمنى الاستمتاع بها في كلِّ  
لحظةٍ وحين. أحاول جعلك تتكلَّمين أكثر لأسمعك ليس إلَّا،  
فأسألك أسئلةً قصيرةً أجوبتها طويلة، لكنك تهزميني باختصارك  
الإجابات.

حين رأيتك أدركت أنكِ الحبُّ التَّائِه، وها قد كبر حبُّك في قلبي  
خلال دقائق صغيرةٍ جدًّا من صبوة العشق، ففاض به القلبُ وما  
عاد باستطاعته حمل المزيد، انتشر في أنحاء الجسم، وامتثل  
لأوامر الحبِّ الملعون. بات عقلي مشغولاً بكِ على الدَّوام، وسافر  
الخيال إلى أرضك كي يعانقك شوقاً وحنيناً. نظرت العين إلى  
جمالِك فحبست ما رأت بين الرَّمش والعين، وفي الأهداب خبَّأتها.  
أمَّا الأنفُ فحاول الاحتفاظ برائحتكِ الوهميَّة قدر الإمكان. لساني  
يغازلك، وقلبي يلثمُّ الغرام فيك. ها هي روجي تعانق روحك،  
فتعانقتا وتمنينا أن يقف الزَّمَن عند لحظة العناق، وما كان من

قدميَّ إلا أن هرولتا إليكِ، فالتصق الجسد بالجسد والقلب ينبض  
بالغرام.

آدم: قدرني أن أبقى طيفاً عابراً لا يحتويه مكان ولا زمان.

حواء: مكانك قلبي، وزمانك عالمي.

آدم: ولكنني أشعرُ بكوني غريباً في أرضك.

حواء: أنتَ من الأهل والخلآن، وإن كنتَ عابراً تترك خلفك

زهوراً تنتشر عبير ذكراك لتحيي قلبي المتيم بك.

آدم: روعي مازالت في انتظار شمس الأمل لتشرق من جديد.

حواء: اجعلها تشرق في سمائي وعلى أرضي كي أنعم بحبِّك

فأخلق من جديد.

لا يأتي الحبُّ الصَّحِيحُ والبيِّنُ إلا بعد انهياراتٍ في القلب  
وأعاصيرَ تهزُّ الرُّوحَ هزّاً عنيفاً قاتلاً، ويحدث هذا بين قلبين  
عاشا حياتين مختلفتين ولم يلتقيا إلا بعد فوات الأوان، وأنا عثرتُ  
على نصفي الآخر بين كومة الصَّفحات الزَّرِّقاء، فكيف أفرطُ بمن  
وهبني الحبَّ يا كلَّ الحبِّ؟!!

كنتُ أخشى خسارتك بعد أن شُغفتُ بك حبّاً، إنِّي وجلّةُ أن تلمح  
الجانب السيِّئ من الماضي، ماضيّ الذي أكرهه على الدَّوام،  
وأتمنّى محيه من ذاكرتي إلى الأبد، ففيه فقدتُ نفسي ولم أجدها،  
ونحرت الرُّوح ولم أشفق عليها. وجدتُ نفسي أخيراً قربك وعلى  
شاطئِ أيَّامك، فاصفح عني يا ذا القلب الكبير، ولا تلمني ولا  
تعاتبني. قدِّر الحبَّ الذي منحْتُك إيَّاه دون أن أسألك شيئاً عن  
الماضي، فأنتَ حاضري ومستقبلي.

ملئت الحديث عن أمرٍ أصبح مكرراً كثيراً في محادثاتنا. نعم،  
أعترف لك بأنني حلفتُ أغلظ الأيمان وندمتُ على ذلك لاحقاً،  
بكيتك كثيراً ألا تعاقبني بالهجر والابتعاد، فأنا أحتاجك عمراً  
كاملاً لا تنقص منه لحظةً واحدة وقت الحبّ ووقت الخصام.

الماضي ليس من حقّك، ولن يكون من حقّك، فأنت لم تكن فيه  
حتى تطالبني به، ومع ذلك سأعطيك إياه راضيةً بذلك غير  
مجبرة، ولكن لا ترغمني على التحدّث بأشياء لم تحصل كي  
أهرب من يدك الخانقة حول عنقي، ومع ذلك لن أكذب وسأكمل  
كلامي بالصدق ذاته الذي عاهدتك به، ولكن لن أهبك إياه كاملاً،  
فذاكرتي ستضنّ عليّ بالتفاصيل. سأعطيك ما استحضرتُه من  
ذاكرتي لأشخاصٍ عبروا حياتي ثمّ رحلوا هم وذكراهم. لن  
أذكرهم أمامك حتى تطلب مني ذلك، لكنك تذهبُ ثمّ تغدو،  
فتذكّرني بهم جميعاً وتحملني المسؤولية الشيطانية عمّا حصل،  
تلقي اللوم عليّ وتعاتبني أياماً وليالٍ طويلة، وأنا صامتةٌ لا أنوي  
شيئاً ومتحسرةٌ على ذاتي حين ولجت عالم الرذيلة.

قد كذبتُ عليكَ حقًّا، وأخبرتُكَ أن لا ماضي سيِّئ لي.

عفوًّا، كنتُ أكذبُ في ذلك، وقد استرسلتُ بالكذب أيضاً.

أشكرُكَ على عطفك عليَّ ومسامحتك إِيَّاي على تقصيرِ بدرٍ منِّي،

فأنا أعترفُ بأنِّي أهملتُكَ كثيراً حين أخبرتني بأنَّكَ مظلومٌ معي.

والآن أحزنُ على شكواك منِّي، وأقفُ أمامك مكتوفة اليدين،

أخبرُكَ بأنِّي ما كنتُ ظالمةً يوماً ولن أكون، فكفاكَ اتِّهاماتٍ ليست

فيَّ.

حين تصرخُ في وجهي تنتفخ عروق رقبتك وأنت تقول:

- "لم آخذ حقِّي كما فعل الباقي".

كُفَّ عن الصُّراخ، فأنتَ الحبيب الأوَّل، ومن عداك ذئابٌ بشريَّةٌ

لا تعرفُ الرِّحمة.

الزَّمن هكذا، والقدرُ بارعٌ في تصفية الأمور.

أصبتَ يا صديقي فيما تقول، فالقدرُ جاء بك في الوقت الخاطيء.

ليتنِّي التقيتُ بك قبل وجعي القديم، وقبل أن أفقد ثقتي بالجميع،

وقبل فقدان والخذلان. ليتني عرفتك قبل أن تستلّ الحياة منّي  
شغفي بالحبّ وقبل أن يصيب العجزُ ربيع فؤادي. إنّي أتأكلُ من  
الدّاخل بينما أنت تشتكّي ظلمي بحسب قولك وتعبيرك، كما أنّي  
أخفي الجراح في قلبي وأحتمل إهاناتك التي تُحدثُ في قلبي  
الغضّ ثقوباً صغيرةً لن تراها ولن تشعر بها.

أصمتُ وأبادرُ بالاعتذار عن ذنبٍ لم أرتكبه، فقدركَ المجيء في  
زمنٍ جعل منّي جسداً لا حياة فيه، ورغم أنّ الرُّوح قد شاخت فيه  
وأنّ القلب قد مات إلا أنّهُ ظلَّ ينبض باسمك حتّى الآن، فأنا مولهَةٌ  
بك كثيراً، أكتبها لك على رصيف الغرام بكلّ لغات العالم:

- "إنّي مولهَةٌ بك".

وأرسمها على جدران الذّكريات بكلّ ألوان العالم. إنّي عاشقة لك،  
وها أنا أعزفُ ألحان العشق بكلّ سمفونيّات العالم كي يقرأ الكلُّ  
حروف العشق ويشاهد الجميع لوحات الغرام ويستمتع القريب

والبعيد إلى أحيان الشوق والحنين، والأهم أن تعرف قبل الجميع  
أني أتنفسك عشقاً؛ لأنك نبض القلب ووتينه.

آدم: لا تسأليني عن سبب تحوُّلي الكبير والمفاجئ.

حواء: من يحبُّ لا يتغيَّر ولا يتحوَّل مهما كانت الظروف ومهما  
عصفت به الأوجاع.

آدم: ووجعي منك وخيبتني؟ وثقت بكِ عمراً، ولكن!

حواء: ولكن ماذا؟ ماذا فعلتُ لقلبك؟

آدم: خيبتِ آمالي في لحظة صمتٍ قاتلة.

لا تعودى للحبّ الذي كان، تمنّيتُ عودتكِ قبل هذه اللّحظة بكثير،  
عودة أيماننا كما كانت وقت العسل والصّفاء، أن تعترفي بالخطأ  
وبأنّك ارتكبتة عن قصدٍ وبعنادٍ أغشى قلبك وعقلك. حاولتُ  
الإمساك بكِ قدر الإمكان لكنّك كنتِ تصدّين ما أراه، وتغضبين،  
فتعتذرين، ثمّ تصمتين. ما الشّيء الذي فعلته لكِ حتّى تؤذي القلب  
الذي ولع بكِ وفُتن؟ احتجتُ رؤية النّدم في عينيكِ، احتجتُ  
اعتذاراً بسيطاً عمّا فعلته بقلبي، لكنّ عنادكِ أخرسَ لسانكِ عن  
قول الحقّ.

بدأتُ أحاولُ الهرب منكِ كي أنسى الجرح الذي فتحته، خفتُ أن  
تسارعي إلى جعله يتفاقم، فهربتُ إلى موطني لعلّي أنساكِ برؤية  
الأهل والرّفاق، لكنّك كنتِ حجر عثرةٍ في دربي، فلم أستطع

نسيان حبّك، وأنت حبيبتي كنتِ تخشين هذا الأمر كثيراً، ودائماً  
كنتِ تقولين لي:

- "إن ارتحلتِ إلى الأهل ستتنساني".

- "هل جننتِ؟! حبُّك في الفؤادِ يسري مسرى الدّم في الجسد".

لم نوقف محادثتنا أبداً، وكأني في غربتي أحادثك، كما لم يُشكّل  
وجودُ الأهل عائقاً للتّواصل معك. عدتُ وطلبتُ منك الأرقام  
السريّة لصفحاتك، فمَنحتني إيّاها دون تردّد. كنتِ مطيعةً في  
الأشياء البسيطة وعنيدةً في تحديد المصير.

لطالما أخبرني إحساسي بأنك على تواصلٍ مع أحدٍ ما، وأنا أردتُ  
اكتشاف هويّته بنفسي، ولطالما رفضتِ البوح بالحقيقة، فاتّخذتُ  
القرار وأنا بين أهلي وناسي أن أبقى معك ما بقي لي من عمرٍ يا  
صغيرتي؛ لأنّ عشقي لكِ فاق الحدّ والوصف، وأنا أريدُ منكِ  
الصّدق في النّيّة ليس إلّا، وحينئذٍ سيكون الفؤادُ مسكناً لكِ  
وقصراً.

اتَّفَقْنَا عَلَى ذَلِكَ، وَتَعَاهَدْنَا أَمَامَ اللَّهِ أَلَّا تَخُونِي الْعَهْدَ، لَكِنَّكَ خَنَيْتَهُ،  
فَالْخِيَانَةُ تَجْرِي فِي دَمِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ قَرَّرْتُ فِي خَلْدي أَنْ أُتَبَيَّنَ  
الْأَمْرَ، فَأَنَا لَا أَتَحَمَّلُ مِنْكَ الظُّلْمَ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَظْلَمَ أَحَدًا.

حِينَ فَتَحْتُ صَفْحَتَكَ الزَّرْقَاءَ وَجَدْتُ رَفِيقِي فِي شَرِيطِ الْبَحْثِ،  
وَهُوَ أَوَّلُ اسْمٍ لَدَيْكَ، وَاسْمِي مِنْ بَعْدِهِ، فَبَدَأْتُ الشُّكُوكَ تَتَحَوَّلُ إِلَى  
حَقِيقَةٍ مُؤَلِّمَةٍ قَاسِيَةٍ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي تَوَصَّلْتُ إِلَيْهَا، وَيَا  
لَيْتَنِي مَا تَوَصَّلْتُ. يَنْبَغِي لِبَعْضِ الْأُمُورِ أَنْ تَبْقَى مَخْفِيَةً عَنَّا كِي لَا  
نَنْهَارُ مِنْ بؤْسِهَا. تَمَنِّيْتُ الضِّيَاعَ عَنِ نَفْسِي وَأَنْ أَتَوَّهَ عَنِ جَسَدِي،  
فَلَا يَلْتَمَّ شَتَاتِي أَبَدًا، أَنْ يَتَوَقَّفَ قَلْبِي عَنِ النَّبْضِ، فَلَا أَصِلُ إِلَى مَا  
وَصَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ كَارِثَةٍ تَعَامَلْتُ مَعَهَا بِبِرُودٍ يَقْتُلُ أَكْثَرَ مِنَ الْحَقِيقَةِ  
نَفْسِهَا.

سَأَلْتُكَ -بِاللَّهِ عَلَيْكَ- أَنْ تَخْبِرَنِي، فَأَنْكَرْتَ الْحَقِيقَةَ، وَبَدَأْتَ  
بِالصُّرَاخِ وَالْغَضَبِ مُؤَكِّدَةً أَنَّكَ صَادِقَةٌ.

لا تُرهقي إحساسي الجميل بكِ، فالعشقُ من أجلكِ قد خُلِقَ، وأنا  
دونكِ غارقٌ في متاهةٍ يستحيلُ الخروجُ منها، والأمرُ يتطلَّبُ أن  
تعطيني عالمَ أسرارِكِ ومفاتيحَ قلبِكِ.

أين أنتِ يا جمالَ الحياةِ وروعةَ البحرِ والسَّمَاواتِ؟

أين أنتِ يا جمالَ البداياتِ وما قبلَ البداياتِ ويا روعةَ الصُّدفِ؟

ملكِ الرُّوحِ بصدفةٍ من قدرٍ، وبكِ فُرنِنتِ السَّعادةِ، وأنا مازلتُ  
أحبُّكِ رغمَ الآهاتِ والجراحاتِ.

آدم: أحتاجُ بعض العزلة والكثير من السكينة.

حواء: أحتاجُ البقاء معك مدّة من الزّمن، ربّما قرناً أو أكثر بقليل.

آدم: أحتاجُ الفرار من ضجيج أفكارى ومشاعري.

حواء: أحتاجُ رمي ما في داخلي والإبحار إلى أعماقك.

آدم: أحتاجُ إليك، فلا تضيقني عليّ، يكفيني صراعُ نفسي.

حواء: أنا نفسك المتعبة وفؤادك المحطّم، فلا تباعد.

آدم: ابتعدتُ بعد أن تأدّيت، ووصل وجعي إلى أعلى قمم الألم.

هل تدركُ معنى أن تهيم بك أنثى مستنزفةٌ تلاشت رغبُها في  
تكوين علاقةٍ جديدةٍ لكنَّها استثنتك؟ إنَّها تحبُّك يا صاح.

أتذكرُ روعةَ البداية؟ كنتُ حينها خائفةً على الدَّوام من خسارتي  
لكَ وخذلانك لي بينما كنت دائماً تطمئنُّني ألا أخاف من هذه  
اللَّحظة، فهي لن تحصل أبداً، لكنَّ شعوراً ما دفعني لتصديق  
أحاسيسي بأنَّك ستمشي اليوم قبل الغد أو الغد قبل ما بعده، وكنتُ  
أصدِّقُ ما ينتابني حين أجدُك دائماً الشَّكوى منِّي وعلى استعدادٍ  
دائمٍ للرَّحيل إلى مكان لا يجمعنا وإلى دنيا جديدةٍ لا وجودَ لي  
فيها.

كم مرَّةٍ صرختُ في وجهك أفندُ اتَّهاماتك لي! افهم أني مصابةٌ  
بداء النِّسيان، ولم يكن ذلك عن عمدٍ كما كنتَ تدَّعي دون أن  
تعرف الأسباب الموجبة. صديقك الذي بتَّ تكرههُ بسببي لم يعد

بيني وبينه شيء، ولكن كنتُ أحبُّ أسلوبه في الكتابة، وأنا  
أستطيعُ الفصل بين الحبِّ وغيره من المشاعر. كنتُ أحبُّ قراءة  
ما يكتب، وما بحثتُ عنه لأكثر من ذلك، فلا يأخذك الشكُّ بعيداً  
عن ساحتنا؛ لأنه لم تعد تربطني به أيُّ علاقة. قد انتهت منذ زمنٍ  
ليس بالبعيد. أمّا أنت الآن فمالكُ فوادي الجريح، فلا تزد الشرخ  
يا عزيزي. أنت تتعبني بشكِّك كما تتعبُ نفسك.

منذُ أن ابتدأنا الهوى لم أحنك ولو في الذّاكرة، كما لن أخون عهداً  
قطعته على ذاتي بأن أصون الحبَّ ولا أفرط به أبداً، ودليلُ  
صدقي هو إعطاؤك أرقامي السريّة دون مخافةٍ، فكنتَ أوّل من  
أعطيه إيّاها؛ لأنّك الحياة الخالدة والبسمة الصّغيرة بعد طول  
خصام، أنت العناقُ الطويل بعد هجرٍ طويل، فلا تغب ولا تعاتب.  
يكفيك حبّي، وبه نعيشُ عمراً بأكمله بصفاءٍ وهناءٍ، فالحياةُ دونك  
صباحٌ دون ندى وسعادةٌ دون بسمات.

لن أتخيّل الحياة دونك، فهي حتماً ستكون بلا لوني. قلبي يحتاجك  
على الدوام؛ لأنّ الأحلام ارتسمت في واقعي مذ لمحتك عيناى،

فأعلنتك ملهماً لكتاباتي. أنت عالمي وحياتي، أنت الداء والدواء.  
حُبُّكَ عالمٌ كبيرٌ يفوقُ الوصفَ والمشاعر، وهو هبةٌ من الله. إنَّه  
متجدِّدُ العطاء كالربيع، فلا تغب كي لا تغيب معك الحياة.

آدم: من أجمل مشاعر الحبّ هو شعورنا بالأمان، ومن أسوأها  
عدم الأمان.

حواء: إذن، امنحني إياه لعلّ مخاوفي ترحل، فيبقى حضنك  
ملاذي وأمني.

آدم: طالما يدك تحتمي في يدي أنتِ في أمانٍ دائم.

حواء: أتمنى ذلك، ولكن أخشى أن تسحب يدك فجأة، حينها  
سأبحث عن يدي الأخرى لتمسك بي، فلا تدعني أجرب هذا  
الشعور.

آدم: لن أتخلّى عنها، ولكن في المقابل كوني صادقةً معي في كلّ  
شيء.

لهفتي كانت قويّة جداً حتّى صُدمتُ بواقعٍ لا أرغب به، لم أنزعج  
من حديثك المتكرّر، ولكن أزعجني ما لم تبوح به وكأنّه سرٌّ  
يوشك أن يخرج ثمّ يغرق في قاع ذاكرتي. افهمي الأمر يا  
صغيرتي، فأنا أتألم كثيراً لحال الغرام الذي وصلتُ إليه، فهو ولع  
المحبّ بالحبيب، وما حبُّك صانعٌ أكثر ممّا صنع.

بدأ شعورٌ غريبٌ ينتابني؛ إذ بدأتُ أشعرُ وكأنّك لصيقتي في  
حجرتي الصّغيرة، وعلى سريري وبين راحتي يديّ أعانقك كلّما  
غزا الشوقُ قلبي. أعانقك وأنت في حضني تتدلّعين والشوقُ إليك  
يكادُ يُفنّئ أضلعي، فارحمي ما بي من ألمٍ وعذابٍ. تعالي  
واقتربي أكثر فأكثر، ثمّ حدّثيني وكأنّك تُحدّثين نفسك.

ليالٍ كثيرةٌ مرّت أفقدتني صوابي، فكنّتُ أنهضُ فيها في منتصف  
الليلِ باحثاً عنك وكأنّك تقضين اللّيلي في جوارِي. ماذا فعلتِ

بالقلب والعقل يا هذه؟ ربّما لأنّك تزوريني في الأحلام كثيراً  
كنتُ أشعر بها حقيقةً وليست خيالاً.

حين أشتاقك في اللّيل البارد الطّويل أتأمّلُ صوركَ المحفوظة  
لديّ، وأبدأُ رحلة البحث عنك من جديد. عدتُ أطلبك بقول  
الحقيقة مهما بلغت بشاعتها كي أصفح، سأقبلها كما هي شرط أن  
تكون مكتملةً وصادقة، لكنّك سرعان ما تغضبين وتقولين لي  
بلسانٍ سليطٍ:

- "لستُ كاذبة".

إذن، من الكاذب؟ ما هدفي من اختلاق مثل هذه القصص وأنا  
الذي أردتُك حلالاً يا صغيرتي؟

بدأتُ أهددك بالرحيل كي أجبرك على الكلام، ولكن حين أرى  
دموعك تسيلُ يحترقُ قلبي قبل وجنتيك. أراكِ تنتحبين بصوتٍ  
عالٍ وتتوسّلين إليّ بالبقاء الطّويل، ومن ثمّ البقاء الدائم. أتألّمُ  
لألمك فأشعرُ به، أسمعُ نداءً استغاثةً منك كي لا أرحل عنك

فأرميكِ في أحضان ذئاب الدُّروب البشريَّة. تريدين منِّي حمايتكِ  
من نفسكِ أوَّلاً ومن الآخرين ثانياً.

لمستُ فيكِ صدقَ القول، أدركتُ أنَّكِ فعلاً تائهةٌ باحثةٌ عن درب  
الاستقامة على يديّ، فعدتُ أفنِّشُ أكثر وأقترب أكثر كي أعرفكِ  
أكثر ممَّا عرفتُكِ، فوجدتُ فيه أسماء كثيرةً قد حُذفت بالكامل،  
واستطعتُ فتح معظم المحادثات، ليست كلَّها، وحينئذٍ قرَّرتُ  
مواجهتكِ بما اكتشفتُ، ولكن ما جدوى ذلك؟ فأنتِ لن تعترفي.

أصابني الانهيارُ، فوقعتُ أرضاً ممَّا رأيت. نديتُ غرامي  
الصَّادق، فكيف لكِ أن تكذبي على قلبي الصَّادق وتخدعيه؟!  
قرَّرتُ ألا أسكتَ وأن أريكِ ما وصلتُ إليه، فكفأكِ لعباً بقلبِ هامٍ  
بكِ. صُدمتِ ممَّا بين يديّ، فلم تتوقَّعي أن أصل إلى ما كنتِ  
تُخفينه عني. صمتِ ريثما أعدتِ ترتيب أفكاركِ، وانتقيتِ  
كلماتكِ، ثمَّ بدأتِ بحديثٍ طويلٍ سقط نصفه سهواً منك. أعطيتني  
ماضياً صغيراً لا يقترن بماضيكِ الحافل بالإثارة والغموض،

وهو ما أغضبني منك كثيراً؛ لأنك خدعت القلب الذي منحك  
الغرام الصادق.

حدّثني أكثر، أخبريني بكلّ شيء، فأنا أريدُ أن أسمعك وحسب.  
فجأةً تصمتين، ثمّ تقولين بإرهاق:

- "لا شيء جديد. قد منحتك ما تريد، وأنا لم أخدعك يا صديقي،  
لكنني خشيتُ أن تلتبس الأمور عليك، فتراني بمنظور أخرى لم  
تعرفها من قبل، لكنني أحببُك".

وأنا أغرمتُ بك كثيراً، لكنّ هذا ليس دافعاً لإغماض عينيّ عن  
حقيقتك. لم أقوَ على الابتعاد عنك، فأنتِ الهواء لرتتي.

لم أكن على ما يرام حينها، فعقلي شُغل بك كثيراً، حتّى تهتُ في  
صورك وفيما فعلته بي. ذبلت عيناى من كثرة ما تأملتُ تقاسيم  
وجهك الناعمة، والقلبُ قد تألم كثيراً، ومع ذلك وقفتُ على قدميّ  
كي يراني الجميعُ بأنّي في أحسن حالٍ، وأنّ الشرخ في القلب قد  
كبر حتّى لم يعد بمقدورك أن تضمّديه. يُعذّبني تناقضي هذا وأنتِ

السَّبب، فكَلَّمَا كبرت الجراحُ لجأتُ إلى سريري لأحضنِ صوركِ  
وأنام. أَلستُ معتوهاً في ذلك؟! أهربُ إلى صوركِ حينَ تعذبيني،  
وأهربُ إلى الخيالِ حينَ تفتكين بأمالي.

وحينَ يسألونني عن سببِ شرودي أصمتُ وأنتِ في الخيالِ  
تمرحين، ثمَّ أجيبُهُم بهدوءٍ:

- "لا شيء البتَّة".

أتمنَّى لو كان بإمكانهم الولوجُ إلى عالمي كي يعلموا كمِّيَّة الشَّوقِ  
المختزنة في داخلي، الشَّوق الذي يزدادُ نكبةً إثرَ نكبة.

آدم: الحزنُ في القلب يعصرني، فكَلِّمًا تَفَقَّدْتُ ذَاكَرْتِي لَا أَجْدُ  
سوى فِتَاتٍ من أَحْلَامٍ مَهْتَرئةٍ، وَقَلِيلٍ من ذَكَرِيَاتٍ بِالْيَةِ، وَالكَثِيرِ  
الكَثِيرِ من الآلامِ.

حواء: لَكِنِّي مَعَكَ، فَلَمَّ الحزنُ يَا سَيِّدَ القَلْبِ وَمَالِكَ الرُّوحِ؟

آدم: سِيَّاتِي اليَوْمُ الَّذِي أَتَفَقَّدُ فِيهِ طَرِيقِي، فَلَا أَجْدُ سِوَى آثَارِ  
رَحِيلِكَ عَلَى رَمَالِ جَسَدِي.

حواء: من أَخْبَرَكَ بِأَنِّي رَاحِلَةٌ؟ أَنَا لَا أَستطِيعُ البعدَ عَنكَ.

آدم: أَخشى أَن تَجْبِرَنِي أَفْعَالِكَ عَلَى الرَّحِيلِ.

رحيلك كان متوقَّعاً، فأنتَ تخشى العوم في العلاقات التي لا فائدة  
منها، لكنَّ التَّوقيت يا شقيق القلب كان قاتلاً حدَّ التَّعب.

نعم، فعلتُ ذلك، واعترفتُ بأخطائي التي ندمتُ عليها لاحقاً. أنتَ  
محقٌّ في قول ما يخلو لك؛ لأنَّك المصيبُ وأنا المخطئة، لكنِّي  
خشيتُ أن تتشوَّه ملامحُ الحبِّ في عينيك، خفتُ من تلوثي في  
نظرك، فأنا قد أحببتُك ومن يحبُّ يخشى مثل هذه النَّظرات،  
وليس هذا فحسب، إنِّي أحببتُ كلَّ شيءٍ فيك، فارحمني واغفر لي  
يا أمير الفؤاد.

إن كنتَ ولهان فبِمَ أصفُ حالي؟

أعترفُ لك أنَّ حبيِّ لك ينقصُهُ الكثير وأنَّك سبقتني بأميلٍ كثيرةٍ  
في درب الحبِّ والغرام. قد عشقتني في سنواتٍ خلت، وأنا  
مازلتُ تلميذةً في الصُّفوف الأولى. ساعدني يا معلِّمي كي أصل

إلى ما وصلت إليه. لا تُعاقبني بالهجر والابتعاد، قابلني بالحبّ  
والحنان، ألسّت الأمان بالنسبة لي؟! كن كذلك، لا تتحرف عن  
المسار ولا تهرب، فأنا أحتاجُك وأحتاجُ قلبك وظلّك وطيفك،  
أحتاجُك حبيباً وصديقاً وأخاً وأباً وابناً وزوجاً ورفيقاً، فكن الأب  
الرّحيم بقلبي.

كذبتُ في البداية كي أحافظ عليك، لكنني لم أكذب لاحقاً، فضلتُ  
الصدق في أحيانٍ كثيرةٍ ومع ذلك لم تصدّقني. لك الحقُّ في هذا،  
فأنتِ بتّ لا تثقُ بي، بتّ تخشاني رغم أنّي مازلتُ في قلبك  
أعيش، ومازلتُ أحبُّك رغماً عنك وعن المسافات.

مستعدّةٌ لفعل المستحيل كي نسعد معاً، فأنا مثلكِ بتّ أشعرُ  
بأنفاسك على سريري كما أشعرُ بيديك تعانقني. بتّ أتمنّاك زوجاً  
كما تمنّيتني. هكذا اتّحد حلمانا ليشكّلا حلماً واحداً وهدفاً واحداً،  
فتنازل عن الجزء المتبقّي من حقّك طالما أنّك غارقٌ في قاع  
النسيان ولا مجال لاستعادته، فأنا لا يهمني سواك، وأنتِ مثلي.  
تعالِ نعش معاً، فما تبقى من العمر جديرٌ أن نتركه لنا ونعيشه

بمفردنا دون خصامٍ، نعيشه وروح الحبّ تغمرُ قلوبنا، فالماضي  
ليس مهمّاً بتاتاً، والحاضرُ هو غايتنا كمستقبلنا.  
أشتاقُك كثيراً، وأتمنّى رؤية وجهك أمامي لا من خلف الشّاشة  
كي يتسنّى لي لمسُة بيدي ومن ثمّ أموتُ، فلا يهمني أمرُ نفسي،  
ما يهمني أن ألمسك؛ لأنّي قد تعبْتُ من الشّاشة الصّغيرة. تَبّاً  
للجغرافيا! كيف لها أن تبعدك مساحاتٍ شاسعةٍ وفي الخرائط  
تقترب المسافات؟! وماذا عن قلوبنا وهما يتعانقان رغم القيود  
والحدود؟!!

آدم: عندما تنتهي الرواية ستنتهي صفحات منّا وتقتلنا صفحات  
أخرى.

حواء: سنمزقها، وسنكتب أخرى تمننا.

آدم: ستنتهي أيضاً كغيرها، وسينتهي حلمنا فيها، وستتهيأ كيفما  
شاءت.

حواء: وسنظل نكتب ونكتب حتى نكتب ما يليق بنا.

آدم: سيأتي اليوم الذي ينفذ فيه حبرك، وسنتهي في نصف صفحة  
من رواية النسيان.

حواء: سأحضر حبراً لا ينفذ، وسأبقى أكتب لظلك ألف رواية  
ثمجد حب الأرواح.

لقد رأيت الشَّرْخَ في انِّسَاعِ، ولمحتِ الألمَ في العينينِ، ومررتِ  
مروراً عابراً وكأنَّ الأمرَ برمته لا يعني لك شيئاً، كيف استأمنتك  
على القلبِ الجريحِ؟! كيف؟!!

أكنتِ صادقةً فيما تقولين؟ بالطبع لا. اعترفتِ بذنبك الكبير، ولكن  
ماذا عن ذنوبك التي أبقيتها سراً بينك وبين نفسك؟!!

أعودُ إليك يا حواءَ على أمل أن تتغيَّري، وأنظُرُ فأرى لمعة الحبِّ  
في عينيك. أخبركِ بشغفي الشديد بكِ، فليلي هو أنتِ، ونهارِي  
يتحدَّثُ عنكِ. أرجوكِ يا ابنة القلبِ أخبريني بما أغفلته عمداً،  
تحرَّري من صفة العناد كي نلتقي، فقد اشتقتُ لمعانقتك. أريدكِ  
زوجةً أفتخرُ بها أمام الجميع وملكةً للبيت الذي أبنيه، لذا دعينا  
ننجز ما لدينا ونتحرَّر من كلِّ الأعباء كي نبقى إلى الأبد معاً، إلى  
ما بعد الأبد.

الشَّغْفُ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الْحُبِّ وَلِعَاءً، وَأَنَا قَدْ شُغِفْتُ بِكَ حُبًّا شَدِيدًا،  
وَبِحِبَالِكَ تَعَلَّقَ الْقَلْبُ، فَأَصْبَحْتَ الْعَمْرَ وَالْحَيَاةَ.  
ولكن..

ولكن إلى متى؟

سأبقى متشبَّثاً بِكَ حَتَّى آخِرِ لَحْظَةٍ لَعَلَّهَا تَكُونُ لَحْظَةً اخْتِيَارِكَ لِي،  
وَحَتَّى لَوْ لَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ وَاخْتَرْتَ خِيَاراً مُؤَلِّماً بِأَنْ تَضْعِيَنِي فِي  
خِزَانَةِ ذَاكَرَتِكَ وَحَسَبَ فَأَنْتِ حُرَّةٌ فِي اخْتِيَارَاتِكَ، وَأَنَا مُسْتَعِدٌّ لِهَذِهِ  
السَّاعَةِ، وَقَدْ جَهَّزْتُ لَهَا شِرْحاً أَكْبَرَ فِي قَلْبِي، لَكِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ يَا  
سَيِّدَتِي أَنِّي رَجُلٌ فِي الصِّدْقِ لَا وَجُودَ لِمِثْلِهِ وَأَنْتِ سَتُخْسِرِينَ  
رَجُلًا أَحَبَّكَ بِصِدْقٍ وَوَفَاءٍ، وَجَاهِدْ كَثِيرًا لِجَعْلِكَ زَوْجَةً لَهُ فِي  
الْحَلَالِ، سَتُخْسِرِينَ رَجُلًا أَحَبَّكَ حُبًّا لَنْ تَجِدِي مِثْلَهُ فِي بَقَاعِ الْعَالَمِ  
أَجْمَعِ.

أحبتُّكَ حُبًّا لَوْ تَوَزَّعَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لِأَزَالِ الْخُدَاعَ وَالْغَدْرَ  
وَالْخِيَانَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ سَتُنْسِينِي عِنْدَ أَوَّلِ مَحْطَّةٍ جَدِيدَةٍ، وَسَأَجِدُ

نفسى قد سقطتُ من قائمة الأصدقاء، وبالرَّغم من هذا الشُّعور  
الذي ينتابني كثيراً إلا أنني أُحِبُّكَ أكثر من الكثير بكثيرٍ، وحتى  
اللَّحظةِ الأخيرة سأظلُّ أتأمَّلُ أن تسقيني كأس الأمل بيديك وأن  
تشتري الحبَّ بالماضي، فلا تجزعي يا صغيرتي، سَأَبقى قَربَكَ  
مهما بلغ حجمُ ماضيكِ ومهما بلغت بشاعته، ولن أتخلَّى عنك.  
يكفيني الصِّدْقُ يا صغيرتي، فأنا لا أريدُ منك غير الصِّدْقِ حتَّى  
أبقى معك طوال العمر، وسأكونُ سماءكِ التي فيها تطيرين، فأنتِ  
عصفورتي التي بين ذراعيَّ تحتمين وتُغرِّدين.

آدم: أحببتك كالمسكن الأوّل الذي لا أريدُ أن أسكن غيره. عشقتك  
كالوطن الحاني، ولا أريدُ الانتماء لغيره.

حواء: أنتَ ساكن الفؤاد، ومن المستحيل إخراجك منه؛ لأنّك  
دفعُ الوطن وخصوصية البيت الصّغير.

آدم: بدأتُ معك، ولا أريدُ الانتهاء إلّا معك.

حواء: نبض قلبي بالحبّ لأوّل مرّة حين كنتَ معي، وأرجو من  
الله ألا يتوقّف النبضُ إلّا معك.

خشيتُ أن نضيع معاً في النهاية مع العلم أننا خطونا الخطوة  
الأولى في الطريق معاً كما كنا نعرفُ كلَّ الحارات المتداخلة  
فيها، وهذا ما حدث، ففي المنتصف خاننا الطريق. لم يكن الأمر  
يسيراً كما ظننا، بل كان شاقاً لا سيّما حين غدت المداخل كلّها  
متاهات.

وهكذا لم يفضِ بي الطريقُ إلى قلبك، وبعدت عني في متاهاته  
باحثاً عن قلبي أملاً بأن تصله ذات يومٍ، ولكن في حينها أكون قد  
وجدتُ الطريق ونجوتُ وحدي، وعندئذٍ سأجلسُ على رصيف  
الذكريات قبالة أنتظرُ عمراً يأتيني بك.

قد شُغفتُ بك حباً، وصرت الحياة والعمر الجديد، وبتُّ أنامُ  
متوسدةً ذكرياتنا، فأستيقظ على أنفاسك وأشعر بقرب روحك  
مني، أشعرُ بأنفاسك الصاعدة التي تكادُ تحرقني.

لَمْ تبتعد عندما لا أطيعُ الحديثُ عن الماضي؟

بِتَّ تهجرني وأنا امرأةٌ تكره الهجران، فالهجرُ لم يُخلق لنا.  
أرجوكِ كن رحيماً بقلبي وكُفِّ عن العبث بحجم المسافات، فأنتِ  
من تزيدُها أميالاً.

إننا لا نملكُ رباطاً يربطنا سويّةً سوى هذا الهاتف، ورغم ذلك  
تهجرني، ومهما فعلتَ تبقى عاجزاً عن هجر الحبِّ، فالحبُّ  
عصفورٌ صغيرٌ عشَّش في قلبك، قصصتَ جناحيه رغماً عنه  
وبغفلةٍ منه، فبات عاجزاً عن التَّحليق. أتكونُ قاسياً عليه لدرجة  
أن ترميه خارج فؤادك المتعب؟! أبقه عمراً بأكمله، فالحبُّ لا  
يليقُ إلا بالرجال أمثالك.

شعورُ الألم في داخلي يزدادُ يوماً إثر يوم كوني لم أكن ملائمةً لك  
وكونك لم تكتفِ بي، وعند رحيلك لم تخبرني أنني بريئةٌ ممّا  
نسبته إليّ من تهم، فقد هجرتني بعد أن رميتَ حججك الصَّغيرة  
في وجهي واختفيتَ عن ساحتي. لم تخبرني أنّك اكتفيتَ بي وأني

كنتُ كلَّ شيءٍ في حياتك، فضلت اللعب في وادٍ آخر لا أعرفه،  
وتركتني أبكي عقدة النقص فيّ، تركتني خراباً فوق خرابي.

دعنا نعد لحديثنا، ليس ثمّة ما يستحقُّ الكلام، ولا دخل لك  
بماضيّ. عاقبني على حاضري الذي بدأتُ به معك وعلى  
مستقبلي الذي سأنهيه معك، ولكن اترك عذاب الماضي لأهله،  
فليس لك طاقةٌ على فتح أبوابه؛ لأنّ روحك ستزهق على أبوابه.

لن أقول أكثر ممّا قلته، فلا تضغط عليّ بالهجر يا صديقي؛ لأنّي  
أكره الهجر وأخاف أن أعتاده مع الأيام، أخاف التحوّل إلى كتلة  
جليدٍ قاسيةٍ، وحينئذٍ لن تساعدني حرارةُ حبّك ولهبيةُ المتصاعد،  
فكن لي خير سندٍ، أرجوك.

آدم: حين شُغِفْتُ بِكَ أدركتُ أنّي لم أعد ملكَ نفسي ولا أعيش لأجلها.

حواء: كيف غدوت؟

آدم: اندمجتُ بِكَ، وبدأتُ أعيشُ حالةَ وجدٍ دائمةٍ، فماذا عنك؟

حواء: لا أعرف، لا أستطيع تفسير الحبّ الذي استحوذ عليّ، وبالرغم من كوني كاتبةً إلا أنّي أمام وصفك ووصف الحبّ أتحوّل إلى بلهاء لا تفقه القراءة ولا الكتابة. باختصار كلُّ الحروف تنحني أمام وصف عظمة حبّك.

لا تهربي يا صغيرتي، فأنا كلفتُ بكِ كلفاً شديداً، ولا سبيل لديّ  
لتركك. نعم، أهجرتُ وأبتعدتُ عندما أشعرُ أنّك دستِ الكرامة،  
فأهرب للبقاء بمفردي، ولكن لا أقوى على الرّحيل عنك.

تعالى نتعاهد عهداً جديداً، أن تحدّثيني عمّا يجثم على صدرك من  
أحزان وآلام. تعالى لنتناقش في شتى الأمور، ولكن لا تختفي عند  
محاولتي خوض أحاديث جديدةٍ، فأنا أدركُ أنّ هناك ما تخفيه  
عني، وإحساسي كان صادقاً في معظم الأحيان إن لم يكن فيها  
كلّها. لقد حاولتُ أن أثقلَ عليكِ بمحاصرتكِ بالأسئلة وبأني إنسانٌ  
بطيء الاستيعاب، حاصرتهُكِ بشتى الوسائل، هدّتهُكِ بالانسحاب  
وبهجرٍ يطول ويمتدّ، أغريتهُكِ بالزّواج، أغريتهُكِ بحبٍّ لذيذٍ مليءٍ  
بالكلف والولع، ولكن لم يجدِ ذلك نفعاً معكِ؛ إذ إنّكِ تمنّعتِ أكثر  
فأكثر، وعنادكِ بلغ حدّاً بعيداً، وأصبحتِ أكثر حدّة. بتّ تصرخين

في وجهي كثيراً، وحين أهربُ منكِ تبكين وتتوسّلين لي بالبقاء،  
تعذرين مراراً وتكراراً، حتّى أدركتُ أنّك لا تستطيعين العيش  
دون رجلٍ يحاصركِ بالحبِّ والولهِ، فأنتِ تخشين الوحدة ولا  
تريدين مني ترككِ وحيدة.

لم يكن حبّاً، فأنتِ لا تعرفين الحبَّ ولا تعترفين به.

آه يا ابنة القلب، أستطيع إخباركِ بذلك دونما خجلٍ، فأنا رجلٌ لا  
يعرفُ الكذب على حبيبتِهِ.

حاصرتكِ كثيراً حتّى جعلتُ ليلكِ تفكيراً طويلاً ونهاركِ أسئلةً لا  
حصر لها، حتّى وقعتِ في الحفرة التي حفرتها لكِ. أتيتِ إليّ في  
صباحٍ باكرٍ تستغيثين وتطلبين العون، اعترفتِ باعترافاتٍ خبّأتها  
عمداً في خزانة ذاكرتكِ وأنا أسمع وأتألّم دون أن أبكي. وها أنذا  
أخبركِ بما أنكرته وحجبتَهُ عنّي من تفاصيل. سمعتكِ حتّى  
النهاية، قلتِ لي حينها:

- "لقد تعبتُ يا صاحبي، ولم يعد لديَّ جلدٌ وقوَّةٌ على حملِ حملٍ ثقيلٍ كهذا، والآن لم يبقَ في جعبتي شيءٌ مخترنٌ".

أنتِ كاذبة! مازلتِ تخدعين قلبي، وبينَ فؤادكِ وصدركِ أسرارٌ لا تبوحين بها لأحد، وقد فضلتِ الصَّمْت، ثمَّ بدأنا معاً نناقشُ تلكَ الأمور. أخبرتيني أنكِ ارتحتِ الآنَ لكنِّي لم أسترح بعد، فمازلتُ متعباً على ضفافِ ماضيكِ؛ لأنَّ الذي رأيتهُ أضعاف ما ذكرتهُ وأنتِ لم تتفوَّهي به، ومع هذا سأجاريكِ بلعبتكِ الصَّغيرة، فأنا أريدُ بلوغَ النِّهاية معكِ، وأتمنَّاها أن تكون سعيدةً يا أميرتي، فأنتِ لا تستطيعين الهروب من جنَّةِ حبِّنا، وأنا الوحيد الذي كلف بكِ وأدرك أسبابَ وحدتكِ كلَّها وجعلها ماضياً منسياً. إنِّي أعرفُكِ أكثر ممَّا تعرفين نفسك وأراكِ في كلِّ الأشياءِ المبهجة.

لم أطرق بابَ قلبك ولم أهرب كالأطفال، كما لم أكن عابر سبيلٍ ولى وانقضى، كنتُ لكِ منارة حبِّ مضيئةٍ، دخلتُ من بين فراغات أصابعكِ كالعطر الذي تستنشقيه يوماً في غفلةٍ منِّي، فعطرُ الجميع يتعبني، وعطركِ وحده يحييني.

لا تحتاجين أن تشرحي لي آلامك؛ لأنني شاهدتها تتحرّك في قلبك  
ثم ولت إلى قلبي، كما أنك لن تحتلمي الهروب أكثر من ذلك؛  
لأنك حين تستيقظين ستدركين أنني لم أعد موجوداً معك،  
وستعرفين حينها أنني كنتُ بين يديك أرتجي حبك فضيحتني،  
وستعودين لترتجي الحب الذي كان، باكيةً ضياعه، ولكن هيهات  
أن يعود إليك.

افهمي رسالتي هذه؛ لأنني مقهورٌ معنوياً ونفسياً ولا أستطيعُ  
الكتابة لك كثيراً رغم أنني تمنيتُ أن أكتب، فكلانا سقطنا ولن  
ننهض أبداً.

رسالتي هذه ستؤلمك؛ لأنها مليئةٌ بالصدق الذي تخشينه، ولكني  
أعتقد أيضاً أنها ستكون كالطرق على غطاء الثّابوت، مهما  
طرقت لن توقظي ما فيه ولن تستيقظي من سباتك إلا بعد فوات  
الأوان.

آدم: ستستمرُّ الحياةُ بعدك، ولن تتوقَّف، كما لن ينقطع الهواء،  
وإن كنتِ أغلى ما في الوجود.

حواء: لكنِّي سأتركُ خلفي أثراً يجعلُك تشعرُ بالحنين، فنتابعُ  
أخباري كالقطِّ الجائعِ يومياً.

آدم: كفاكِ غروراً! فأنت ستتركين خلفكِ جسداً لا أكثر، وأنا  
أعترفُ أن سعادتي ستموتُ برحيلك.

حواء: ليس غروراً، ولكن هي ثقةٌ بقلب من أحبُّ وأعشق. لن  
تموت السعادة، ستتغيَّر للأجمل، وستولدُ بقلبٍ جديد.

آدم: ستتغيَّرُ بجرح القلب، فتتعدَّبُ الرُّوحُ وترتوي الجفونُ  
بالعبرات.

حواء: غلبتني! أنت مُحقٌّ، فتلك الكربةُ ستكونُ أشدَّ ألماً لحظة  
الفراق.

آدم: حسناً يا وتيني، فعجلةُ الحياة لا تتوقَّفُ بفراق أحد.

حواء: ولكن برحيل أحدنا سيقتلُ الآخر.

أخشى ليلة الفراق الأولى، فلا توصلني إليها. قلبي الذي أُغرمت  
به سيُبتَرُ نصفين، نصفٌ سيتبعك والنصفُ الآخرُ سيبقى في  
جسدي مريضاً لا تداويه أدوية العالم كلها. سأفقدُ نُطقي، فلا كلام  
يواسي ما أنا فيه، وستتوقَّفُ حواسي عن العملِ لساعاتٍ حتَّى إنَّ  
عقلي لن يفكِّرَ في أيِّ شيءٍ حينها، وسأكونُ بلا معنى في هذا  
العالم الكبير، سأكونُ نقطةً صغيرةً في محيطك. سيتوقَّفُ الجسدُ  
عن الحراك وسترمشُ العيونُ كثيراً، وعليَّ أن أكبتَ صرخاتي  
وأتكوِّرَ على ذاتي حتَّى لا أنفجر في وجه أيِّ شخص يسألني:  
- "كيف الحال؟".

أمَّا أنا فلا أستطيع الهمس لإرجاعك إليَّ، ولن أمدَّ يدي للإمساك  
بك، سأفقدُ الوعي لخريفين متتاليين، فخيالُك في السَّقْف يطعن

روح الحبّ فيّ، ومع ذلك أريدُ أن أقف لأصرخ وأندب. إنّه لأمرٌ  
موجعٌ أن أتقبّل فكرة رحيلك مرغمةً، سيكون كابوساً مفرعاً.  
لا أستطيعُ مغادرتك؛ لأنّ جسدي الصّادق سيتألّم كثيراً  
وسيصرخ، سيشتكي ويبكي، لكنّ القلب كاذبٌ يا سيّدي، سيبقى  
ساكناً ومتألماً وكاذباً، لن يصرخ ولن يشتكي، فالحبُّ لم يكن  
للحبيب الأوّل، الحبُّ خُلِقَ لك وحدك، وبك كُبر. لقد أصبح عالمي  
الزّاهي حين أتيتَ وبيدك فرشاةٌ ملوّنةٌ لوّنتَ بها حياتي التي كانت  
غارقةً قبلك بالأسود وحسب. الحبُّ الأبديُّ كُتِبَ لك، ورسمته  
حين أخرجتَ آلامي من عنق الزّجاجة المظلمة، أنت من انتشلني  
من قاع بحرٍ متلاطم الأمواج واستطعتَ بسهولةٍ ويسرٍ نفض  
أوجاع الماضي عنّي، ولم تسمح للماضي بتدمير حاضرنا بل  
جعلته نبراساً لمستقبلٍ باهرٍ سيشرق يوماً لنا.  
ماذا تريد الآن؟ كلّما تحدّثت طالبتي بالمزيد، أتراك تراني  
حاسوباً أستطيع تشغيل تفاصيل ذاكرتي بكبسة زرٍّ!

لا، يا صاحبي، لستُ كذلك! ليس بمقدوري تذكُّرُ الماضي البعيد.  
أنا ابنة الحاضر والمستقبل، ولا أَرغبُ بماضيٍّ؛ لأنِّي أردتُكَ  
حاضري. تعالَ نعيشُ معاً بحاضرٍ نكتبُهُ وننسى كلَّ ما كان من  
قبل. ستقولُ لي بصوتِ عالٍ:

- "لا، هذا من حقِّي، ولن أتنازل عنه".

أتريدُ لعلاقتنا الدَّمارَ بدلاً من بنائها؟! طالما أَنَّهُ لا يُؤثِّرُ في حياتنا  
فدعنا منه، أتوسَّلُ إليكَ. أعرِفُ أنَّ توسُّلاتي لن تجديَ معكَ نفعاً،  
فأنتَ أشدُّ مِنِّي شراسةً في هذا الأمر، ومن ثمَّ تصرَّخُ بي وتنعُنِّي  
بعنادي الذي تمقُّتُهُ كثيراً.

نعم، أعترفُ بعنادي، ولكن معكَ يا صاحب الجلالة أتحوَّلُ إلى  
فتاةٍ مطيعةٍ باسم الحبِّ، فإن كنتَ قد وصلتَ إلى كلفِ الحبِّ فأنا  
مازلت في طور الميل، فارحم درجاتِ الحبِّ التي بيننا. إنِّي  
أخاف الرِّكضَ لاهثةً وراءك، أخشى أن أسقطَ من الأعلى إلى  
أسفلِ درجة، فلا أستطيع اللِّحاق بكَ بعدها.

إن كنت بحبي مجنوناً فأنا للتو بدأت أميلُ إليك ميلاً شديداً، فلا  
تطالبني بالمزيد، ولا تضغط عليّ، كي لا أهرب كالرمل من بين  
أناملك. كن راحتي، واعطف عليّ، وأبقني مدّة أطول في راحة  
يدك حتّى أتذوّقَ حنانك وأتأمّلَ شهدَ ابتسامتك. لا تجعل حياتنا  
رهينةً بـماضٍ لم نختره، فهو من اختارنا، لا تجعلها سوداء  
كالحة، أرحنا في الأيام الباقية، ولنعش جنون الحبّ كما رسمه لنا  
القدر. دعنا نتّجه نحوه خاشعين طائعين، وأيادينا تلامسُ قلوبنا  
وتطلبُ إلى الله الرّأفة بالحبّ والرّحمة.

آدم: طالما أنّ الحزن قد مسّ القلب فلا وجود للحياة في جسدٍ قد شاخ.

حواء: قلبي أيضاً غداً جريحاً، لكن ليس على ما فقد بل على طبيته التي لم يخسرّها في أشدّ الأوقات شراسةً.

آدم: حينما يُكسرُ القلبُ لا يبكي، لكنّه يصبحُ كالهشيم المتناثر، فلا يسعنا ترتيبه مجدداً. أتدرين لم؟  
حواء: لم؟

آدم: حين كُسرَ سقط أرضاً، فبعدت قطعهُ الصَّغيرةُ أميالاً طويلةً، وانقسمت أجزاء صغيرةً ودقيقةً جدّاً، بحيثُ لا تستطيعين رؤيتها ولا الشعور بها، ووحده صاحبُ القلبِ المكسور يُحسُّ بما فقد.

حواء: وأنا أشعرُ بها، وأستطيعُ ترتيبها.

آدم: آه لو تشعرين.

حالي كحال البحر الكبير، الكلُّ يأتي ليشتكى وليس هنالك من  
يسمع شكواه، ورغم أنّي قد نجوتُ من الغرق في بحر حبِّك إلا أنّ  
حبِّك ظلّ دائماً في عينيّ. استقبلتُك بودّ وبصدرٍ رحبٍ، واستمعتُ  
لما يجولُ في خاطركِ من خواطرٍ وأفكارٍ، بينما لم تعلمي بحال  
القلب الذي بكيتِ على جدرانه مراراً وتكراراً. أنتِ وحدكِ من  
تمتلكين الرُّوح والقلب، وفي المقابل لا تهْمُكِ مشاعري  
وأحاسيسي! ألا تعرفين أنّي كالبحر في ثورانه وغضبه وحتىّ في  
الأحزان؟! أتمرّدُ على شواطئِ أيّامكِ، وأثورُ على صمتكِ،  
فتشاركني الرِّيحُ ثوراني وغضبي، وتبكي السَّماءُ معي مطراً  
مدراراً وأنتِ لا تشعرين بهذا كلّهُ.

تعمّدتِ إيذاء قلبي بينما لم أُرِدْ لكِ الأذى، وكلُّ ما أرجوه أن  
يتعافى قلبي سريعاً من هذه الصّدّمات والأوجاع، لكنّكِ تقولين:

- "أحبك كثيراً، وروحي باتت لصيقة لروحك".

- "إذن، لم لم تفعل شيئاً حيال حبنا؟ لم لم تحميه؟"

كنت تواقّة للهروب من أيّ نقاشٍ عادلٍ أردتُ به الوصول إلى هدفنا، فلا تنسيه ولا تغفلي عنه. بتّ باردةً على الدوام كأنك جليدٌ لا يشعر ولا يُحسُّ، وأنا أردتكِ بكامل قوّتكِ وطاقتكِ كي نحمي الحبّ ونبقيّه خالداً. توسّلتُ إليكِ طوال النّهار أن تفعل شيئاً حيال حبنا، وفي اللّيل تهريين منّي باكراً بحجّة صداع رأسك أو إرهاقٍ لا يصيبك إلاّ حين نبدأ خوض المناقشات. لطالما تركتني لحمّي اللّيل وحيداً أسهر ليلي برفقة تبغي وصورك، أتأملها بحزنٍ يكاد يحرقني، متمنياً كسر الشّاشة كي أنال فرصة عنائك والبكاء في صدرك.

كم يلزمني من عناقٍ حتّى أخفّف نار الشّوق الذي يجتاح أضلعي؟! قرناً من الزّمن؟! قرناً عديدة؟! لا أعتقد ذلك، فلن يُخفّف حدّة الشّوق وإن كنت في حضني تنامين.

افهمي يا صغيرتي أنّي أحتاجُكِ كثيراً وأشتاقكِ أكثر من الوجد  
الذي أصابني. أريدُكِ أربعاً وعشرين ساعةً فحسب، سبع ليالٍ في  
الأسبوع. أريدُكِ خلالها كلّها، فأنتِ ملكٌ لي، ولا يحقُّ لكِ  
الاعتراض؛ لأنّي وببساطةٍ متيّمٌ بكِ حدّ الجنون، لذا لن أدعَ ساعة  
نومٍ تسرقُكِ منّي، لن أدعَ عائلتكِ تسرقُ السّاعات الخاصّة بي،  
فكلُّ ما فيكِ ملكٌ لي. أما يكفيني بعدُ المسافات حتّى تقتليني أيضاً  
بالخلود إلى النّوم؟!!

أكرّرُها على مسامعك دائماً:

- "لا ينامُ إلّا مرتاحُ البال".

تضحكين، فيرقصُ قلبي. تتأمّليني من خلف الشّاشة الصّغيرة، ثمّ  
تحاولين تضميد قلبي بكلامك، فتقولين:

- "الحبُّ هو الاطمئنان، وأنا أهرعُ إلى النّوم حين أطمئنُ على  
مكاني في قلبك، ولكن عند الخصام يهربُ منّي النّومُ ويورقني  
السُّهاد، فينهش عقلي القلقُ والفرعُ من الفراق".

أَمَا أَنَا فَلَا أَجِدُ لِلنَّوْمِ سَبِيلًا؛ لِأَنَّ وَحْشَ التَّفَكِيرِ يَسْلُبُنِي رَاحَتِي  
وَيَقُودُنِي إِلَيْكَ، إِلَى مَاضِيكَ وَإِلَى أَشْيَاءَ لَمْ تَرُويهَا، إِلَى الصَّبَا،  
وَهُوَ شِدَّةُ العِشْقِ. هَا قَدْ بَلَغْتَ شِدَّةَ العِشْقِ وَتَجَاوَزْتَهُ، فَهَلْ أَوْفَيْتُكَ  
حَقَّكَ؟ هَلْ أَدْرَكْتَ كَمْ أَنَا مَتِيْمٌ بِكَ؟ إِنِّي مُوَلِّهُ وَمُدَلِّهُ بِرُوحِكَ، فَهَلْ  
لَدَيْكَ تَرِياقُ اللَّامِبَالَةِ لِيَشْفِيَنِي مِنْ دَاءِ أَنَا بِهِ مُصَابٌ؟

اعْذِرْنِي إِنْ اخْتَطَفْتُكَ فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ لِسَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فِيهَا  
سَبْعُونَ دَقِيقَةً، أَقْبَلُكَ فِيهَا عِشْرِينَ قَبْلَةً، وَأَحْتَضِنُكَ عَامًا فِيهَا ثَلَاثَةَ  
عِشْرَ شَهْرًا، وَأَعَانُكَ عِنَاقًا أَقْبِيْدُكَ فِيهِ بِقَيْدٍ مِنْ نَارِ الصَّبَابَةِ قَدْ  
صُنِعَ، فَأَنَا أَحْتَاكُ عَمْرًا وَمِنْ بَعْدِ العَمْرِ سَنِينَ لَا تُحْصَى، فَهَلْ  
تَقْبَلِينَ بَعْدَ مِنَ الحَبِّ يَجْمَعُنَا؟ عَقْدَ نَكْتَبُهُ عَلَى وَرَقٍ مِنَ الوَفَاءِ  
بِمَدَادٍ مِنَ البَقَاءِ.

آدم: فقدتُ رغبتِي في الحياة، ولم يعد يعنيني فيها شيء.

حواء: وأنا؟ هل أعني لك شيئاً؟ لا تقل لي أيضاً أنك لم تعد تنتظرني.

آدم: كلُّ شيءٍ ذهب من بين أناملي، وفي حين كنتُ أشاهدُ وأتأملُ اختفيتِ من أمامي.

حواء: ولكنِّي ما زلتُ أنتظرُك هنا، فأنتَ تعني لي الكثير. لم أهرب من بين أناملك بتاتاً، بل بقيتُ في راحة يدك.

آدم: هل شعرتِ ببرودة يدي حين كنتِ في راحتها؟ هل شعرتِ بنبض قلبي المرتجف؟ وهل رأيتِ الدَّمع وهو يسيلُ على الخدود؟

حواء: شعرتُ بكلِّ ذلك، وكم تمنيتُ أن أشدَّ على يدك فلا ترى بؤساً ولا جحيماً! تمنيتُ أن تعلم أنني في راحة يدك لإسعادك.

آدم: لم تعد الحياة ترهقني؛ لأنني وجعٌ قديمٌ، ولم يبقَ منِّي سوى  
اسمٍ على ورق.

حواء: الحياة أوجعت كلينا، ويجبُ علينا تضييدُ جراحنا معاً لا أن  
يبكي كلُّ واحدٍ منَّا في وادٍ مختلفٍ.

أحببتك وكأني لا أعلم شيئاً عن ألم النهايات، ربّما لأنّ البدايات  
تُزيّن لنا الطُّرقات وتنيرها بأضواء ساطعة، ففسير في دربها  
مبهورين من الأحلام المتموضعة على رصيفها، ومن الآمال  
المتدلّية من أشجارها، تبهّرنا أزهارها الفوّاحة وتغريدُ بلابلها،  
ولكن مع السّير السّريع نبدأ بالتّعثر بحجارتها ونقع في حفرها.  
يخفضُ البلبُّ تدريجيّاً صوته، وتبدأ الأزهارُ بالدّبول، وتغيبُ  
الشّمسُ فيغدو الطّريقُ مظلماً أمامنا حتّى نصل إلى نهايته  
المبتورة، فنقع في سهلٍ كبير. إنّ كلّ من أغرته البدايات يقع في  
ذات السّهل، ولا ينجو منه إلّا من رجع من بدايته ولم يدخله بتاتاً،  
فكان أذكى من البهرج الخدّاع، وأمّا من يصل إلى منتصفه سيبقى  
عالقاً فيه، لا الأمل يتيحه التّقدّم، ولا الخوفُ يعيده إلى الوراء.

قبلتُ، قبلتُ بعقد الحبِّ، وهنا أعهذكُ على الصّدق والوفاء ما  
حييت. لن أخذكُ وسأكونُ معكُ يداً بيدٍ نحو الحلم والهدف.

لكني يا رفيق الروح لا أستطيعُ البقاء معكُ أربعاً وعشرين ساعةً،  
فأنا امرأةٌ ولديّ عائلةٌ وأصدقاءٌ يشاطرونني حياتي، فضلاً عن  
عالمٍ أعيشُ فيه وحدي. أنا امرأةٌ تكرهُ التّمكُّ كثيراً، ولست من  
أثاث بيتكُ لتملكني وتفعلَ بي ما تشاء وترغب، ففي النّهاية أنا  
روحٌ تعشقُ روحاً، فاترك لي مساحةً فارغةً أتنفّسُ بها، لا تخنقني  
بيديكُ وكلامكُ المعسول، ولا تقل مثل هذا الكلام ثانيةً.

وفي أثناء بقائي معكُ ليلاً كنتُ أتجنّبُ النّقاشات والمداخلات  
العقيمة حتّى لا يقعَ الخصامُ وتحدثَ الفرقة التي أخشاها، وحين  
ألمحُ الغضب مرسوماً بين أحرفكُ أهربُ منكُ حفاظاً على عهد  
الحبِّ، فأنا لا أريدُ للغضب أن يتمكّن منّا، فتنبدأ الإهانات من  
طرفكُ لأردّ عليكُ بالمثل، فامرأةٌ مثلي لا تُهانُ يا عزيزي، ولا  
أريدُ أن تأتي اللّحظةُ التي أخشاها وتخبرني فيها أنّك راحلٌ إلى  
مكانٍ أبعد ما يكونُ عن قلبي.

أشتاقك وأبكيك سرّاً وعلانية، لكنّي لستُ مثلك، فأنا ضعيفةٌ في  
التعبير عن مشاعري، ولا أستطيعُ وصفَ حبي الكبير لك،  
فالحروفُ تخذلني حين أبدأ الحديث عن الشوق، وكأنّ لغة الحنين  
لغةٌ لا أفهمها مطلقاً.

لقد حاولتُ الكتابة عنك كثيراً، ولأجلك مزقتُ الأوراق وانهاه  
الحبرُ على النّياب. وفي النّهاية نجحتُ في كتابة روايةٍ كنتُ  
بطلها، ولكَ تقنّنتُ في رسم الخرائط، أنا التي كنتُ فيما مضى  
جاهلةً في الجغرافيا. لقد بعثتُ مدنها ومحوتُ بحارها ومزقتُ  
أنهارها، محوتُ كلّ شيءٍ فيها، ورسمتُك في قلب مدينتي دون  
حدودٍ أو قيود. استطعتُ إلغاءً كلّ ما في الوجود لأجلك وحدك،  
فقرّبتُ المدن، وألغيتُ ما يُسمّى بالمسافات، ومحوتُ الحدود  
الفاصلة بيننا، حتّى أصبحتُ لوحتي أجمل ممّا كانت عليه. كنتُ  
تراقبها حتّى الانتهاء منها، وقد أعجبتك كثيراً، ففيها تحقّق حلمُ  
السّنين.

آه كم هو جميل أن نعيشَ على خريطةٍ من ورق، ونحذف الحدود

متى نشاءُ، ونلغي فكرة المسافات!

آدم: جميلٌ أن تتحقَّقَ الأمنياتُ في النِّهايةِ.

حواء: سنتحقَّقُ بإذنِ الله.

آدم: سيداوي الزَّمنُ حينها الرُّوح.

حواء: الأيَّامُ والحبُّ كفيَّانِ بذلك.

آدم: لن تشعري بي بعد أن ودَّعتُ معكِ أمنيَّاتي واكتفيتُ

بالانتظارِ أمامِ بابك.

حواء: لديَّ مثلكَ رُوحٌ ورغباتٌ، ولعقلي أمنيَّاتٌ أتضرَّعُ إلى الله

بتحقيقها. وبالمُناسبةِ كُفِّ عن الهراءِ، فأنا أشعرُ بك!

كيف نقتعُ الغصنَ المكسورَ أنّ الرّيحَ قد اعتذرت؟!!

كيف تفتنّ الورقهُ الصّفراءَ أنّ هذه مهمّةُ الخريف؟!!

وكيف تُصدّقُ الأشجارُ أنّ ليس للفأس حيلة، وأنّه منها وإليها؟!!

وإن اعتذرتِ هل ستعودُ المياهَ إلى مجاريها؟ وإن عادت هل

ستعودُ صالحه للشُّرب؟!!

هل سنعودُ معاً كما بدأنا؟!!

لقد فقدتُ ثقتي بكِ، وأنتِ السّببُ وراء ذلك؛ إذ كنتِ كلّ شيءٍ في

حياتي، حبي وإحساسي، كما ملكتِ الرُّوحَ والأنفاسَ، جعلتني

أشعرُ أنّي على قيد الحياة أتنفّسُ، ولكن عزّةُ نفسي لن تسمح بأن

يكون قلبي محطةً تستريحين فيها متى تشائين، وحينئذٍ لن أجادل

ولن أعاتب، سأرحلُ بصمتٍ، تاركاً حبيّ لكِ يلفظُ أنفاسه الأخيرة

في داخلي.

سأعودُ إليكِ لاحقاً بولهِ فاضٍ واستفاضٍ، محملاً بأثقالٍ من  
الحنين. حينَ أسمعُكِ وأنتِ تتوسّلينِ إليَّ أن أعودَ سأعودُ مغمضَ  
العينينِ إلى ساحتك.

أتوافقين على شروطِي؟

إن قلتِ "نعم" نتحدّث في الماضي.

ها أنتِ تبدأين بالحديثِ المكرّرِ المعتادِ، ثمّ تصمتين وتقولين:

- ليس لديّ ما أقوله.

- بلى، ثمّة الكثيرُ من الأمور التي أغفلتِها عمداً.

- هاتِها إذاً، ولننهِ هذه النقاشاتِ العقيمةِ بيننا.

أنتِ محقّةٌ في ذلك، ولكن إن منحتكِ ما لديّ كيف سأعرفُ ما

لديكِ، وهو ما لم أصل إليه بعد؟

أومنُ أنّ في المرأةِ جزءاً يبقى سرّاً، فلا يُسمحُ لأحدٍ بالوصولِ

إليه، وهي تُبقي هذا الجانبُ في الخزانةِ، كارهةً أن يطالهُ أحدٌ ولو

كان شديد الوله بها، فلا تقولي:

- "لا أعرف" أو "نسيت".

العلاقات لا تُنسى أبداً، وإنما تبقى محفورةً في الذاكرة.

هل يُعقلُ أن نقضي على علاقتنا بسبب عنادكِ وأسراركِ؟! كنتُ  
قد أخبرتُكِ من قبلُ ألا تفزعي منِّي، فلا يعنيني ماضيكِ بقدرِ ما  
يعنيني صدقكِ في الكلام، فمن كانت صادقةً على الدوام ستكونُ  
في بيتي صادقةً وسأستطيعُ الاحتفاظ بها مدى الدهر. أريدُ لكينا  
أن ندخل البيت معاً، البيت الذي يُبنى كُرمى لكِ، وألا يُعكَّرَ صفو  
الأيام الجميلة شيء، فلا تقتلي الرُّوح التي نضجت في الآونة  
الأخيرة وأنتِ لاهيةٌ عنها، ولا تطلبي فرصةً جديدة؛ لأنَّكِ  
استنفدتِ الفرص جميعها.

آدم: أتدرين ما هو جهاد النَّفس الحقيقيّ؟

حواء: ما هو؟

آدم: قدرتُنا على إبقاء القلب نقيّاً صالحاً رغم كلِّ ما مرَّ به من

أهوالٍ وانكساراتٍ وخيباتٍ وعثراتٍ.

حواء: زدني يا صديقي.

آدم: أن نبقىه أبيض رغم المحن، فلا تتشوّه فيه صفة الإنسان.

حواء: كقلبك وروحك، ونعمّ الجهاد قد جاهدت، ففزت يا أميري.

اليوم سيتكرّر ما قلته لي، الوداع، سيتكرّر كلّ سنةٍ بالخبيبة والألم  
والحسرة نفسها، وستكسرني برحيلك. أنا التي كنتُ بارعةً في  
النّهوض بعد كلّ جرح أتراني قادرةً على النهوض بجراحي  
الآن؟! إن تعافى جسدي فخبيبة القلب لن تشفى بمئة عامٍ.

وجوه الناس في بلادي شاحبةٌ وملامحهم باردةٌ، لكنك ستري  
وجهي أشدّ الوجوه شحوباً وبرودةً، وسترى الخبيبة في قلبي أكثر  
من خبيبات البلد كلّها، تلك الخبيبة التي لن أنجو منها، فاسمك أكثر  
اسمٍ يلفظ في هذا البلد، وأنا لن أستطيع إكمال المشوار بمفردي،  
ودون نصائحك وقلبك الحاني سأسقط في أوّل حفرةٍ تحفرها لي  
الحياة.

اعتدت الأمر كثيراً، هذا ما قلته لك مراراً، فلا تلمني. اغضب،  
كسر الأواني، ارم الهاتف أرضاً، هشم زجاج النافذة، اشتم، ولكن

لا تهجر. لقد بات الأمر عادةً من عاداتك السيئة، وأخشى أن تصبح عادةً من عاداتي، فأعتاد غيابك كثيراً؛ إذ بدأت أعي النهايات قبل حدوثها، وكأنَّ الخطبَ قريبٌ منِّي. لقد أعددتُ العدةَ لكلِّ ما هو جديد، ولبستُ ثوب الحداد الأسود. تأملتُ ساعةً قديمةً توقَّف بها الزمن، ساعةً أعلنت فيها ولهك الشَّدِيد بي، وقد انتظرتُ من السَّماء معجزةً تعيدُ إليها الحياة كي تكمل دورتها كباقي السَّاعات. وضعتُ على مقربةٍ منِّي لصاقةً طبيَّةً كي أضمد بها جرحي، وخيطاً وإبرةً أخيط بهما روحي إن حدث بها شقٌّ هائلٌ.

وبالرَّغم من مروري بهذه التَّجربة غير مرَّة واعتيادي عليها إلاَّ أنَّه في كلِّ مرَّةٍ يتهشَّم قلبي وكأنَّها المرَّة الأولى، وبالرَّغم من اعتيادي على مساوئ النهايات إلاَّ أنَّ قلبي مازال يأملُ الرَّأفة بحاله يا نبض قلبي ووتينه.

أتعرفُ أنِّي أتعدَّبُ مرَّتين؟ مرَّةً على قلبي الغضُّ البريء الذي يقف عاجزاً أمام اتِّهاماتِك، ومرَّةً عليك، فأنا أدركُ أنَّك تسهرُ ليلاك

بأكملة عابثاً بالقلم بين أصابعك، شاردأ في وحدتك، نائماً على  
جنبك، تتأوه كثيراً، وتقلب الهاتف عشرات المرّات، تضيئه مئات  
المرّات باحثاً عنّي، فترميّه أرضاً حين تدرك أنّي لست متّصلة.  
تبّاً للزّمن! كيف له أن يجعل قطعة بلاستيك صغيرة تجمعنا،  
وحين نطفؤها يحين الهجرُ وتُوصد الأبواب، لكنّي لا أريدُ أن  
نبقى بهذه الحال، أريدُ لمس حبّك في الواقع وليس من خلف شاشةٍ  
صغيرة.

تهجرني في بيتك الكبير وتهرب إلى غرفةٍ أخرى، فأتبعك وأنام  
بين ذراعيك كقطعةٍ مذعورةٍ تبحثُ عن الأمان. أخبرك أن لا هجر  
ولا هروب منّي ها هنا، ولكن كيف أتبعك الآن وقد أغلقت كلّ ما  
بيننا من أبواب. أريدك حقيقةً ماثلةً أمامي، فألفُ لعنةٍ على هذا  
الهاتف الصّغير، وألفُ لعنةٍ أخرى على المسافات يا صاحبي،  
فالمسافاتُ هي التي تقتلنا، وبسببها نتشاجرُ لأتفه الأسباب.

أه لو كنتَ معي، لو كنتَ فعلاً معي هنا لكنتُ نظرتُ إليك نظرة  
حبّ تجعلُك تعانقني لا شعورياً وتمسح بيديك شعري بوله وحنانٍ  
لا مثيل لهما.

الماضي، الماضي الذي تطاردني به، كنتُ صادقةً فيما قلته. هاتِ  
دليلك وواجهني به، فليس بحوزتي ما أقوله لك.

آدم: لنمارس لغة الصّمت بيننا.

حواء: الصّمتُ حين نكون معاً فحسب، حينها ستتحدّثُ العيون  
وتسكّثُ الشّفاه.

آدم: الصّمتُ أجمل من المشاجرة يومياً.

حواء: لكنّه يقتلُ الحبّ فينا.

آدم: يُخفّفُ الآلام، فهو أبلغُ من أيّ كلام.

حواء: ستنتهي حينها الأمورُ بسلامٍ وهدوءٍ، وسينتهي الزّمُنُ بها  
إلى شاطئ النّسيان.

آدم: هناك أمورٌ لو تحدّثنا بها لتغيّرت الأقدار، ربّما إلى الأسوأ.

حواء: نصمتُ في حالٍ واحدةٍ، حين تُداسُ الكرامة.

آدم: وهل ثمة كرامةٌ بين المحبّين؟

حواء: نعم، فالكرامةُ شرفُ الرَّجُلِ وتاجُ الأُنثى.

آدم: فلنعد إلى الصَّمت، إن طبَّقنا الفكرة هل سنستمرُّ في زمنٍ  
كثُرَ فيه الكلام؟

حواء: سننهي حبِّنا ونحن صامتون، فلا أستطيعُ أن أقول لك:  
"أحبُّك" بصمتٍ، بل يجبُ أن أنطقها بصوتٍ عالٍ كي يسمعي  
العالمُ كلُّه.

هذا الشِّتَاءُ سيكونُ كريماً معنا، فكثيرٌ من الآلام قد حدثت في فصل الصَّيفِ. لقد نزل المطر مداراً كما اعتقدنا، وفرح الجميعُ ورقصوا طرباً إلا أنا كنتُ أشتاقك وبشدة، ولكن لم يرَ دمعي أحدٌ؛ لأنَّها اتَّحدت بعِبرات الشِّتَاءِ، فشكَّلتا معاً معزوفةً موسيقيةً رائعة الألبان، عزفتها الرِّياحُ بعناية. فتحتُ فمي لأرتوي من عِبرات الشِّتَاءِ لكنَّها لم تروني، فقد كنتُ متعطِّشةً لحديثك. ألا تأتي فترويني! ولنترك قطرات الشِّتَاءِ تنهمر على رؤوسنا، ولنترك الرِّيح تلاعبنا وتعزف لنا ألحان العاشقين.

من زعم أن الحبَّ للحبيب الأوَّل وحسب لم يجرب الحبَّ الصادق، فالحبُّ للأكثر وفاءً وإخلاصاً وللمن يستطيعُ لململة جروحنا وبناء ثقتنا بأنفسنا، والعوضُ الجميل يأتي بعد الألم والحسرة والانكسار. يأتي الحبيب ليأخذ منك همومك، ويحاول

إصلاح ما تهشم في داخلك. هو يرى فيك الجميل ويظهره، بينما أنت غارقة في العتمة تبكين ضياعك، يأتي لِحَبِّكَ وأنتِ مستهلكة الروح مستنزفة المشاعر، ويتمسكُ بكِ بالرَّغم من ظروفه السيئة، ولا يترككِ في أيِّ من المحطّات التي مررتِ بها.

وأنتِ ماذا فعلتِ حيال حبِّنا؟ حيال شخصٍ استكان إليك وهو مغمضُ العينين، استسلم لروحكِ الجميلة وانقاد خلف عواطفه، أذعنَ لرغباتكِ ولكلامكِ المعسول وخضع لابتسامتك، وحين أراد الخنوع لجلالتكِ فوجئ وصدُم بالواقع، فالواقع لم يتغيَّر قيد أنملة، ونحن مازلنا واقفين في مكاننا، فقد وصلنا بأحلامنا إلى السُّدَّة، ولم نصل في الواقع إلى العتبة. واقعنا فقيرٌ يا هذه، فهو يفتقرُ إلى المصدقيَّة بالكلام والأفعال، فكلامكِ يوصلني إلى الهدف مباشرةً بينما تبقيني أفعالكِ على سريري نائماً.

بالله عليك، قولي لي: لم هذه الازدواجية في تصرُّفاتكِ؟ أنتِ متقلِّبةٌ جدًّا، وأنا أحاولُ فهمكِ، وأقرُّ بذلك، ثمَّ أراجعُ شيئاً فشيئاً وأقرُّ بعدم قدرتي على فهمكِ؛ لأنَّكِ عصيَّةٌ عن الفهم، وفي حين

أني أشعرُ أحياناً أنني نجحتُ في قراءتكِ أتفاجأُ بأنِّي لم أصل بعد،  
وأني ما زلتُ في البداية بينما لم تحاولي شرح شيءٍ لي. كنتِ  
تكتفين بالصَّمتِ ثمَّ تعتذرين وتحاولين شرح الأمر، لكنَّكِ بهذا  
كنتِ تصعِّبين الأمر أكثر.

ربَّما لأنِّي لم أتخابث لم أنجح في حبِّكِ، ولأنِّي نقيُّ كالماء الزُّلال  
فُتلتُ في أضعف ركن في قلبي. فؤادي هسُّ يا صديقتي كبيت  
العنكبوت، وأتمنَّى ألا تصدِّقي إن قلتُ لكِ بكبرياءٍ أنني كالصَّخرة  
لا أقع. لا تصدِّقي ابتساماتي وضحكاتي حين أراكِ، فقلبي يئنُّ  
بصوتٍ أبكم. كذَّبي ثرثرتي وأخبريني كي أكفَّ عن الوجع،  
وضعي السُّبابة على فمي كي أُسكِّت ضجيج الآلام المنبعثة من  
حنجرتي. عانقيني وقبلي رأسي، فروحي تحتاج أن تستكين إلى  
سكينتها، وحينها سأرتمي في حضنكِ باكياً وجع هيامك وقسوة  
الأيام عليّ، وسأخبرُكِ حينها بضجيج الآلام الهائجة في قلبي.

آدم: أخشى الابتعاد عن قلبك، فأهرب إلى ألف مكان ومكان.

حواء: لن تكون المسافات عائقاً ولا البعد جريمةً، فلا مسافات  
نُقاسُ بين العاشقين.

آدم: أخاف أن ينقطع رابطُ القلوب وتطول المسافاتُ أكثر، فلا  
شيء حينها سيوصلني إليك.

حواء: لا مستحيل ولا مسافات بين من تزهر قلوبهم بالحبِّ  
والغرام.

- "إذا جاء الغدُ وغدر بي ولم أكن فيه انتبه على ذاتك جيِّداً".

كانت هذه بداية رسالتي إليك، ثم انهمرت عبراتي على الكلمات وأنا أكتبها، فأحالت أوراقى مستنقعاً من البحر الأزرق. مزقتُ الورقة بعد تنهيدةٍ طويلةٍ، ومسحتُ الدُموع، ثم كتبتُ إليك قائلةً:

- "أنا في انتظارك حين تحتاجُ الحبَّ، ولن أكون سوى حبيبتك، وإذا ما أردتَ السكينة فأنا سكينتك، وحينما تمرضُ سأكونُ طبيبتك، أمّا حين تشعرُ بالألم فأنا أمك، وحين تحتاجُ أن تسردَ لي عمّا يؤلم قلبك ستجدني رفيقتك. باختصارٍ أنا هي أنت".

غلّفْتُها بشريطٍ ورديٍّ وشريطٍ أصفرَ، ووضعتُ عليها شيئاً من عطري، ثمّ خبّأتها في خزانتي لحين تهَيِّئُ لنا الحياة موعداً على رصيفها يوماً ما.

لستُ متقلِّبةٌ كما تدَّعي، أنت تراني بهذه الهيئة لأنَّك تُريدُ صنعي  
ببيدك وتشكيلي كما يحلو لك، فتمحو بإرادتك شخصيَّتي لتذوب  
في شخصيَّتك، تبتغي حبًّا تصبو إليه، تشتيه وتوقُّ إليه، حبًّا  
تختارُه من دوني وكأن لا دخل لي بهذا الحبِّ. أمَّا أنا فأختلف  
معك في هذا كلِّه. إنِّي لا أريدُ الدَّوبان فيك، فأنا أعشُّقُ  
الاستقلاليَّة، وأريدُ أن أعشِّقَ بعفويَّتي، ولا أريدُ تمثيل الحبِّ  
الذي تُريده، فهذا حبُّ ناقصٌ يلزمُه الصِّدقُ ليكتمل.

دعني أهيمُ بك وأشتاقُ إليك بمزاجيَّتي المعتادة، فأنت لستَ جاهلاً  
بحالي، ولا بدَّ أنكَ اعتدتَ الأمر. إنِّي أصبحتُ مولعةً بك،  
وستلزمُني قرونٌ عدَّة حتَّى أحبَّك كما أريدُ أنا لا كما تريد أنت،  
فكُفِّ عن الكلام ولا تُشكِّلني ككرات اللُّبن الصَّغيرة. أبقي في  
النُّور الذي أرغب به لعليَّ أعيشُ الحبَّ كما أرغب وكما يليقُ  
بعظمتك، يا أبي ويا سندي. اعذرني مرَّةً ثانيةً وثالثةً وأخيرةً، فإن  
لم يصلك من حبيَّ شيءٌ وإن اعتبرته مبتوراً يفتقر إلى الكمال،  
فأنا ضعيفةٌ بالتعبير عمَّا يجولُ في خاطري ويسكنُ قلبي بخلافك

تماماً، فأنا حين أُحِبُّكَ لا أتمنَّاكَ طوال اللَّيْلِ والنَّهار، أُعشِقُ  
غيابَكَ، فأشتاقُ إِلَيْكَ، ثمَّ أتملُّ من كأسِ غرامِكَ وأبحثُ عنَكَ  
حينها كمجنونةٍ تبحثُ عن وليدها بين مئات الأولاد المتشابهين،  
إلا أنَّكَ متفرِّدٌ عن الجميع يا ابن قلبي ووحيدِي.

آدم: كثيرةٌ هي الأشياءُ التي تهربُ من بين أيدينا، فيلتقطها القدر.

حواء: مثل ماذا؟

آدم: مثل حبِّ يستأثرُ بقلوبنا، فيغيِّرُ مجرى حيواتنا.

حواء: وشخصٍ نشتاقي إليه.

آدم: لكن كُتِبَ على لوح القدر فراقه مدى الحياة.

حواء: لا شيء يطول، فالأيامُ تجرُّ بعضها، وسيحدثُ بيننا لقاءً

مهما طالَت الأيام.

أكمل، مثل ماذا أيضاً؟

آدم: مثل شخصٍ يغادرُنا ويمرُّ على شاطئٍ بعيد المنال.

حواء: ستغيبُ من بعدك شمسي، وستدبُّ أزهارِي، فلا ترحل.

آدم: لن أرحلَ إلا إذا دفعتني إلى ذلك بنفسك.

حواء: أنا متلهفة لرؤيتك ولمسك، أنا حقاً أشتاقك.

آدم: لكنك بعيدة عن قلبي بعد السماء عن الأرض.

حواء: إنني قريبة منك قرب الوتين من القلب.

نظرتُ إلى الأدوية جميعها التي وصفها لي الطبيبُ لشدة ما  
فكرتُ بكِ وبما تفعلينه معي لم يقل لي ذلك الطبيبُ العجوزُ أن  
أُكفَّ عن التفكيرِ بكِ كي لا أرهق القلبَ والشرايين، بل أعطاني  
أدويةً كثيرةً لا فائدة تُرجى منها. لم يقل لي إنَّ دوائي هو عناقك  
بشدة، فأنتِ الداءُ والدواء، أنتِ البلسمُ الشافي لجراح قلبي وأنتِ  
ضمادُ نزيفِ الدَّم في الشرايين. لم يقل لي إنَّه يسمحُ لي برؤيتك  
ثلاثَ مرَّاتٍ في اليوم، ولكن لا، هذا قليلٌ! لكنَّ انتفضتُ في  
وجهه، وقلتُ له بصوتٍ عالٍ:

- "لا، أنتِ تتعبني أكثر، ألا تراني وصبتُ بها وتألَّمتُ كُرمي  
لها؟! فأنا مصابٌ بشيءٍ من حوَّاء، وهي طفلي".

توسَّلتُ إلى الطبيبِ أن يمنحني ساعاتٍ كثيرةً أراكِ فيها، وحبَّذا  
لو يأتيني بكِ حقيقةً، فألمسكِ وأتأمَّلكِ طويلاً.

رمىت أدوية الطبيب في سلّة المهملات، وركضت إليك مسرعاً  
لأخبرك بالأدوية الكثيرة، لكنّي التقيت بك على ضفاف الحياة  
وحيدةً تحت شجرة الأمل، عانقتك وهمست لك بالوصب الذي  
أصابني جرّاء حبي الشديد لك.

سألتني برقة:

- ماذا فعلت عند الطبيب؟

تأمّلتك قليلاً، وقد خيل إليّ أنّ سنين كثيرةً قد مرّت وأنا أتأمّلك، ثمّ  
قبّلتك قائلاً:

- "قبلتُ كلّ ساعةٍ تشفي من كلّ داءٍ يأكلُ خلاياي. هذا ما قاله  
الطبيب".

أه.. استيقظت في وقتٍ غير مناسب! هذا المنبّه الأخرق لا يكفّ  
عن إزعاجي، وأنت بين يدي ترتعين وتضحكين. تأمّلت الأدوية  
الكثيرة، وأخذت من كلّ علبةٍ حبةً وارتشفتُ القليل من الماء. قلت  
لنفسي: يجبُ ألاّ أموت، يجبُ أن أعيش كي أعشّك أكثرَ

وأعوّضك عن كلّ سنين عمرك التي قضيتها دوني، ولكن لديّ  
عتبٌ كبيرٌ على الحياة، ليتَ القدر قادني إليك لأكون لكِ أوّل حبّ  
وأوّل حياة، ليتني كنتُ الشّخص الذي كتبتِ عنه في صفحاتك،  
ليتني عرفتك من قبل، لكنّ وفرتُ أعواماً من الأحران والآلام،  
ولكنّا اقتطعنا من الماضي أجزاءً كبيرةً لسنا بحاجة، ولكنّ  
الآن في بيتي ترقصين! لكنّ القدر جاء بي في وقتٍ غير مناسب.

آدم: سألتُ عنك الرُّوحَ وأنا أتأرجحُ بين الشَّوقِ والحنينِ.

حواء: وهل سرقك الحنين إليّ؟

آدم: أجل، فقد رأيتك بعين الشَّوقِ والحبِّ.

حواء: وماذا قالت لك الرُّوحُ؟

آدم: هل تسألُ عن غرامك؟ أو عن روحٍ تلجأ إليها؟

حواء: وبمَ أجبتّها؟

آدم: هي الحبُّ كلُّه يومَ منحتني قلبها مكاناً آمناً لي.

حواء: بمَ ردَّت؟

آدم: أين أسكنتّها؟

حواء: وبمَ أجبت؟

آدم: أريدك أن تجيبيني أنتِ بقولك لي أين أسكنتني.

حواء: قرب الوتين، بين الأوردة والشرايين، وخلف النبض،

تحت ضلع الحنان والأمان، أسكنتك تحت عرش القلب.

آدم: ما أجمل تعبيرك! تغيب الحياة حين يغيب ظلك، فلا تبتعدي.

حواء: وأنت أين أسكنتني؟

آدم: أسكنتك أنفاسي بين الشهيق والزفير.

لا تنسى أنني حاولت الإمساك بك كثيراً حتى كدت أفقد يدي من  
شدة التعلق، ثم تتهمني بعد أن بُترت أصابعي بأني لم أفلح في  
التمسك بك وأناي لم أتمسك بحبنا كما فعلت أنت.

صدقته فيما قلت، قد قلت لك مرّاتٍ كثيرةً إنك أتيتني في وقتٍ  
غير مناسبٍ، في وقتٍ متأخّرٍ. كنتُ مستهلكةً فاقدةً الرُوحَ  
والمشاعر، جتّةً تتنفسُ، وما زالت هذه الجتّة تعيشُ في الحياة عائقاً  
أمام الجميع. هناك من استهلكني، فأهلكني، والذين سبقوك رسموا  
لي الحبّ، فأبدعوا، ومن ثمّ أغرقتهم الحياة في محيطها الكبير.  
أمّا أنت فقد أتيتني بصدقك وإخلاصك في زمنٍ كاذبٍ مخادعٍ،  
لكني لم أنتقم منك بهم، فأنت تختلفُ كلَّ الاختلاف عمّن سبقوك،  
أنت الحبيبُ الأوفى والأصدق.

ليس ذنبي، إنما هو ذنبُ القدر حين أتى بك متأخراً وحين أتيتني  
وطاقتي قد نفذت، كنتُ أجدُ في النومِ مهرباً من ضجيج الحياة.  
أحببتُك ومازلتُ أُحبُّك، أقسمُ باللهِ إنِّي أُحبُّك وإنِّي تخطيتُ درجاتِ  
الحبِّ بتفوقٍ، وها أنا أتخطي أولى درجاتِ ولعِ الحبِّ بنجاحٍ،  
فارحم ضعفاً حبي ومصادقتي، وارحم قدري وقدرك؛ إذ ليس  
لي أو لك ذنبٌ فيما حصل وفيما يحصل. أنا من ابتدأت ارتكاب  
الأخطاء حتى أتيتني، وحينها لم أستطع التراجع عن تصحيح  
مساري. ليتني عرفتك منذُ زمنٍ بعيدٍ لكنتُ الآن في أحضانك  
ألعبُ وأمرح، وليت طاقتي لم تنفذ لكنتُ وفرتُ مشاعر الحبِّ لك  
وحدك، ليتني ما استهلكتها على أشخاصٍ خاطئين ما كانوا يوماً  
رجالاً بل كانوا عاراً على الرجال. وحدك الرجلُ الحقيقي الذي  
أردتُ أن أهبهُ عمري فرأيتُ عمري ناقصاً، وأردتُ منحه الحبَّ  
فوجدته غيرَ كامل. ساعدني لأصل إليك، لأستعيد ما دفنته الأيامُ  
في رمال الماضي، لأستعيد الجزء الحي من قوتي وسعادتي  
وحياتي.

كن لي يا خير الأصدقاء رحيماً ودوداً، لا تكن ضديّ ثمّ تُطالبني  
بالمزيد، فلا طاقة لي للحصول على شيءٍ من المزيد. لو كنتُ  
ادّخرتُ جزءاً من حياتي لك لكانت الحياةُ لكلينا الآن، فلا تعاتبني  
على خطأٍ ليس بمقدوري إصلاحه، وارأف بحالي يا صديقي؛ إذ  
إنّي بدأتُ أعانقُ وحدتي بصورك، فروحي خانتني حين هرولت  
إليك؛ لأنّها لم تستطع العيش بعيداً عنك. أوصيك بها وبقلبي الذي  
جهّز نفسه للرّحيل إليك وهمس لي:

- "سامحيني، فتوأمي في مدينةٍ أخرى".

أومأتُ له بالذهاب شريطة العودة بك وبروحي، ولكن في زحمة  
الحكايات والأساطير المجنونة نسيا العودة بك، وعاشا معك الحبّ  
من دوني، تركاني جسداً بلا قلبٍ أو روح، بينما بقيتُ أنتظر  
عودةَ أحدهما ليأخذني إلى الحبّ الذي كان والذي سيكون.

آدم: وكان صمتك قد طال؟

حواء: أحاول أن أفهمك رغم الصمت الذي بيننا.

آدم: ألم تقولي من قبل إن لغة الصمت لم تُخلق للعاشقين؟

حواء: نعم، فأنا أخشى الفرقة اللعينة التي ستكون قاب قوسين أو

أدنى منّا، فدعنا نثرثر كثيراً.

آدم: بم؟

حواء: دعنا نتحدّث في شتى الأمور، نتحدّث عن عائلتنا

وعملينا، عن الاقتصاد والسياسة، عن الرياضة والحكايات

المجنونة، عن التاريخ والفلسفة، عن عالم الكواكب والمجرات،

وعن ثقب الأوزون، فلا نصمت أبداً.

آدم: تعالي إلى قلبي، وأصغي إلى ثرثرة نبضاته، ولتذهب هذه

الأمور برمتها إلى الجحيم.

أحتاجُ حُضنَكَ بعد ساعاتٍ متواصلةٍ من البكاء المرير، فقلبي يتيمٌ  
إلى أن نلتقي. خذيني في حُضنِكَ، واسمعي دقات قلبي الهامسة  
بحبِّكَ وطيبة قلبِكَ.

أعلمُ أنَّ الذَّنْبَ لم يكن ذنبَكَ والجرمَ لم يكن جرمَكَ، لكنِّي عاشقٌ  
غُيُورٌ يا سيِّدتي، أتألَّمُ إن رأيتُ ذكرياتِكَ في صفحتِكَ السَّرِيَّةِ في  
هيئة رسائل حبٍّ متتالية. وهكذا سنةً تتلوها سنةً والكلماتُ ذاتُها  
والعاشقون مختلفون.

وجاء دوري بعد أن نضبَ الكلامُ في جعبتِكَ، بعد أن أُفرغت  
شحنة الطَّاقة لديك، أعتقدُ أنَّكَ ستجدين البديل فور رحيلي،  
وستهيينهُ أكثرَ ممَّا وهبتني، فأنتِ تفتقرين إلى الوفاء، أنتِ امرأةٌ  
بلا إخلاصٍ أو مبادئ، لا تنتمين إلى أحدٍ وترفضين ذلك وبشدة،  
انتماؤك إلى ذاتك المتكبِّرة المتعجرفة فحسب.

لا تؤمنين بالحبِّ أبداً بل تريدين التَّسْلِيَةَ وحسب، ولا تعترفين  
بالعهد الغليظة. تكابرين حتَّى آخر رمقٍ فلا تنحنين حتَّى وإن  
خسرتِ الحبَّ والحبيب؛ لأنَّ ما يهْمُكَ أنَّ كبرياءك لم يُصَب  
بأذى، ولم يُصَب بخدشٍ صغير.

تسقينني من الكأس ذاته الذي سقاه إِيَّاكِ رجلٌ مضى، ورغم  
شكواكِ منه وغضبكِ النَّافرِ إذا ما سألتُك عنه سؤالاً صغيراً إلاَّ  
أنَّك بدأتِ مع الأيامِ تَقْلِدِينَهُ في قسوته وهيمنته وتستعيرين أدواته  
لتعيشي دورَهُ في كلِّ شيءٍ، لكنِّي لستُ مثله، ولن أكون مثله أو  
مثل أحدٍ آخر.

إنِّي رجلٌ حرٌّ يا صغيرتي، لا أتبعُ أحداً، لا أتبعُ إلاَّ قلبي،  
وللأسف لا يوجدُ في قلبي أنثى غيرك، فارحميه، وارحمي ما به،  
وارحمي جسداً أنهكهُ المرضُ وهدهُ وهو يبحثُ عن خيطٍ رفيعٍ  
يوصلُهُ إليك.

كَلَّمَا تَصَفَّحْتُ ذِكْرِيَاتِكَ وَرَأَيْتُ كَلِمَاتِ الْحَبِّ تَفُوخُ مِنْهَا عَدْتُ إِلَيْكَ  
مَحْمَلًا بِأَغْلَالٍ مِنْ غَيْرَةٍ وَالْمِ وَحَقْدٍ عَلَى مَنْ سَبَقُونِي!  
أَسْمَعُ كَلَامَ الْحَبِّ وَأَنْتِ تَقُولِينَ لِي فَأَعُودُ إِلَى ذِكْرِيَاتٍ أَجْذُهَا  
نَفْسَهَا، وَكَأَنَّكَ قَادِرَةٌ عَلَى نَسْخِهَا مِنْ هُنَاكَ وَلِصْقِهَا عِنْدِي لِتَفُوزِي  
بِالْحَبِّ وَتَمْتَعِي نَفْسَكَ فَحَسْبُ؛ إِذْ يَعْجُبُكَ تَسَابِقُ الرِّجَالِ وَتَهَافْتَهُمْ  
عَلَيْكَ، يَعْجُبُكَ أَنَّهَمْ كُلَّهُمْ مَعْجِبُونَ بِكَ وَبِجَمَالِكَ، لَكِنْ مِنْ مَنْهُمْ  
اِقْتَحَمَ عَالَمَكَ وَزَرَعَ الْحَبَّ الْحَقِيقِيَّ فِي قَلْبِكَ؟ كُلُّهُمْ عَابِرُونَ، قَدْ  
أَخَذُوا مَا أَرَادُوا ثُمَّ رَحَلُوا دُونَ وَدَاعِكَ إِلَّا أَنَا، فَقَدْ وَدَّعْتُكَ أَلْفَ  
مَرَّةٍ، وَبَعْدَ كُلِّ وَدَاعٍ أَعُودُ إِلَيْكَ مِنْكَسِرًا حَامِلًا بَيْنَ يَدَيَّ حُلُولًا  
كَثِيرَةً لِكَلِينَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَرْحَمِي انْكَسَارَاتِي بَلْ كَسَرْتَ مَا لَمْ  
يَنْكَسِرُ بَعْدُ.

فَكَمَا تَعْلَمِينَ، إِنِّي كُنْتُ وَمَا زِلْتُ أُسِيرُ فِي هَوَاكِ مَتِيَّمًا، وَمِفَاتِيحُ  
الْهِيَامِ عُلَّقْتُهَا بِسَلْسَلٍ مِنْ أَمَلٍ عَلَى شَجَرَةٍ مِنْ سَرَابٍ، أُعَانِقُ ظِلَّكَ  
وَعَمْرِي فِي غَرَامِكَ يَنْقُضِي، أَنَا شِدُّكَ بِاللَّهِ أَنْ تَحْيِيَنِي وَتَزْرَعِي  
قَبْلَةَ الْحَيَاةِ فِيَّ.

سأبقى في زنانتك أسيراً راضياً بقدري، سعيداً بعجزتي، أدعو  
الله أن يهبني عمراً كعمر النبي نوح كي أحبك فيه كله، وأدعو الله  
ألا ينتهي؛ لأنَّ الحبَّ مازال في طوره الأوَّل وينقصه الكثيرُ كي  
يكتمل، أحتاجُ قروناً لا تُحصى ودهوراً كثيرةً أعانقُ فيها كعناقِ  
طفلٍ يشعرُ بحبِّ أمِّه لأوَّل مرَّة.

سأبقى في غرامك أسيراً سعيداً بقدرِ جمعنا، وها أنا أهيئُ بكِ  
كثيراً، والهيأُ آخرُ درجاتِ الحبِّ. أناشدُكِ بالله أن ترحمي هذا  
القلبَ المفتون بكِ، وتُفضي لي بما في قلبك قبلَ أن يحتلَّ قلبي ألمُ  
الحبِّ، فلن أُطيقَ الحياةَ وقتها، وربما لن أُطيقَ الاستمراريَّة.

آدم: من يحبُّكَ لروحِكَ لن يرحل، سيلتمسُ لكِ الأعداء.

حواء: وإن كانت بي عيوبُ الدُّنيا كُلُّها؟

آدم: لن يرحل، أمّا من يحبُّكَ لغايةٍ أو مصلحةٍ سيتخلَّى عنكِ عند  
أوّل خلاف.

حواء: أو ربّما عقبَ انتهاء المصالح.

آدم: لذا تمسّكي بمن يُساندُكِ في الشدّة قبل الرّخاء.

حواء: باقيةٌ معكِ على الحياة في الحياة، فأنا أخشى رحيلكِ.

آدم: لا تجبريني على الرّحيل.

حواء: لن أجبركِ مهما كانت الظروف، فأنا أتنفّس ريحكِ.

كانت هذه الليلة أسوأ ليلة، كانت مظلمة باردة شاحبة، وهي أول ليلة قضيتها بعد فقدانك، أغمضت عيني بعد نحيب طويل وعويل استمر ساعات، فنفدت طاقتي بعد جهد جهيد، وخارت قواي حتى نمت أخيراً، ثم استيقظت بعد منتصف الليل وأنا لا أعلم أين أنا ولا كيف غفوت دون شهد كلماتك! اعتقدت في البداية أن كل شيء، كل شيء كان كابوساً مرعباً إلى أن اكتشفت فيما بعد الحقيقة حين لمحت هاتفني بجانب اللون وهادئاً، فأدركت أن ما أنا به لم يكن كابوساً بل كان واقعاً مؤلماً حدّ الهلاك.

إن كنت قد أصبحت بالحب هائماً فأنا قد شُغفت بك حباً حتى انتهى الأمر بي إلى انتظارك في محطات لن تأتي إليها. قد شُغفت بك ولهاً وحباً وعشقاً وهياماً وغراماً. والشغف أعلى درجات الوله، وفيك قد ولعت وولعت، ولا أدري كم سهم كيوييد أصابني

في قلبي جرّاء حبّي الشّدِيد لك! فارحم ضعف قلبي، ولا تلقي  
الاتّهامات جزافاً. كفاك عتاباً وكلاماً قاسياً، كفاك يا صاحبي،  
فنحن لسنا خصمين، نحن حبيبان ترفرفُ أجنحتُهما في سماء  
الغرام وتحت مظلة كيوييد.

نعم، كتبتُ لغيرك، لم أنكر ذلك. كنتَ تسألُ فأجيب وكأني في  
قاعة تحقيقٍ، كمن يجلسُ على مقعدٍ أسودٍ في منتصف القاعة  
والعرقُ يتصبّبُ من جبينه مدراراً. أمّا أنت فبدوتَ واقفاً خلف  
المكتب في الظلِّ يا سيدي، رحتَ تسألني السُّؤال تلو السُّؤال غيرَ  
راضٍ بأجوبتي التي أجبْتُك بها، أردتَ أجوبةً ترضيك، أجوبةً  
منطقيّةً كما أسميتها، ورغم ذلك كنتُ أُجيبُ وأُجيب، ثمّ أتعرّضُ  
بالإجابة، أخطئُ، ثمّ أصمتُ، فأعتذر، ومن ثمّ أُحاولُ التذكُّر،  
فأقدمُ إجابةً خاطئةً؛ إذ إنّ ذاكرتي خاننتي واستجوابك أرهقني فلم  
ألمح إلا سراباً فيه ظلالُ أشخاصٍ مرُّوا وخرجوا من صفحات  
حياتي، تلك الصّفحات التي مزّقتها إرباً غيرَ نادمةٍ عليها،  
لتجبرني بعنادك أن أعيدها كما كانت. جعلتني أبكي يأسِي

وخيبتي وأخبرك بما جرى وبما استحضرته لي ذاكرتي من  
ذكرياتٍ قديمة.

كنتَ تغضبُ، فتتغيرُ ملامحُ وجهك، ثمَّ تنعثنِي بالكاذبة؛ لأنَّك  
كنتَ تظنُّ الكلامَ ناقصاً غيرَ مكتملٍ، ثمَّ تغضبُ أكثرَ فتدَّعي أنَّ  
هناكَ أمراً ما أخفيتهُ عمداً.

أُتِيتُ بِأَنَّي كُتِبْتُ لغيرِكَ كلامَ حبِّ كثيرٍ وأنِّي أُحِبُّ قَبْلَكَ، لم  
أُكذبُ في ذلكَ، ولكن أن أُحِبَّ قَبْلَكَ ليس ذنباً، فأنتَ من أُتِيتُ في  
زمنٍ خاطئٍ خلعتُ فيه رداءَ الحبِّ وأُعلنتُ انتصاري عليه. حين  
كنتُ أُتوسِّلُ القدرَ أن يهبني حباً نقيّاً لم يأتِ بك، بل جاء بآخرين  
لم يفهموا معنى الحبِّ، وهو أقدسُ من تفاهاتهم، فجرَّبوه معلنين  
انتصارهم على جرحي الذي ينزفُ إلى أن أُتِيتَ، لكنَّك لم  
تستطع تضييده.

دخلتَ حياتي، فكتبْتُ لك كلاماً من صميم قلبي، وهو لم ينضب  
كما اعتقدت؛ لأنَّ حَبِّي لك أكبر من الحروف والكلمات، فلم أجد  
حروفاً توفيكَ حقَّك يا عزيزي.

أتراني قصَّرت؟!!

آدم: وكأنَّ الوصولَ إليكِ يتطلَّبُ طريقاً قاسياً موجعاً.

حواء: لا، الأمرُ أبسطُ ممَّا تتخيَّل.

آدم: الفوزُ بكِ أعقدُ بكثيرٍ ممَّا تظنِّين.

حواء: أريدُكِ سناً ووطناً وبيتاً أشعرُ فيه بالأمان.

آدم: أنا بيتُكِ الحاني، ولكن علمني حبُّكِ أن أكونَ لنفسي فحسب،

وإن كنتُ أفتقدُكِ كثيراً.

حواء: علمني حبُّكِ أن أبحثَ عنكِ حتَّى وأنتَ معي.

اعذريني، فرسائي مفعمةً بالحزن لفقدانك أكثر منها بالعتاب على ما فعلته بي، وأنا لا أملك أيَّ رغبةٍ بالسَّعادة ولا أن أكون بخير؛ لأنَّ بذرةً كبيرةً مملوءةً بالظَّلام عالقَةٌ في منتصفِ حلقي، ووجهي لم يعد كما كان، أصبحتُ به عجوزاً شاباً على يديك.

نعم، لقد قصرتِ وتهاونتِ! كثيرةٌ هي المرَّاتُ التي ناشدتك فيها أن تتقذي آخر أيام هيامنا، قلتُ لك:

- "إن حبنا يُحتضر، فأنقذيه قبل أن يموت ويندثر. لا تستثقلي الحبَّ يا صغيرتي، وأسعفي ما يمكن إسعافه دون أن تقولي قد فات الأوان؛ لأنَّ الأوان لم يفت بعد، وأن تأتي متأخراً خيراً من ألا تأتي أبداً، فدعينا نُنقذ ما يمكننا إنقاذه".

ألم تشتاقي لحضني؟! للمسات يدي؟! فأنا اشتقتُ إليك حقاً، أشعرُ بكِ تعبتين بأزرار قميصي، تخبريني بالشوق الذي يجتاحك

وبعناقكِ وقبلاتكِ وهمساتكِ، فأبتهل إليك أن تجعلي هذا حقيقةً،  
وتقذفي الخيال بعيداً عن مرآنا؛ لأنني قد سئمت الأحلام.

أريدك في بيتي، أن أنام متوسداً كتفك، أن تنامي على ذراعي،  
وتقصي عليّ آخر كتاباتك وأخبرك بمشاكل العمل وهمومه، فأنت  
تبدعين في التحليل والتركيب، وهكذا نقضي الليل كله ونحن  
نتحدّث ونتحدّث إلى أن تُشرق الأرض بنور إلها.

مع بداية كلِّ يومٍ أتخيّلك وأنتِ تضعين أمامي القهوة وتنشرين  
الياسمين من حولنا، فسكّر قهوتنا مشتقاً من جمالك يا طفلاتي،  
طفلاتي التي تُظهر أمامي تغنجاً ودلالاً يجعلاني أنوب، ثم أنتفض  
سارقاً إياك من كلِّ شيءٍ، فتبقيين في حضني العمر بأكمله.

أه ما أجملها! ما أجمل الحقيقة حين تجملينها بصدقك وبقولك كلَّ  
شيء!

ستقولين لي كعادتك: تنازل، ودعنا نعيش الحبّ الحلال في بيتك.

لا، بالطبع لا، وألف لا. لن أتنازل عن حقي ما حييت، فمن حقي معرفة كل شيء عن المرأة التي ستدخل بيتي وستعيش معي فيه عمراً كاملاً، فأنا لا أريد أن يظهر لي بعد الزواج شيء لم أكن أعرفه، فنفترق بسببه. لا يا صغيرتي، أريدك زوجة العمر بأكمله، لا وقتاً من الزمن فحسب، فاطلبي أي شيء تحتاجينه إلا هذا الطلب، فهو مرفوض ولن ألبيه.

في قلبي خبأتك، في مكان لا يصل إليه إنسان، وزرعت في دربك آلاف الورد كي تخطي عليها وحدك، وأمرت كل عصفور فوق أغصان أحلامي أن يُغرّد لك بصوته الشجي ويهمس لك بما عجز قلبي عن الإفصاح عنه لك. لقد خبأتك في قلبي سنين لا تُعد، ولم أَدع فيضان النسيان يصل إليك، كما لم أسمح للعقبات أن تغتالك في قلبي.

فهنيئاً لك بمنزلتك هنا، في قلبي، في مكان لم يطؤه إنسان قبلك ولن يطؤه إنسان بعدك، فقلبي قد أغلق عليك، وإلى الأبد.

آدم: هل ستتجاوزين حبي بسهولة؟

حواء: الحبُّ لا يمكنُ تجاوزه، نحنُ نتجاوزُ الأشخاصَ فحسب.

آدم: وأنا؟

حواء: أنتَ كالسَّكينِ في القلبِ، إن نزعْتُكَ قتلَنتي، وإن أبقيتُكَ

حبستَ الدَّمَّ حتَّى عشتُ متألِّمة.

آدم: كلُّما داهمتني اللِّهفةُ أتذكَّرُ وقعَ الكلماتِ التي خسع لها قلبي،

فاستحالت كذباً. كلُّ العهودِ والوعودِ باتت سراباً ليس إلَّا.

حواء: لكنِّي على استعدادٍ لأضحِّي بسعادتي من أجلك.

آدم: لكنَّ تصرفاتكِ لا تُنبئُ بذلك، فهي غيرُ واقعيَّة، وكلماتكِ

ليست إلَّا هراء.

حواء: إنني أتصرفُ معكَ بعفويَّةٍ ونقاءٍ، فلستُ بارعةً بالتَّمثيلِ  
إطلاقاً.

آدم: جعلتُكَ استثناءً، لكنَّكَ أبيتِ إلا أن تكوني ذات شخصيَّتين  
مختلفتين، وكلُّ شخصيَّةٍ منهما تختلفُ كثيراً عن الأخرى، ممَّا  
سبَّب لي الأذى.

حواء: أنا أبسطُ ممَّا تتخيَّل، افهمني وحسب.

آدم: لا أستطيعُ تجاوزك، ولكن أستطيعُ التَّحرُّرُ منك، فأنت لا  
تستحقِّين هذا الحبَّ، والحياةُ ليست مرتبطةً بكِ وحدك، وأنا  
أستحقُّ حبًّا صادقاً.

قد سألتني إن كنتُ فهمتُكَ أو لا، أصدقُكَ القولُ بأنِّي أشعرُ أحياناً  
أنِّي أفهمُكَ، وأحياناً أرى فيكِ إنساناً لا أعرفه.

حواء: لو دخلتَ قلبي لرأيتَه على حقيقته النقيَّة، ولكنك فهمتني.

آدم: دخلتُ، فوجدتُه مزدحماً بغرباء لم أعرفهم.

وكأني ليلٌ يطولُ ويطولُ، وكأنك نهارٌ لا يجيء! كأني الساعاتُ  
الأربع والعشرون، ووحدة الساعة الخامسة والعشرون!  
انتظرُك دهرًا، ورجوتُ الله عمراً أن يهني لقاءً قصيراً أتجاوزُ  
به دمع الحنين. مازلتُ أبكيك كلما رسمتُك في لوحةٍ من خيالٍ  
ليصفني الواقعُ صفةً قاسيةً أستيقظُ بها على محو كلِّ شيءٍ،  
لكنك في قلبي وستبقى ابني الوحيد، وسأبقى طوال الليل أنتظرُ  
عودتك، فنارُ الشوق أحالت قلبي رماداً، قلبي الذي أقسمتُ مراراً  
ألا يدخله إنسانٌ، فدخلته بغلةٍ من عقلي وبرضى من قلبي؛  
توجتُك أميراً مدى الحياة لتحتلَّ ما بقي مني باسم الحبِّ والغرام.  
أقبلني بعيوبي وبرودي، بتقلباتي وأحزاني، فأنا لا أملكُ جديداً  
أمنحك إياه، قد تقبلتُك بكلِّ ما فيك من أخطاء دون أن أعاتبك على

أَيُّ مِنْهَا، وَالآنَ لَا شَيْءَ جَدِيدٍ أَهْبَهُ لَكَ. لَسْتُ وَحْدَكَ مِنْ يَصَارِعُ  
مِنْ أَجْلِ هَذَا الْحَبِّ، أَنَا أَيْضاً أَصَارِعُ.

رَوَيْتُ عَلَى مَسْمَعِكَ مَاضِيَّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَبِأَوْقَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ،  
تَحَمَّلْتُ الصُّدَاعَ وَأَنَا أَحَاوِلُ اسْتِذْكَارَ أَحْدَاثٍ مُهِمَّةٍ، تَحَمَّلْتُ التَّعَبَ  
وَالْإِرْهَاقَ كُرْمَى لَكَ، وَفِي النِّهَآيَةِ تَقُولُ لِي يَا عَزِيزِي إِنْ حَبِّي  
أَضْعَفُ مِنْ حَبِّكَ بِمَلَائِينَ الْمَرَّاتِ!

أَنَا لَا أَهْجِرُكَ مِثْلَمَا تَفْعَلُ، فَأَنَا لَا أَطِيقُ الْحَيَاةَ بَعِيداً عَنْكَ. أَخْبَرَنِي  
أَيُّ حَبِّ هَذَا الَّذِي يُخَوِّلُكَ الْهَرُوبَ مِنِّي؟! بِاللَّهِ عَلَيْكَ أَخْبَرَنِي عَنْ  
أَيِّ حَبِّ تَتَحَدَّثُ وَأَنْتَ تَدْمُرُهُ مِنْ أَجْلِ مَاضٍ سَخِيفٍ لَنْ يَقِفَ عَائِقاً  
فِي طَرِيقِنَا، فَأَنَا امْرَأَةٌ وَاعِيَةٌ تُدْرِكُ مَسْئُولِيَّاتِهَا وَأَقْوَى مِنْ أَنْ  
تَخْضَعُ لِمَاضٍ لَا يَسْتَحِقُّهَا. اسْتِنِقِظْ يَا صَغِيرِي قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ،  
وَأَنْقِذْ مَا يُمْكِنُ إِنْقَاذَهُ.

الْأَشْيَاءُ الْمُهْمَّةُ قَدْ رَوَيْتُهَا لَكَ، وَأَمَّا الْبَاقِي فَلَا يَهْمُ. لِيَذْهَبَ كُلُّ  
شَيْءٍ إِلَى الْجَحِيمِ مُقَابِلَ سَعَادَتِنَا وَهَيَامِنَا. أَنُشْدُكَ لَيْلَ نَهَارٍ أَنْ

ترحمني، ألا تحاصرني كي لا أهرب منك إلى النوم. لن أهرب  
منك مع أحدٍ، فلستُ بخائنةٍ لأفعلها بل لأنَّ قلبي مليءٌ بك، فارحم  
ضعفه ولا تحمّلني ما لا طاقة لي به، واغفر ذنبي الكبير يا  
صاحبي، فما عدتُ أقوى على الكلام.

لا تطالبني بالبقية، ولا تحاصرني من كلِّ الجهات، لا تستجوبني  
وكأنني في جلسة تحقيق، خفف عني ما تفعله بي؛ لأنَّ الكلام لن  
يخرج مني عنوةً، ثمَّ إنني لن أتفوه بكلمةٍ طالما أن ليس لديّ ما  
يقال.

آدم: تعشقُ القلوبُ من كان بها موجوداً، وتنسى من كان عنها  
غائباً.

حواء: أنتَ محقٌّ، فكم حاضرٍ لا يُستطابُ به! وكم غائبٍ عن  
العيون حبيب!

آدم: الحبُّ قدر، أمَّا الصداقةُ فاختيار.

حواء: وأنتَ في القلبِ حبيبٌ وصديق.

آدم: وأنتِ في القلبِ أميرةٌ تضخُّ الدَّم في الشرايين.

حواء: البقاءُ في القلوبِ للأكثر وفاء.

آدم: القلوبُ النَّقيَّةُ وحدها تسكنُ القلب، فهي تُثمرُ غراماً، وبالحبِّ  
تبقى نابضة.

أغلقْتُ بابكِ بيدي وهما ترتجفان، وكانت أمنيّتي ألا يُغلق أبداً، أنا  
الذي رجوتكِ عاماً كاملاً ألا تغلقيه، رجوتُكِ أن تبقى مفتوحاً،  
فأغلقته، أو لنقل دفعْتيني لإغلاقه، جعلتيني أندبُ حبكِ وأبكيه خلف  
بابكِ، في حين كنتِ واقفةً في الجهة الأخرى منتظرةً أن أفتحه  
لكِ، وما كنتُ لأفتحه يا صغيرتي، ولو بقيتِ العمرُ بأكمله  
تنتظرين.

نعم، ذكرتِ ما جاء في ماضيكِ، ولكن ليس بالتفاصيل المطلوبة  
منكِ، هذا أولاً. ثانياً، رويتها ثلاث مرّات، وفي كلّ مرّة تختلفُ  
الأحداث والأشخاص، لم؟ لا أدري! الجواب جوابك.

أتعرفين يا صغيرتي أنّي أعددتُ العُدّة للسفر إليك، ربّبتُ أوراقِي  
لأعانقكِ عنق العاشق الولهان، فألم اللوعة في قلبي قد مزّق  
شراييني من كثرة ما تضخّمتُ لرؤياك.

صديقتي، قررتُ أن آتي إليك لأجلس معكِ ساعاتٍ من الزمن،  
أحادثكِ وجهاً لوجهٍ، أتأمّلكِ وأنتِ تتحدّثين وتروين ما حدث،  
فأسألكِ كلّ الأسئلة التي أردتها، ثمّ أسيرُ معكِ متأبطاً ذراعكِ في  
شوارع دمشق الباحثة في عينيكِ عن آمالٍ وأحلامٍ كثيرة، دمشق  
لم تكن مدينتي يوماً، ولكن يكفيني أن تكون مدينة محبوبتي.

تمنيتُ أن تأخذي بيدي حيثُ تشائين وترغبين، وأن نتحدّث في  
كلّ شيءٍ ولا نترك أمراً إلا ونتطرّقُ إليه.

أريد أن آتي إليك لأعانقكِ، أن أهرب من وحشةٍ أنا فيها، أن أرى  
شعاع ابتسامتكِ عن قربٍ، وأتغزل بكِ فتحمراً وجنتاكِ خجلاً،  
وتخفيضين بصركِ عني وأنتِ تحاولين تغيير مجرى الحديث،  
فتتحدّثين عن حرارة الطّقس رغم البرد الذي يأكل أطرافكِ،  
تصمتين وأنتِ تذوبين بين يديّ خجلاً. سأتأمّلُ بعنايةٍ ابتسامتكِ  
التي لم تنطفئ، وسأقول لكِ:

- "ما لي أراكِ مبتسمةً على الدوام؟"

أعرف جوابك! ستقولين بألم أخفى ابتسامتك:

- "اعتدتُ تقديس الوجع، أن أعيش حالة حبّ معك، فأرتاح  
لوجودك قربي، أن أتأمل الحبّ وهو يجرح قلبي ويدميّه، اعتدتُ  
رسم ابتسامتي واسعة كقرص الشمس في كلّ مرّة أتألم فيها، أن  
أتأمل ألمي وجرحي وأعيش معهما حالة عشقٍ لعلّ كلّ الآلام  
ترحل وكلّ الجراح تشفى".

أدرك ذلك، فأنتِ تفكرين بالفراق قبل اللقاء، حتّى ونحن معاً كنتِ  
تتساءلين: متى الرّحيل؟

إنّ سعادتكِ مؤقتةٌ وجاهزةٌ للرّحيل، لكنّي لن أرحل سوى إليك يا  
صغيرتي. أعدك بذلك، فقد رتبتُ أوراقى لأعانقك كما أشتهي.

آدم: أنا لا أكرهك، لم أقل ذلك قط! فقط أرحلُ وأكتفي بالذكريات.  
حواء: لا ترحل، فأنا لا أقوى على الحياة من بعدك، قلبك سيؤلمك  
إن هجرت من فيه.

آدم: عن أيِّ قلبٍ تتحدّثين؟! لا يوجد قلبٌ في العالم يستطيع حمل  
مثل هذا الشُّعور الثَّقيل، وجلُّ ما أتمنَّاه منك أن تبعدني القلب عن  
الأذى.

حواء: عن أيِّ أذى تتحدّث وأنا أطيعك في كلِّ أمر؟!  
آدم: تستمرّين بفعل ما أكره.

حواء: أنت تهتمُّ بالتَّفاصيل، وهذا ما يتعبك.  
آدم: عن أيِّ تفاصيلٍ تتحدّثين؟ اللُّعب بمشاعري؟ أهذه هي  
التَّفاصيل؟ أخافُ أن تبتر علاقتي بكِ سريعاً بسبب تفاصيلك.

أخبرتني بقاءٍ لنا سيكون قريباً، لم تتسع الأرض لفرحتي حين  
هبط عليّ قرارك هبوطاً مفرحاً، وقلبي من شدة الكلف بك لم يعد  
يسع فرحتي.

من خلف الشاشة تعانقنا، وحلمنا من خلفها أحلاماً كثيرة، أعطيتك  
خريطة الأيام الأولى، وزرعتُ آلاف الورود الصِّفراء في  
طريقك، فمتلك لا يخطو إلا على الورد، صنعتُ سجّاداً من رحيق  
حبنا وفرشتها في دربِ هوانا، صنعتُ لك قناديل من حبٍّ وغرامٍ  
وعلقْتُها بأغصان الأشجار التي اصطفّت بانتظامٍ وهي تنتظر  
موعدك، وكلُّ واحدةٍ تدعو لنا بقاءٍ تحت ظلّها، وهي تعزفُ لنا  
ألحان البقاء وترنيمه السّلام، فلا تتأخّر عن الموعد خشية أن تدبّل  
الورود، وتيبسَ الأشجار، ويتألّم القلب، وتشيحَ الرُّوح.

انتظرتُ ذاك الموعد شهوراً، وشاء القدر ألا تأتي، ومع ذلك  
بقيت حاضرةً متهيئةً لقدمك. أخافُ يا صاحبي من هذه  
اللحظات، ومع ذلك أحاول إسعاد ذاتي بها، وأدركُ تماماً أنني  
شخصيةٌ نكديّةٌ كما كنت تقول لي، ولكن ذلك يضمنُ جزءاً من  
السعادة لي لا السعادة كلّها. أخافُ الوصول بسعادتي إلى الذروة  
دون أن يتحقّق من أمنيّاتي شيءٌ، فأقع على رأسي كارهة الدنيا  
وما فيها.

صديقي، يا من تكبرني بسنة عشرَ عاماً وسنة أشهرٍ وعشرين  
يوماً، أحبُّك، ولا يهمني فارقُ السنين بيننا، أحبُّك وأخافُ أيام  
الفراق حدّ التفكير بما سنقوله فيها، حين سيمضي كلُّ منّا في  
اتّجاه، فلا تقف على أخطائي كالقطّ الشرس، ولا تتأهّب لنظراتي  
كي تفسرها بما تريد، فما بالك بكلماتي التي تراها في معظم  
الأوقات ثقيلةً على قلبك!

أعشّكُ يا صاحبي وفي الوقت ذاته أخافُك؛ لأنك بتّ في الآونة  
الأخيرة تستاء من أبسط الأشياء وتغضبُ لتوافه الأمور. أحاولُ

تهدئتك، فأثورُ منك وأغضبُ، وأتفوق على ذاتي، أحرزُ  
لأحزانك. وفي النهاية تردُّ عليَّ بحزنٍ بالغٍ بأنَّ غضبك الظاهر  
هو جزءٌ من اشتياقك، وأنَّك لم تعد تحتملُ فكرة المسافات أكثر  
من ذلك، وأننا كلُّما جهَّزنا موعداً دبَّر لنا القدرُ عراقيلَ كثيرةً،  
وكأنَّ في الخفاء شيئاً لا أعرفه، شيئاً لا يريدنا أن نلتقي، وتصبحُ  
أنت أكثر حدةً في كلِّ مرَّةٍ يعرفُ القدرُ مجيئك إليَّ، وحين أحاولُ  
أن أصبِّرك على الأمر تتَّهمني بأنِّي لا مبالية بك! إنَّك لا تعرف  
مقدار الحزن الذي يعتصرني، ورغم كل شيءٍ أدركُ أنَّ للقدر  
حكمته، ولي أملٌ بمجيء اليوم الذي سنلتقي فيه، ولكن في حينها  
سنكون أحباباً أو غرباء؟

آدم: قيمتُك عندي كبيرةٌ جداً.

حواء: وأنا لم أفقد جنوني بك بعد.

آدم: أنتِ أجمل وأروع امرأةٍ صادفتها.

حواء: لقد كنتَ في جسدي ودمي طوال الوقت.

آدم: أنا أتحدّثُ عن زمنٍ ليس بقريبٍ، حينما كنتُ أحبُّك دون أن

تدركي. كنتِ في شفاهي وعينيّ، وفي عقلي، وتجريين مجرى

دمي، باختصارٍ كنتِ عذابي وشوقي.

حواء: أتعرفُ يا صديقي الكبير أنِّي حين أقفُ في الشَّارع أنتظر

الباص وحيدةً أتخيِّلُك في جوارِي واقفاً، ويدُك في يدي، تحدِّثُني

بأنَّ الانتظار ممتعٌ حين تكونُ مع من أحببت.

كشذا الورد وأريجه كنتِ، وبرائحتكِ عبق المكان بأكمله، شممتُ  
وتنهَّدتُ شوقاً وولهاً، وبحثتُ عنكِ في المكان عينه لعلِّي أحظى  
بشرف رؤيتكِ، لكنَّكِ كنتِ كالنَّجم بعيدة الملمس قريبةً إلى حدِّ أنني  
أستطيع احتضانكِ دون أن أراكِ. اشتقتُ إليكِ عاماً كاملاً مرَّ في  
يومٍ واحدٍ، وكان كافياً للقضاء على مُهجتي، فكيف لو تعدَّدت  
الأيَّامُ دون لقيكِ؟! كيف لو استمرَّت السَّاعاتُ تدقُّ وتدقُّ دون أن  
يدقَّ قلبي لرؤيكِ؟! قلبي سيبقى إلى أبد الأبدین يهمس باسمكِ،  
وعقلي سيبقى يعمل ليل نهار على أمل لقاءٍ لنا سيكون، وخيالي،  
آه من خيالي! سيبقى مسافراً إلى أرضكِ لعلَّه يأتي بكِ يوماً ما  
لتنيري مكاني المظلم.

آه من شجو الحبِّ وعذابه! رحماكِ يا الله! ارحم قلباً مليئاً بأشجان  
العشق والآمه، قلباً لم ترأف به محبوبتي.

أخاف عليك يا صغيرتي وابنتي من كل ما يدبُّ على الأرض،  
أخافُ عليكِ كلَّ ساعةٍ وأغارُ عليكِ كثيراً، فأنا رجلٌ غيورٌ  
بطبعي، أكرهُ اقترابَ أحدٍ منكِ وحتَّى لو كان سائلاً أو عابر  
سبيل. لا أريدُك مع أحدٍ ولا لأَيِّ أحدٍ، أريدُك لي وحدي، فلا  
تنزيَّني ولا تتعطَّري. ارتدي زيّاً محتشماً، لا تتكلَّمي ولا تبتسمي،  
وإن سألكِ أحدٌ فلتصمتي ثمَّ أشيري إليه بأنَّك بكماء لا تنطقي،  
واحذفي جميع الشُّبَّان من صفحتك الزَّرقاء، أبقِها نظيفةً وعطرةً،  
ولا تتحدَّثي مع زملاء العمل، اهربي منهم إليّ، امشي في كلِّ  
الطُّرق وتذكَّري أنّي في كلِّ الوجوه أكون، لا تطيلي النَّظر إلى  
رجلٍ عابرٍ، ولا تتفوَّهي بأكثر من كلمتين مع صاحب البقالة. إنِّي  
أخافُ عليكِ من الجميع، وهذا من حقِّي، وأخشى أن ترحلي يوماً  
لغريبٍ لا يعرفُ عنكِ شيئاً سوى اسمك، يبكيك ولا يعرف كيف  
يسعدك، لا يتألَّم لألمك، ويهينك دون أن يعتذر، فابقي لي عمراً  
فوق عمري، ولا ترحلي لغيري؛ لأنَّ مكانك في بيتي وفي قلبي.

أكملي ما جاء في ماضيكِ من تفاصيلٍ أغفلتها عمداً، وسيزولُ  
هذا الحملُ عنَّا جميعاً. ارحمي قلباً مليئاً بأشجانِ الحبِّ ووجدانِ  
الغرامِ، ارحميه، ولا تغضبي. لا تغضبي منِّي إن صحتُ في  
وجهك أن ابتعدي عن هذا وذاك، ولا تفتحي بابك لأيِّ طارقٍ  
يطرُقُه، أبقيه لي وحدي مفتوحاً على مصراعيه.

آدم: امتزجت الأحاسيسُ في داخلي، تارةً أسمو بك لأعانق سماء  
الهيام، وتارةً أبلغُ مشارف الجنون، وبين هذه وتلك تتموَّجُ الأيامُ  
ببطءٍ وتمضي بخلوها ومُرَّها وتسيرُ نحو مستقبلٍ مجهول.  
حواء: في كلِّ ليلةٍ أرِدُّ حبَّك وأهمسُ بك، فأنا أعشقُ جنون الحبِّ  
معك.

آدم: نبضك يلحُّ لفؤادي عشقك اللامع.  
حواء: ابتسامتك تأتي لقلبي بالنجوم، فابتسم، أرجوك.  
آدم: تجبرني ابتسامتك على حبِّك، فلا تبتسمي إلا لي.

كعصفورٍ جريحٍ أقفُ كلَّ يومٍ أمام نافذتك الصَّغيرة، أتأملُ الطَّعام  
وقد وُضع على الطَّولة، أشتهي ما عليها، وأحسدُ ذاك العصفور  
من خلف القضبان وهو يتلذذُ بها، في حين كان ينظرُ إليَّ بطرف  
عينه متمنياً حرِّيَّةً كحريَّتي، متمنياً جناحين يطير بهما إلى آفاقٍ  
بعيدة.

اقتنعتُ بفكرة السَّعادة الواهمة التي لم تُخلق لي ولن تكون لي  
يوماً، وأردتُ الحديثَ عمَّا يؤلمني، ولكن مهما تحدَّثت لن تلقى  
كلماتي أدناً ترحل إليها، ففضَّلتُ الصَّمتَ والموتَ ألماً وقهراً وفي  
خيالي ذكرى العصفور الصَّغير الذي قرأت عنه يوماً في  
القصص، ذلك الذي أراد الحصول على السَّعادة، فطار بقوةٍ حتَّى  
هشمَّ الزُّجاج، فنزف دمه، صرخ وتأوَّه، حتَّى لم يعد بإمكانه

الخروج ولا العودة، ما كان له إلا البقاء في المنتصف، واستمرّ  
نزيفه حتّى أودى بما تبقى من أحلامه.

البقاء في المنتصف يقتل الحياة فيّ، وخوفك الدائم عليّ يمزّقها،  
وإن كنت قد بلغت آلام الحبّ وأعنفها فأنا بك مجنونة. اسمع يا  
صاحبي، أراك في كلّ الوجوه، في صاحب البقالة، وزملاء  
العمل، وفي الوجوه العابرة.

أتضرّع إليك أن ترحم قلبي الهشّ، كفاك شكّاً بي، كفاك ظنوناً  
سيئةً، فتأخري قليلاً لا يعني أنّي أتسكّع مع شابّ آخر، وإذا ما  
أفقلتُ جهازِي فلربّما نفذ شحنه، وهذا لا يعني الهروب منك إلى  
غيرك.

يا صغيري، لديّ أصدقاء وأقاربٌ وحياةٌ اجتماعيّةٌ كاملةٌ، لن  
أهجرها لأنوبّ بك، أنا أحبُّك ولكن حبيّ لا يعني أن أغادر  
الجميع كرمي لك، وإذا ما غادرتني أنت ماذا أفعل؟

لا أحد يستطيع العيش بلا عائلة ودون حياة اجتماعية، فلا  
تحاصرني وتخفني وتقيدي يدي! فك وثاقي، فأنا لك! افهم ذلك،  
أرجوك. أقسم بالله وبكتبه وبأنبيائه أنني سأبقى لك ولن أكون  
لغيرك، فاطمئن. حذار أن تأخذك الريبة إلى الظنون السيئة، طهر  
عقلك يا صديقي من هذه الأوهام، ودعنا نعش الحب ونستمع  
بروعته، ولنبدع في حبنا، ولنحك الحكايات والأساطير المليئة  
بأحلام ازدهرت على أرض الواقع وتحققت بعد صبر واجتهاد.  
تعال إلي، وحدثني عن بيتنا، وعن طفلنا الأول، عن سعادتنا  
هناك، تلك التي يدبرها لنا القدر بغفلة منا. تعال نضحك ونبتسم  
ونفرح، فالعمر واحد والحياة قصيرة، هيا إلى العيش بوله.  
هذا ما أرجوه منك، أن تنسى كل شيء في سبيل مستقبلنا، وتذكر  
أننا عاشقان فحسب، الكل يتمنى أن يُصاب بسهم الحب الذي  
أصابنا، الكون كله يتمنى لحظة واحدة من لحظات غرامنا.  
أعشقك يا هذا، وأهيم بك، فأنت ملك قلبي وأميري اللطيف.

آدم: ثَمَّةُ أُمُورٍ فِي الْمَرْأَةِ لَا يُسْمَحُ لِأَحَدٍ بِالِاقْتِرَابِ مِنْهَا.

حواء: إِلَّا لِرَجُلٍ وَاحِدٍ تُخْرَقُ مَعَهُ كُلُّ الدَّسَاتِيرِ.

آدم: وَمَنْ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ؟

حواء: حَبِيبُهَا، فَإِنْ أُغْرِمْتَ رِمْتَ كُلَّ الْقَوَانِينِ عَرْضَ الْحَائِطِ.

آدم: وَهَلْ أَنَا هَذَا الشَّخْصُ؟

حواء: بِالطَّبَعِ.

آدم: أَحَبُّكَ، فَأَنْتِ الرُّوحُ.

حواء: وَأَنْتِ الْعَقْلُ وَالْقَلْبُ مَعًا.

آدم: يَنْقُصُنِي دُونَكَ الْكَثِيرَ، وَلَا أَكْتَمِلُ إِلَّا بِكَ.

لم يكن للوداع أن يليق بكلينا، ففي كلِّ مرّةٍ أهددك بها بالرحيل  
تهربُ روعي منّي، فتستقرُّ عندك، تتعانقُ روحانا بوجد الحبِّ،  
فأفءُ مذهولاً وقد ضاع منّي شيءٌ ما، أفنّشُ عنه فلا أجده، أنظرُ  
خلفي، فأجدُ روحينا مازالتا متعانقتين، ممسكةً إحداهما بالأخرى  
بقوّةٍ رافضةٍ الإفلات، وأرى جسدك شاحباً، لا لونَ له، عيناى إلى  
عينيكِ تنظران بثبات، وعبرأتك تحجّرت في مكنها. كم تمنيتُ  
في هذه اللّحظات نسيان الجراح والقسوة! كم تمنيتُ أن أهرولاً  
إليك لأحضنك كي تعود الرُّوحُ إلى مكانها الذي أخرجت منه!  
وأمسكَ بيديك ونسيرَ في دربٍ ستبقى لنا فيه ذكرياتٌ تُخلد ولا  
تُنسى.

وما ألبتُ أن أعودَ إليكِ بغيةٍ أن تتذكّري شيئاً جديداً، ولكن  
يُبهرني ردُّك بأنَّ لا جديد يُذكر.

أَسْأَلُكَ عَنْ أَشْخَاصٍ عَبَرُوا حَيَاتَكَ مِنْ قَبْلُ، فَتَنْفِينِ بِصَمْتٍ، تَنْفِينِ  
بِجَمَلَةٍ بَتُّ أَحْفَظُهَا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ "لَا أَعْرِفُهُمْ"، مَنْ سَيَعْرِفُهُمْ إِذَا؟  
كَيْفَ سَأُصَلُّ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَأَنْتِ وَاقِفَةٌ فِي مَكَانِكَ، أَحَارِبُ وَحْدِي  
بَيْنَمَا أَنْتِ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ، تَتَأَمَّلِينَ الْوَجْدَ وَهُوَ يَمُوتُ، وَبَيْنَمَا أَمُوتُ  
مَعَهُ لَا تَسْأَلِينَ! تَقُولِينَ لِي:

- "هَذِهِ أَنَا، وَلَا شَيْئاً جَدِيداً أُقَدِّمُهُ لَكَ، فَالْقَرَارُ قَرَارُكَ".

أَتَهْرِبِينَ يَا غَيْبِيَّةٌ؟ مِنْ وَرْطَةِ الْحَبِّ الَّتِي أَوْقَعْتِنِي بِهَا تَهْرِبِينَ؟  
أَتَهْرِبِينَ بِهَذِهِ السُّهُولَةِ؟ أَرَاكِ تَقْفِينَ، فَتَنْفِضِينَ غِبَارَ الشُّوقِ عَنْكَ،  
ثُمَّ تَمْضِينَ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ بِلَا مَبَالَاةٍ.

لَوْ كُنْتِ مَكَانِي، وَلَوْ احْتَلَّكَ الْوَجْدُ كَمَا فَعَلَ بِي، لَمَا صرَّحْتَ  
بِتَصْرِيحِ غَيْبِي كَهَذَا، وَلَكِنْ قَاوَمْتِ حَتَّى النِّهَايَةِ، بَدَلُ أَنْ تِيَأْسِي  
مِنْ أَوَّلِ عَائِقٍ يَصَادِفُكَ.

يَا هَذِهِ، نَحْنُ أَمَامَ نَهْرٍ عَاصِفٍ، فَاْمَسْكِ بِيَدِي كَيْ نَجْتَازَهُ مَعاً،  
وَلَا تَتْرَكِيهَا كَيْ لَا أَقْعُ فِي النَّهْرِ الْكَبِيرِ، فَيَأْخُذْنِي بَعِيداً عَنْكَ، إِلَى

البعيد البعيد. افهمي ذلك، وتعالِي، واجلسي، وقولي كلَّ شيء. لن  
أسامحك في حال نسيانك شيئاً حتَّى لو كان صغيراً تافهاً من  
وجهة نظرك، فربَّما كان قيِّماً بالنَّسبة لي.

اتَّهَمْتَنِي بِالشُّكِّ! أنا لا أشكُّ بكِ وإلَّا لما ارتضيتُكِ زوجةً لي. إنِّي  
أثقُّ بكِ يا عزيزتي، ولكن لا أدري ما يحصل لي حين لا تردِّين  
عليَّ وحين تهربين منِّي، أخاف ممَّا حولك من كوارث، وأخشى  
عليك من الأذى يا صغيرتي، أخشى أن تبتسمي لذكرى مررتِ  
بها معي، فيعجبَ بكِ عابرُ سبيلٍ لا يعرفُك، أخشى عليكِ من كلِّ  
شيءٍ يراكِ دون أن يلمسك، وأنا العاجزُ عن لمسك.

آدم: أُحِبُّكَ، وما لهذا الوجد زوالٌ من قلبي.

حواء: الوجدُ هو شدَّةُ ألمِ الحبِّ. ألْهذه الدَّرْجَة تتألَّم؟

آدم: وتساأليني بعد عامٍ ونيفٍ عن الوجد الذي اشتعل كالنَّارِ في صدري، وأقعدني طريح الفراش! يا قلبي بتُّ شديد الشَّوق لأكون معك رغم الإرهاق. وإنِّي لا أريد من الحياة سوى أن تهديني رصيفاً صغيراً أجلسُ عليه معك.

حواء: ويدُك تعانقُ يدي، ونحن نتأمَّلُ المارَّة، فنثرثر في كلِّ الأشياء المبهمة.

آدم: ونعطي العشاق نصائح في الحبِّ من تجربتنا.

حواء: يكفيهم التَّمسُّك ببعضهم، ويكفيهم وله الحبُّ كي يسعدوا.

قلت لي: لا تقلقي! فلن أتركك.

ثمّ أغلقت الهاتف في وجهي، أعدتني في دقيقة واحدة إلى وحدتي!  
أه يا صديقي! بتّ تتحكّم بمشاعري وأحاسيسي كثيراً، في لحظة  
تستطيع إدخالني عالم الوحدة والأحزان والآلام، وفي لحظة  
ترجعني لأحلق في سماء السعادة والفرح. قد أنزلتني إلى ما تحت  
الصّفر، إلى حيرتي ويأسي، إلى خوفي وظلمتي. مزّقت رداء  
الأنس، وانتحبت في صمتٍ فزعاً من أشياء كثيرة لم أرها، رحتُ  
أبكي قهراً انعزالي، فلن تشعر بحبّي أبداً، ولن تجرؤ على  
الاتّصال بي؛ إذ إنّك قد أغلقت قلبك في وجهي قبل أن تسارع إلى  
إغلاق هاتفك، وجلّ ما أخشاه هو الاعتياد على غيابك وعلى  
الصّمت والألم، وعلى الوحدة والبقاء فيها مدّة طويلة، فلا تعاقبني  
بالهجر والابتعاد، ولا تجرح القلب وما فيه.

حججك لا مبرر لها، وهي خيانتني لعهدك؛ لأنني ورب الكعبة لم  
أخنك، لا شك أنك تدرك يا صديقي كم أحببتك! أحببتك بكل  
جوارحي، لكنني لا أعرف كيفية التعبير عن مشاعري وعن حبي  
الكبير، فالكلمات تقف أمامك في خشوع وإجلال، وتهمس لي:  
لا نستطيع أن نوفيّه حقّه في الحبّ، فهو أسمى من كلّ الكلمات  
والعبارات.

أخشى رحيلك المفاجئ، فأنت لم تفهم حواء بشكل جيد، وكأنك  
تعنقد أنني لم أبلغ بعدُ نشوة الحبّ المطلوبة مني، فارحم بلادتي،  
وساعدني كي أتجاوز سيئاتي وأصل إليك بسرعة.  
تعنّفني دائماً؛ لأنني كما تدّعي تلميذة غبية أنسى درسي في لمح  
البصر، ولأنني لم أستطع التعلّم من أخطائي، فمازلت أكررها إلى  
الآن كأخطاء طفولية لا مفرّ منها.

ساعدني، كن لي ولا تكن عليّ، فليس لي غيرك، وليس لك  
غيري، ثمّ إنّي لا أتذكّر ما حصل معي، ولو تذكّرتُه لرويتُه لك  
بسرعةٍ وبطلاقة.

أستطيعُ مجدّداً أن أقسم بما أنزل الله أن لا شيء عنك قد أغفل، إلّا  
ما قد نسيته، وهو ما لا يدخلُ في قسمي، فما أغفلتُه عمداً، ولكنّ  
الله أنساني إيّاه، فبذلك لا أكونُ كاذباً ولا مخادعة. تعال نترك هذا  
الجزءَ الذي لم أروه لك، ولنفرح ببعضنا قبل أن يتوفّانا الإله،  
وقبل انتهاء العالم، فالكوارثُ باتت في كلّ شبرٍ من عالمنا، وإنّي  
لأخاف أن تمرَّ عبرنا كل الأزمات ولا نلتقي. أتوسّلُ إليك أن  
تأتي، فأنا قادرة على إسعادك، وعلى إعلاء كلمة الحبِّ عالياً،  
قادرةٌ على جعلك تعيشُ الحبَّ على يديّ أوّل مرّةٍ في العالم،  
وأخر مرّة.

آدم: لقد أفرطتُ في منحك الفرص.

حواء: عن أيِّ فرصٍ تتحدّثُ؟

آدم: كم مرّةٍ أغفلتُ عينيَّ عن أخطائك فتماديتِ أكثر!

حواء: لم أتمادى في أدبيتك، أنت من أدبتي حينَ كنتَ تعاتبني

بقسوة! كنتُ أحتفظُ بكلماتِ العتابِ في داخلي وقتاً أطول، ولم

أنسحب مثلك.

آدم: انسحبي. من يمنعك؟

حواء: أنت تمنعني! لا أستطيعُ الهروب، فقلبي مرتبطٌ بقلبك، افهم

ذلك! انسحب أنت إن أردت.

آدم: لا، لن أنسحب إلّا إذا كان هناك سببٌ قاهرٌ يستدعي الرّحيل.

حواء: وأنا لن أنسحب وإن كان هناك ألفُ سببٍ للرّحيل.

آدم: أخافُ إن انسحبت أن تدخليني حجرة النسيان.

حواء: مشيتُ في درب نسيانك، ولكن ما لبثتُ أن رأيتُ اسمك في

الشارع مرفوعاً فوق بقالية، فالتفتَ قلبي دون قصدٍ منِّي، حتى

تهتُ عن الطريق.

أتيتني في جنح اللّيل طارقةً بابَ الحنين، طرقتِ فؤادي المتعب  
طرقتين متتاليتين، وهمستِ في أذني بكلماتٍ عن الهوى، فهوى  
قلبي في بئرِ حبِّك على غفلةٍ من عقلي الرّشيد. استوطنتِ في  
خلاياي، واستعمرتِ فؤادي رافضةً الرّحيل. ظلَّ القلبُ يناديكِ  
ويستنجدُ بكِ أن تكفّي عن اقتلاع ما بقي مخضراً في ربيعهِ،  
أصابك الصّممُ، فهجتِ على قلبي، اقتلعتِهِ ورميته تحت قدميكِ،  
وأشرتِ إليّ بالسُّكوت؛ لأنّ ذنبي كبير، فما كان لي أن أفتح باب  
قلبي لطارقٍ في اللّيل يطرقهُ.

رتبتُ أوراقي لسفر الأحبّة، وجهّزتُ الحقيبة، كنتُ أضعُ ملابسي  
فيها، وأنا أتخيّل نفسي قادماً إليك. أردتُ ترككِ تفكّرين جيّداً في  
علاقتنا، فأنا قد أرهقتُ من هذه العلاقة، وما عدتُ أحتمل المزيد،  
وقلبي من الجوى ما عاد يحتمل حقنةً واحدةً عند الطّبيب.

طفلي المدلّلة، ألا ترين الألم الماكث في قلبي، المرسوم على  
وجهي؟ قد زدتُ بكِ تعلقاً وغراماً، وما عدتُ أحتمل وجع فراقك.  
وها أنا الآن مسافرٌ إلى موطني، والله أعلم متى سأعود إلى  
حضانك! أيعقلُ أن تفكّري في خلواتك بالحاضر والمستقبل  
متناسيةً الماضي؟! أرجوكِ، يا عمر قلبي، يا من ملأته بالجوى  
حتى يبس وحرز، لا تنسي عهدنا الذي قطعناه آخر مرّة. ستقولين  
لي بصوتك الرّهيف:

- "سفرُك لن يُبدّل من الأمر شيئاً، ولن يُغيّرَ القدر نحو الأفضل.  
وعدتني بالسّفر إليّ، وها أنتَ تسافرُ إلى البعيد، إلى حيثُ لا أراك  
مطلقاً".

أنتِ محقّةٌ في هذا، ولكننا هنا لم نلتقِ وهناك لن نلتقي، فالأمرُ  
سيان، وما عساي أفعلُ والحدودُ مقلّبةٌ يا بنيّتي!؟

إنِّي أنشدُ زيارتنا اليومَ قبلَ الغدِ، لا سيَّما أنَّ حرقَةَ الجوى أكلت  
قلبي كما تأكلُ الدُّودةُ التُّفاحةَ. هي تستلذُّ به بينما أعاني من شدَّة  
الألم.

لن أنساكِ، فأنتِ من القلبِ كالرَّأسِ من الجسدِ، وكالدِّمِ في  
الأوردةِ، أنتِ وتينُ القلبِ وخلايا الدِّماغِ والإشاراتُ الصَّحيحةُ،  
أنتِ الحبُّ كلُّه والأمانُ كلُّه.

اروي كلَّ شيءٍ، ابدأي بتفاصيلك الصَّغيرة قبلَ الكبيرةِ، لعنَّا  
نلتقي قريباً، وإذا ما التقينا سأحملُكِ وسأجولُ بكِ الدُّنيا، لتدور هي  
بي، فنسقطُ معاً أرضاً، ومن ثمَّ نضحك ونمرح ونغني، ولترحل  
حينها حرقَةُ الجوى إلى الجحيمِ! سنعيش مجدداً بهجةِ الحبِّ معاً  
كما في بدايةِ علاقتنا وأولِّ هيامنا، فأنا أمقتُ النِّهاياتِ مقتاً شديداً.  
دعينا نستمتعُ بالبداياتِ وروعنها وبالحبِّ وألفتهِ، فأنا أتطلَّعُ إليكِ  
وإلى ما ستفعلينه حيالَ الماضي وحيالَ حُبِّنا.

أغمضي عينيكِ، وتخيلِي ماضيكِ في إحدى كفتي الميزان  
وتخيليني في الكفة الأخرى، أيهما سترجح؟ كفتي؟ أو كفة  
الماضي؟ أملُ يا صغيرتي أن يكون ضميرُ الحبِّ لديكِ واعياً  
ومستيقظاً لينقذني من هلوساتِ عنادك، فلا تدعي كفة الماضي  
ترجحُ، أرجوك؛ لأنِّي في حينها سأطيرُ إلى البعيد، حيثُ لن  
تريني ولن أكون لك إطلاقاً.

فلتبقي في ماضيكِ الدهرُ كلُّه دون كتفٍ تستندين إليها ودون  
مأوى تأوين إليه، وليكن ما اخترته قيماً يا صغيرتي. ابحثي عن  
القيمة والجوهر، واتركي ما دونهما، وعندئذٍ سترتقين إلى الأعلى  
ولن تنزلي أبداً، فتذكّري كلامي قبل السفرِ يا جميلة.

آدم: قلبك بات كورق الخريف شاحباً وجافاً.

حواء: اسقه، عسى أن تنبض فيه الحياة ويخضر بين يديك.

آدم: أنتِ مخطئة في ذلك!

حواء: لم؟

آدم: ورق الخريف يُترك للريح، وهي تُسقطه بشغف.

حواء: والريحُ تعشقُ إسقاط الأوراق كي تلهو بها.

آدم: بالطبع.

حواء: وأنت، من تكون؟ السّاقى أو الريح؟

آدم: أنتِ من تحدّدين موقعك ومكانتك.

أرْتَبْتَ أَوْراقَكَ لِسَفَرٍ لا أراك فِيهِ؟ أم جَهَّزْتَ حَقِيبَتَكَ وحمَلْتَ فِي  
داخِلِها ذَكْرِياتٍ لِعَيدِنا سَتَكُونُ؟

تَتَشابَهُ حَقائِبُ السَّفَرِ فِي المَحتَوِياتِ، إِلا حَقِيبَتُكَ، ففِها أَثْمُنُ ما  
أَمَلَكُ (قَلْبِي وروحي)! فَكُنْ ذا أمانَةٍ، واحفَظْهُما بَعِيداً عَن مَتناولِ  
الأَطْفالِ، وِردَّهُما إِلى جَسَدِي سالِمِينَ، جَسَدِي الَّذِي أَصابَتْهُ  
مَختَلَفُ المَحَنِ وَالخطوبِ بَعَدَ أنْ غادرَهُ مَن كانَ مِنْهُ وِفيهِ.

سَنرحَلُ مَعاً إِلى مَكانينِ مَنفَصَلينِ، قَلبانِا اللِّذانِ اتَّحدا وِساَفِرا فِوقِ  
الغِيومِ مَعاً، وِها هُوَ قَلْبِي يَطلُبُ مِنْكَ أنْ تَعوَدَ إِليَّ، بَينما يَسرُقُني  
قَلْبُكَ مَن بَينِ الجَمِيعِ لِيَسافِرَ بِي وِحدِي.

أراكِ ما زِلْتَ تُجَهِّزُ الحَقِيبَةَ وَتَضَعُ فِيها ما أَحَبُّ وَأَشْتَهِي، وَكأَنَّي  
مَعَكَ فِي رِحلتِكَ القَصارَةِ، وَكأَنَّكَ مَغارِدُ إِلى قَلْبِي وِجَسَدِي.  
أَجلسُ إِلى جِوارِكَ وَأَتأمَلُ لَهفَةَ الحَبِّ فِي عَينِكَ حَتَّى أَحترِقَ بِنارِ

أشواقك، وأمتلئ بالجوى وآلامه، وأنثر لؤلؤاً على خديك، فأمسحُ  
دموع الحزن وقد أمطرتها عينك، لتذيني أكثر فأكثر عبراتها  
المتَّعدة الهامسةُ بحنيني وأشواقي.

سأنتظرُك حتى يملَّ مني الانتظار، وسأبقى أرتقب لحظة قدومك  
في كلِّ دقيقةٍ وثانية، وسأترصدُّ هاتفني، وأمكثه في يدي حتى  
يأتيني بخبرٍ عنك.

أخشى أن يلهيك الأهلُّ والأصدقاء عني، فأغدو حديثاً عابراً، ولا  
يغدو باستطاعتك أن تكلمني في حضورهم، بينما لا تقدرُ على  
غيابهم. أخشى يا صاحبي أن أصبحَ في خبر كان، وتُصبحَ حواءُ  
ذنباً مغفوراً.

ظنونٌ سيئةٌ داهمت عقلي، وأربكت معدتي، وأدخلتني في دوامة  
من الحيرة، وها أنذا لا أستطيعُ رفضَ سفرك هذا، فأنا أخشى أن  
تبتعد بقلبك لا بجسدك، ومع أنك في الحالتين بعيد إلا أنني أشعرُ

بك في داخلي، وعلى سريري، وبين يدي، ومن خلفي تعانقني،  
أشعرُ بأنفاسك تمنحُ الدَّفءَ لأطرافي الباردة.

حبيبي، لا تطل غيابك عني، فأنا لا أريدُ البقاء هنا شهيدة الانتظار  
على عتباتك وعلى رصيف حياتك. تعالَ إلى قلبي بالسرعة التي  
غادرتني بها، واغفل عن ذكر الماضي، فليس لديَّ ما سأدوُّنُه لك  
سوى ما قلت. انسَ الماضي، وتعالَ نعش الحاضر بتفاصيله. إنِّي  
لن أفكر في شيءٍ؛ لأنَّه ليس هناك شيءٌ يستحقُّ التَّفكير، فعقلي  
بات لا يُفكِّرُ إلاَّ بسفرك وعودتك وبما ستفعله هناك، فعد لي سالمًا  
لعلنا نعيشُ ما بقي لنا من عمرنا في حبٍّ وسلامٍ وهيامٍ ووثام.

آدم: كنتُ أعتقدُ أنّ حياتي معكٍ مُجرّدُ اعتيادٍ فحسب.

حواء: اعتدتُ عليكِ فعلاً، كطفلةٍ اعتادت على أمّها منذُ نعومة أظفارها.

آدم: ولكن حين رحلتِ أيقنتُ أنّكِ الحياةُ وما فيها، بتفاصيلها الصّغيرة قبل الكبيرة.

حواء: أموتُ إذا ما فقدتُك، أتلاشى وأتبخّر.

آدم: وأنا لا أستسيغُ طعم الحياة دونك.

حواء: دونك تغدو الحياةُ موحشةً جدّاً، فأتوسّلُ إليك أن تأخذني منها إليك.

آدم: قريباً بإذن الله، فأنا لا أُطيقُ الحياةَ وأنتِ بعيدةٌ عني.

كلُّ لغات العالم لم تنصف الحبَّ الذي دار في ساحتنا، قيَّدنا  
وأعمى بصيرتنا، وكلُّ رسائلي إليك لم تشرح عمقَ الحبِّ الذي  
في داخلي، ولن تشرحه. كلُّ لغات العالم ادَّعت الفشل مقابل حبِّنا،  
وأصبحت حروفاً بكماء لا تتكلَّم ولا تنطق بالهوى! لم ينصفنا أحدٌ  
في هذا العالم الكبير!

حين أكتبُ إليك أتحوَّلُ إلى طفلٍ لا يعرفُ السَّير، أغدو طفلاً  
يحتاجُك ويَعُدُّك هدفاً له في الحياة، يركضُ نحوك، فيكبرُ بين  
ذراعيك. أتحوَّلُ إلى تلميذٍ بليدٍ لا يفقهُ الكتابةَ ولا القراءة، إلى  
مراهقٍ بريءٍ لا يعرفُ كيف يشرُحُ ما في قلبه. أنظرُ إليك  
بابتسامةٍ صغيرةٍ بلهاءٍ أملاً في أن تدركي وحدك حجم حنيني  
ومقدار حبي، لكنَّك ستبتسمين لي ابتسامةً تبتُّ في قلبي الأمل،

فتعطيني جرعاتٍ كثيرةً من الأمان والاطمئنان، وبها سأسعدُ؛  
لأنَّك، وأخيراً، فهمتِ حَبِّي لكِ.

أتسألين هذه الأسئلة بعد كلِّ هذا الحبِّ الذي وهبْتِكِ إيَّاه؟! أتشكِّين  
في ذاكرتي وأنتِ بها تعيشين؟! هذا افتراءٌ يا صغيرة، وأنا لا  
أرتضيه منك! إنَّهُ لظلمٌ بيِّنٌ، وإنقاصٌ كبيرٌ لحقِّي، ولطالما  
أنقصتِ الكثير، وها أنتِ تعودين لتمارسي الظلمَ نفسه، ولتشكِّي  
في مصداقيتي.

ها أنا الآن في كنفِ عائلتي ومع أقرب النَّاسِ إليَّ، ولكن لا، أنتِ  
أقربُهم يا طفلاتي، جسدي معهم، وقلبي وفكري معك، أفكِّرُ في  
أميرتي الجميلة، وأسأل نفسي:

- "ماذا تفعل الآن؟ وهل لي أن أشغلَ بالها بالقدر الذي تشغُلُ هي  
بالي؟".

بالطَّبع لا، فحبُّك ينقصه الكثيرُ يا صغيرتي، أمَّا حَبِّي فقد اكتمل.

بينما تغنين باكراً دون التفكير بشيءٍ يُذكر يزورني الشَّهد طوال  
اللَّيل وفي كلِّ ليلةٍ، يأخذني إليك، أفكّرُ وأحلمُ فيهرب النَّوم منِّي  
ويبعدُ أميالاً كثيرةً، ولا يأتي إلَّا بعد أن أتناول دوائي المهدِّئ  
الذي نصحني به الطَّبيب، وأنتِ رفضتِه بشدَّةٍ خشيةِ اعتيادي  
عليه. بتّ تخافين عليّ كثيراً في الآونة الأخيرة، وهذا إن دلَّ على  
شيءٍ فهو يدلُّ على زيادة الحبِّ ولهفته عندك! فاسمعيني يا  
صغيرتي، واقتربي منِّي أكثر، دعينا نغدو بقلبٍ واحدٍ وروحٍ  
واحدةٍ في جسدين عاشقين. لكم أتمنّى قربك! والقربُ لا يكتملُ إلا  
باكتمال النَّفاسيل جميعها، فأنا أعرفُ الكثير ممَّا أغفلتِه عنِّي  
عمداً، وتواقُّ لأن تأتي بمفردك وتحادثيني به، فقد رأيتُ ذلك في  
صفحاتك، ولا أعرف سبب كتمانك الأمر طالما أني سأسامحك!  
لن أطالبك بالمزيد، ولكن لا أريدُ أشياء وهميَّةً لا وجود لها. أريدُ  
حدثاً حقيقياً سبق وحصل معك دون أن تنكري. ستقولين لي:

هات ما عندك، وأنا سأحاولُ تذكُّره.

حسناً، إن أعطيتك ما لديّ من أدلّة كيف سأعرف ما لديك؟ وأنا  
إلى الآن لم أصل إلى شيءٍ مهمّ.

سؤالٌ واحدٌ أريدُ جوابه: ماذا حصل معك حتّى بتّ كشجرةٍ  
عجوزٍ بائسة، أوراقها صفراء، وجذوعها قاسية، وأغصانها  
هشّة؟

أخبريني بالله عليك، كي أصل إلى حيثُ كنت، فنقترب معاً من  
حفل فرحنا وهيامنا، ونبدأ بداية البدايات معاً، فكلُّ هذا هو ما قبل  
البداية.

آدم: كنتُ أتأملُ أن تُشرقَ حياتي بمجيبك إلى عالمي، لكنّها  
غربت بطريقةٍ مؤلمة.

حواء: أمّا أنا فشمسُ حياتي قد غربت منذ زمنٍ بعيدٍ، وتمنّيتُ  
منك أن تُسارعَ إلى إشراقها، لكنك أخدمتها وأطفأت النور فيّ.

آدم: وماذا أقول أنا؟ ماذا أقول حين هسّمتِ فؤادي، وقتلتِ الأمل  
فيّ، وأبقيتني جثّةً أتنفّسُ خراب أحلامي؟

حواء: كنتُ كالباقيين ممّن عبروا حياتي، دست على قلبي الهشّ،  
رغم أنّي لم أقترب ذنباً سوى الصدق الذي ظننته كذباً وخداعاً.

آدم: توقّعتُ منك أن تهديني الحبّ كما أهديتك إيّاه، لكنك أهديتني  
الأمل على صفحة من سهادٍ وأرق.

حواء: أهديتك الحبّ مضاعفاً، فلم تره ولن تراه! لم تلمح سوى  
خيباتي وماضيّ!

آدم: والآن؟

حواء: كفانا نلقي الاتِّهَامات على بعضنا جزافاً، فأنا قد اشتقتُ  
إليك حقّاً.

آدم: وأنا قد اشتقتُك، وما غضبي سوى لأنِّي لم أستطع لمسكِ إلى  
الآن.

أغلبُ رسائل الانتحار تشبهنا، وهي تعبرُ عمّا نشعر به، حين نقرأ ما فيها نجدُها تُمثّلُ واقعنا، ومع ذلك يُرعبنا صمودنا، ونخشى الانهيار في لحظةٍ ما، نحنُ الذين افتخرنا العمرَ بأكمله بأننا لا نقعُ ولا نميل، قد وقعنا عند أوّل وداعٍ صادفنا، يرعبنا أن نبقى نُمثّلُ الصُّمود في حين نتأكل من الدّاخل.

نقرأ تلك الرّسائل بقلبٍ متألّمٍ وعقلٍ لا يُفكّرُ إلّا بالنّجاة، نُمزّقها ونرميها عشاءً للنّيران الهائجة، ثمّ نشرعُ بكتابة غيرها، فنمزّقها إرباً ونرميها، ومن ثمّ نعاود الكتابة مرّةً أُخرى، ونحن مازلنا في طور اللّاشعور، فنبحثُ عن بصيص أملٍ ننجو به، ولكن من يدري؟ ربّما يأتي اليومُ الذي ينفدُ فيه الورقُ، وفي حينها وساعتها نكون قد هويّنا دون أن نستند إلى شيءٍ، ودون أن يلمحنا أحد، وفي حينها نكونُ قد نفّذنا ما كان مكتوباً في الرّسائل، ونكونُ قد

نفدنا كما ينفدُ الورق. لن تطالبَ النَّيرانُ بتلك الرِّسالة الأخيرة، بل  
ستبقى على الطَّاولَة لتداعبها الرِّيحُ الآتيةُ من النَّافذة المفتوحة،  
ستبقى هناك تحكي للجيل الآتي أعواماً من الصُّمود الوهميِّ،  
بينما النَّيرانُ تخبو وتخبو رويداً رويداً.

لا تدفعني إلى الانتحار! إنَّك بذلك الضَّغَط تقودني إليه، ودونما  
قصدٍ منك، لتصل إلى ما تبتغي. لا تدعني أقتل نفسي كي أريحك  
من عبء الماضي وقرفه.

أنا فتاةٌ لا أريدُ ماضيَّ، كرهتهُ كرهاً شديداً، وسعيتُ كي أتناساه  
فنجحت، فبالله عليك لا تُعدني إلى فخّه ثانيةً، فأنا أتمنى الشِّفاء  
منه بسرعة. افعل ما تريدُ ولكن لا تعدني إلى عتبات الماضي  
ثانيةً، دعني منه، أرجوك.

قد كرهتُ حياتي بسببه وبسبب ضغطك الشَّدِيد عليّ! ألا يكفيك  
أنِّي بك مجنونة؟! امرأةٌ تملَّكها العنادُ في كلِّ شيءٍ إلا معك  
أصبحتُ قطَّةً أليفةً تسمعُ كلامك دون أن تنبسَ ببنت شفة.

أَتوسَّلُ إِلَيْكَ أَنْ نتحدَّثَ فِي كلِّ شَيْءٍ إِلَّا المَاضِي، دَعْنَا نَهِيْمُ كلُّ  
مَنَّا فِي الآخر، فقد اشتقتُ إِلَى غزلِكَ وَحَبِّكَ الشَّدِيدِ، اشتقتُ إِلَى  
قطراتِ الهيامِ البارزةِ عَلَى جبينِكَ بدلِ العرقِ. دَعْنَا مِنْ كلِّ هَذَا،  
فَأنا لَنْ أَجيبُ عَنْ أَيِّ سؤَالٍ تَطْرُحُهُ عَلَيَّ، لَنْ أنطقَ بِكَلِمَةٍ،  
وَسأكتُفِي بِالصَّمْتِ. سأقولُ لَكَ:

- "كما تشاء".

لَنْ أدعِكَ تَمْشِي، سأبكي عَلَى أعتابِ محادثتكِ كَثِيرًا، وَسَترحُمُ  
عِبْرَاتِي وَعويلِي، سَتبقي فِتْرَةً أطولَ، وَلكنْ أَعرفُ أَنَّهَا وَإِنْ  
طالَتْ لَنْ تَطولَ كَثِيرًا. سَترحلُ، أدركُ ذَلِكَ، وَلَنْ تَشفعَ عِبْرَاتِي  
لَكَ، سَتكونُ حَجَّتُكَ جاهِزَةً، أَلَا وَهي ماضِيٌّ، وَسَتنسى حوَاءَ وَمَا  
بذلتَهُ مِنْ مَجْهُودٍ لِإِعلاءِ كَلِمَةِ الحَبِّ بَيْننا، وَسأصبحُ بَطْلَةً فِي  
حكاياتِكَ الَّتِي لَنْ تروِيها لِأحدٍ، فَأنا أَعرفُ مَدى حَمائِكَ لِعَلاقَتنا؛  
إذِ إِنَّكَ سَتحتفظُ بِها فِي أَعلى خزانةِ ذاكِرتِكَ كِي تَسْتدعيها كَلِّما  
زارَكَ الحنينُ، وَمَنْ تَمَّ سَتمضي حُرًّا كما جِئتُ حُرًّا.

هنا الأمرُ مختلفٌ، ستعودُ بقلبٍ متألِّمٍ، ولن تسمع باسمي ثانيةً.  
ستمضي وأنتَ كارئةٌ لي، مهما أقسمت أغلظ الأيمان بأنك لن  
ترحل، وفي حينها سأقولُ لك بصراخٍ قد يغضبُك:

- "عفواً يا سيّدي، فأنت كاذبٌ كاذبٌ!".

مهما أقسمت على الرّحيل سترحل، ومهما حلفت أغلظ الأيمان أن  
تبقى فلن تبقى، ومهما عاهدت على الشُّروق ستغيب! ستقولُها  
ذات يومٍ، وسترحل، وأنا لن أستطيع اللّحاق بك.

أمّا أن ترحل قبل أن نلتقي! والله، لهذا هو الألمُ بعينه.

آدم: تغييبن ولا تدرين أنك كربتني، وكم في البعد أتعدّب!

حواء: أنا لا أغيبُ إلا إذا أبعدتُ عن ساحتك.

آدم: تتشابهُ حقائقُ السّفَرِ باستثناء حقيبتني، ففي داخلها خبأتُ حبّ  
عمري.

حواء: تتشابهُ أمطارُ الشّتاءِ إلا أمطارُ مدينتني، فهي تبكي وجعاً  
على قدرٍ لم يجمع شمل العاشقين.

آدم: والمقاهي تتشابه.

حواء: إلا مقهىً واحداً يجهّزُ لنا موعداً على طاولته ذات مساء.

آدم: وليالي الوحدة.

حواء: ما أقساها، فهي مليئةٌ بضجيجِ الذّكريات.

آدم: ووجوهُ النَّاسِ في الزّحام.

حواء: كُلُّها تحملُ وجهك الجميل.

آدم: وحدك من لا يشبهها أحد.

حواء: وإن طالت المسافاتُ، وبقيت الأقدارُ على حالها؟

آدم: ستبقين في قلبي ملكةً ومليكةً وأميرةً.

هَيَّأْتُ نَفْسِي وَجَهَّزْتُهَا عَرِيساً لَكَ، وَكَأَنَّكَ مَسَافِرَةٌ إِلَيَّ. أَطَلْتُ  
النَّظْرَ إِلَى عَتَبَةِ دَارِي، وَرَحْتُ أُلُوحَ بِيَدِي لِلْمَسَافِرِينَ، تَعَبْتُ يَدَايَ  
مِنْ كَثْرَةِ مَا لَوَّحْتُ لِلْمَارَّةِ، وَأَنْتِ لَمْ تَصْلِي بَعْدَ! لَمْ أَكُنْ وَجْهَتَكَ،  
كَانَتْ مَكَاناً لَمْ أُسْتَطِعِ التَّعَرُّفَ عَلَيْهِ. وَبَقَيْتُ عَلَى الْأَعْتَابِ أَنْتَظِرُ  
مَجِيئَكَ بِلَهْفَةٍ عَاشِقٍ، وَبِفَارَغِ الصَّبْرِ لَكِنَّكَ لَمْ تَأْتِ!

سَتَصِلِينَ فِيمَا بَعْدَ إِلَى بِلَادٍ لَمْ تُدَبِّرْ لَنَا الْحَيَاةَ مَوْعِداً عَلَى  
أَرْضِهَا، إِلَى مَكَانٍ سَيَكُونُ مَعْلوماً لَكَ مَجْهُولاً لِي، فِيهِ وَطَنُكَ  
وَعَالَمُكَ، لَكِنَّكَ سَتَكُونِينَ فِيهِ وَحِيدَةً دُونِي. وَبَقَيْتُ لَا مَرْتَباً بِالنِّسْبَةِ  
لَكَ.

هَمَمْتُ بِالْخُرُوجِ مِنْ مَنْزِلِي، لَكِنِّي كُنْتُ قَدْ أَضَعْتُ مِفْتَاحَ السَّيَّارَةِ.  
بَحِثْتُ عَنْ حَمَّالَةِ الْمِفْتَاحِ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى وَجَدْتُهَا عَلَى  
سُرِيرِي، وَتَحْتَ وَسَادَتِي كَانَتْ نَائِماً تَحْلُمُ بِكَ. حَمَلْتُهَا بِرَاحَةٍ  
يَدِي، وَتَأَمَّلْتُ الْمِفْتَاحَ الصَّغِيرَ الْمَعْلُوقَ بِهَا، وَهَذَا مَا أَعَادَنِي لِذَلِكَ

الوقت حين أرسلت إليّ هديةً تعبيراً عن غرامك لي. كانت قفلاً  
بمفتاح، حينها سألتني ببراءة طفلة:  
- "ماذا تريد؟ القفل أو المفتاح؟".

فأجبتك حينها:

- "بالطبع أريدُ المفتاح كي أفتح قلبك وأدخله، فأنام به مطمئناً  
البال".

وبالفعل أرسلته إليّ، واحتفظت بالقفل.

في كلِّ مرّةٍ أهَيُّ نفسي للسفر إليكِ تقولين لي:

- "أول ما سنفعله أن ندخلَ المفتاح في القفل لتفتح لنا الدنيا باب  
سعادتها وبهجتها".

ولكن، دائماً ما يخلفُ القدر موعده، وها أنا ما زلتُ أنتظرُ ذلك  
اليوم الذي سندخلُ فيه مفتاحي في قفلكِ.

حسناً، تعالي نتفق ونعجل هذا الأمر، لديّ خياران، فأرجو منك  
أن تأخذيهما على محمل الجدّ ولا تعبثي بهما. الخيارُ الأوّل هو

التَّحَدُّثُ بِكُلِّ مَا حَصَلَ مَعَكَ دُونَ نَقْصَانِ حَرْفٍ وَاحِدٍ، فَإِنْ كَانَ تَافَهُاً بِالنِّسْبَةِ لَكَ قَدْ يَكُونُ قِيَمًا بِالنِّسْبَةِ لِي. وَبِهَذَا تَقْتَرِبِينَ مِنِّي أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ، لِنَصْلِ بِسُرْعَةٍ نَحْوَ الْهَدَفِ الْمُنْشُودِ أَلَا وَهُوَ الزَّوْاجُ.

أَمَّا الْخِيَارُ الثَّانِي يَا صَدِيقَتِي أَنْ نَبْقَى عَلَى عَهْدِ الْحَبِّ مُخْلِصِينَ طَائِعِينَ لَهُ، وَلِلْعَشْقِ أَوْفِيَاءَ، نَاسِينَ أَمْرَ الزَّوْاجِ.

فِي قَلْبِي أَمَلٌ بِأَنْ تَقُومِي بِاخْتِيَارِ الْأَوَّلِ، أَنَاشِدُكَ بِذَلِكَ، اسْتَعْجَلِي التَّفْكِيرَ بِالْأَمْرِ، وَلَا تَهْرَبِي كِعَادَتِكَ، وَلَا تَصْمَتِي، فَإِنَّا أَكْرَهُ صَمْتَكَ وَأَخَافُهُ، وَبِخَاصَّةٍ فِي الْأُمُورِ الْمَصِيرِيَّةِ كِهَذِهِ. أَشْعُرُ حِينَهَا بِفَقْدِي الْبَاكِرِ لَكَ، وَأَخْشَى أَنْ تَهْرَبِي مِنِّي، فَلَا أُرَاكَ ثَانِيَةً. إِنَّ هَذَا يَجْعَلُنِي فِي وَحْشَةٍ دَائِمَةٍ، فَتَنْقَلِبُ أَفْعَالِي عَلَيْكَ، وَأَبْدَأُ بِالْإِنْفَعَالِ وَالثُّورَانِ دُونَمَا سَبَبٍ يُذَكِّرُ، الْأَمْرُ الَّذِي يَثِيرُ غَضَبَكَ، وَيُدْفَعُكَ إِلَى أَنْ تَدَسِّي فِي أذْنِي كَلَامًا كَالسَّمِّ، لَتَنْغَلِقِي بَعْدَ هَذَا كُلَّهُ عَلَى ذَاتِكَ. حِينَهَا سَتَكْبِرُ الْهُوَّةَ بَيْنَنَا، فَلَا أَنْتِ تَعْتَذِرِينَ، فَتَقْتَرِبِينَ، وَلَا أَنَا فَاعِلٌ ذَلِكَ. أَخَافُ أَنْ يَتَفَاقَمَ غَضَبِي، فَاتْفَوْهُ بِمَا يَجْرُحُكَ

وما يجعلك تنفرين مني أكثر، وهكذا تزدادُ المسافاتُ بيننا أكثر  
ممّا هي عليه الآن.

آدم: كم تمنيتُ أن تقاسميني الحياة بخلوها ومرّها! لا أريدُ مقابل  
حبيّ لك سوى ابتسامتك، لا أريدها أن تغيب.

حواء: أنتَ الأعلى في حياتي، بحبك وعطائك وفرحك وكلّ شيء  
يا صغيري.

آدم: لكنني أشعرُ أحياناً أنّي في مهمّةٍ خاصّةٍ تنتهي بانتهاء حاجتك.  
حواء: وما حاجتي؟ حبيّ لك؟ أو الزّواج بك؟

آدم: لا أدري، مُجرّد مشاعرٍ سوداويّةٍ تنتابني، فقد احتللتِ قلبي،  
وأنا أخافُ رحيلك جسداً. لا تعيري المشاعر السّوداء أيّ اهتمام.

حواء: مشاعري موجّهةٌ إليك، فهي تأبى الاستسلام.

آدم: ومشاعري لم تخترك حين أحبّتك.

حواء: القدرُ هو الذي سيأتيّني بك، فلا تُحزنِ القلب والرّوح.

آدم: روحي مندفعَةٌ نحو روحك بشكلٍ كبير.

حواء: وقلبي مرتبطٌ بقلبك ارتباطاً عظيماً.

قد أغلقت كلَّ أبوابك في وجهي، وزرعتَ في دربي أشواكاً لا  
حصراً لها. وقفتُ وحيدةً أتأملُ بابك المغلق، ومن ثمَّ أطوفُ  
بعيني، فأرى الحصى والأشواك قد نثرت في المكان. عدتُ  
لأنظر إلى بابك، فصرختُ قائلةً:

- "سأختفي من قلبك إلى الأبد، وسأهبك حياةً كاملةً خاليةً من  
نبضي".

سرتُ في اتجاهٍ آخر، وأنا حافيةُ القدمين. لم أشتكِ طول الطريق،  
ولم أتألم؛ لأنني كنتُ أشعرُ بوخزٍ يسارَ صدري، وهذا الوخزُ قد  
مزَّق أحلامي.

أتذكرُ كم أقسمتَ لي أنك لن ترحل؟! آلاف المرَّات قد أقسمت،  
وربَّما أكثر منها بكثيرٍ، ومن ثمَّ رحلت! أقسمتَ أن تبقى طوال

العمر معي، فطال العمر، ولم تبقَ! أنت الذي عاهدتني أن لا حياة  
لك دوني، فأكملت حياتك بعيداً عني.

قف قليلاً قبل أن ترحل، لديّ أمنيةٌ أخيرة، أمنيةٌ امرأةٍ حُكِمَ عليها  
بالإعدام، فإن فقدت الحبَّ ستموت.

أمنيّتي لك ألا تطلب الجفاء، وألا تستعجل الرّحيل.

قد أفقتُ من سباتي القصير، ووضعتُ يدي على يسار صدري،  
وضربتهُ عدّة ضرباتٍ متتالية لعلّه يستيقظُ قبل فوات الأوان،  
وقبل أن يدخل في غيبوبة الحبِّ ولا يفيق من بعدها. ضربتهُ  
وكأنّي أستعجلُ ألماً ينسيني ألمك، إلا أنّ الوجد استمرَّ كحبِّك  
الذي مازال يضيءُ فؤادي. قد أوجعني الألمُ الذي أحدثتهُ  
وأبكاني، ألمك الذي لن يرحل عني.

نمتُ من فرط التّفكير بك، وروحي لم تنم؛ إذ إنّها كانت في  
صحبة روحك اللّيل بأكمله، ظلّت تحومُ من حولي وتحرسني من  
كوابيس أنتني، فأفزعتني. قد استطعتَ يا صغيري أن تبرعَ في

زرع الابتسامة على شفاهي في الخيال، أمّا في الواقع! وَصَبُّ  
حلّ بي حتّى سرق البسمة من ثغري.

دعنا نناقش الخيار الأول:

قد ارتضيئك زوجاً دون حججٍ ودون مطالب، فأنا لا أُطيقُ الحياة  
بعيداً عنك، وفي المقابل جعلت ماضيّ بيني وبينك بعد أن كنت قد  
نسيت التفاصيل التي ترغب بها، لا كما تعتقد بأنّي أغفلتها عمداً!  
لا، قد سهيتُ عن بعضها وذكرتُ لك بعضها الآخر، ولم أترك إلاّ  
القليل مقارنةً بالذي تكلمتُ عنه وتنبأت أنت به.

أستطيعُ التحدّث عن شخصٍ مرّ بحياتي، فأغمّها وعبث بها. قد  
كانت ذكرياتٍ سوداءٍ كالحة، وهي تُصيبي بالغثيان كلّما حاولتُ  
تذكّرها، وكلّما صمّم فمي على الإتيان بذكرى جاءت مشوّهةً  
وغير صادقة. لذلك، في كلّ مرّةٍ أروي فيها القصة تختلفُ عن  
سابقتها اختلافاً جذرياً، لأحاول استنكار ما قلته لك فيما مضى،

وهكذا أجد نفسي قد نسيتها، وكأني مصابةً بفقدان الذاكرة ولم يعد  
باستطاعتي مطلقاً تذكُّر ما حدث معي. قد غدت كلها ذكرياتٍ  
سيئة لا أُرغب بها، لكنّها تأتيني في الليل فتنهش أحلامي وتقتل  
ليالي!

لن نصل إن كنت ستبقى واقفاً هكذا كالصنم تُطالبُ بشيءٍ لا  
وجود له، ولن نصل معاً إلى مبتغانا، سنتوه في زحمة الحكايا.  
أنت تبحثُ عن إبرةٍ في كومةٍ من القشِّ، وإن أحرقت القشَّ يا  
عزيزي فلن تجد الإبرة أبداً؛ لأنك تبحثُ في ذاكرتي عن شيءٍ  
معدمٍ انتهى وزالت آثاره، ولن نصل إليه لا أنا ولا أنت! فتعال  
نتساعد على ترميم الجزء الذي أطلعك عليه وحسب، فلربّما  
أكونُ قد سهيت عن جزءٍ آخر، أمّا الباقي فلن تستطيع الحصول  
عليه؛ إذ لا يوجد إنسانٌ عاقلٌ يستطيعُ تذكُّر تفاصيلِ محادثاتٍ  
كثيرةٍ مرّت قبل خمس سنوات أو أكثر، ولن ترى ذاكرةً حديديةً  
تعطيك ما ترغب به! فأناشذك أن تتساهل في طلباتك.

آدم: أهفو إليكِ وأنتِ في ثنايا رُوحِي تُقيمين.

حواء: أصبو إليكِ ما بين الثانية والثانية، ما بين غمضة عينٍ  
واستفاقتها.

آدم: حنيني إليكِ يزدادُ يا من استوطنتِ القلب! لطفاً به، فقد  
أرهقتِه حبّاً ووصباً.

حواء: سيُسجَلُ التاريخُ حبّنا في أساطير الغرام وكتب الحبِّ  
المجنونة.

آدم: لكِ ألفُ سلامٍ، وسلامٌ لقلبك الذي لا يغادرني.

حواء: لكِ ألفُ سلامٍ يا أظهر من رسمته على جدار القلب.

آدم: تنامُ العيونُ وأنتِ في القلب ساكنةٌ سرّاً، فدعيني أنام.

حواء: أتمنى استيقاظي ذات صباحٍ على نبضاتك الصارخة  
بغرامي.

آدم: حينها سأضمُّك بين ذراعيّ، وسأسطّرُ على شفاهك أقوى  
أبيات الشعر.

أحتاجك أنتِ دون أربعينك، فإن كنَّ شبيهاتك إلا أنك في الغرام  
متفرّدةٌ يا حبي الأوحـد. قد ملّت الأحلام منّي وهـرول الخيال بعيداً  
عن أرضي، فهلاً تهـبيني مئة قلبٍ كي أحتفظ بالمشاعر الهائلة  
التي تُحدّثني عنك في الدّقيقة سبعين مرّة.

أرجوك أن تمنحيني عيوناً كثيرةً أراك بها أينما توجّهتِ ورحلتِ.  
امنحيني أيدي كثيرةً أعانقك بها، فلا أتركك إلا بعد أن يلتحم الجسدُ  
بالجسد. أريدُ أرجلاً كثيرةً كي أهرب إليك من أسى الحياة  
وظلمها، إلى عدلك وإحسانك. أرغبُ بجناحين اثنين لا أكثر كي  
أطيرَ إلى أرضك.

أتكفيك هلوساتُ الهيام هذه أم أعقدُ صلحاً مع الخيال؟ به أسافرُ  
إلى أرضك وأصف لك شوقي وانغماس أيّامي في السّهر  
والانتظار، كعجوزٍ ينتظرُ شفاءه كنت، في السّاعة الخامسة

والعشرين انتظرتُك. كطفلٍ ينتظرُ عودة والدته من القبر في  
الدقيقة الواحدة والسّتين، وكعاشقٍ ينتظرُ محبوبته في الشّهر  
الثّالث عشر، وبالفعل انتظرتُكِ على رصيف الغرام في اليوم  
الثّاني والثّلاثين من شهر الحبّ.

لا أستطيعُ يا محبوبتي، هناك شيءٌ كبيرٌ تخفيه عنيّ، شيءٌ لا  
أريدُ أن أفاجأ به بعد الزّواج. من حقّي معرفة كلِّ شيءٍ عنك،  
لكنّك لم تعطيني سوى القليل ممّا في جعبتك. كيف أصلُ وأنتِ  
تغلقين الأبواب بقوةٍ في وجهي؟! تطرديني من ماضيكِ بحجّة أن  
ليس فيه شيءٌ جديد، ورغم أنّ لديّ الكثير ممّا لم تبوح به لكنّي  
لن أعطيكِ إيّاه؛ لأنّي أريدُ منك الكلام حتّى أعرف كلَّ شيءٍ لم  
يسبق لي أن أصل إليه.

لديك الكثير ممّا تبخلين به عليّ، وقد بدا لي أنّك لن تتفوّهي به  
أبدًا، وحتّى لو وضعتُ فوهة الفراق أمامك فلن تنطقي! مع ذلك  
كلّي أملٌ أن يتغلّب حبُّك على عنادك يا صغيرتي، فها قد وصلتُ  
إلى نجوى الحبّ، وناجيتُ طيفك في اللّيل مع اكتمال البدر،

وما زالت روحك التي علقْتُ بها تطوفُ من حولي وتتجوَّلُ في  
بيتي كأنَّها سيِّدته، نطهو معاً، ونتحدَّثُ معاً، ونشاهدُ التَّلَافُزَ معاً،  
وما أجمل النَّومَ معاً!

طلبي صغيرٌ يا حلوتي، الصِّدْقُ في الحديث، والأمانةُ في الأفعال.  
الصِّدْقُ في الماضي، هَلَّا تتليه عليَّ كما حصل. لا تلقي اللُّومَ  
والتَّقْرِيعَ عليَّ، ولا تغضبي منِّي. افهمي قلبي وعقلي، وسيري  
وراء رجلٍ يريدُك زوجةً له أمام الجميع.

لن تفهمي بتاتاً ما أعنيه؛ لأنَّك الطَّرْفُ الثَّانِي من القضيَّة، وأنا  
لستُ لك خصماً، إنّما أنا حبيب، ولسنا في قاعة محاكمةٍ لنتشاجر،  
لي حقٌّ أعطني إيَّاه، وكفى. إن فشل هدُفُنَا فسيقع اللُّومُ على عاتقك  
يا صغيرة، وستحملين الهمَّ وحدك بينما سأندثر بمفردي.

آلامُ النَّجوى لا أحد يقوى على اجتثاثها إلَّاك، فسارعي لذلك،  
وبادري لحبِّ أقوى ممَّا تملكين. إنَّه حبٌّ عاصفٌ قاسٍ يأخذني  
إلى ذروة الجنون. دعينا في بحر جنون حبِّنا نبحر، نلعبُ مع

الأمواج، وتلقي بي إلى نجوى الحبِّ. لا تدعي الرِّياح تعصف  
بي، ولا تتركيني طوال اللَّيل أئنُّ وأبكي حلماً ضاع من بين  
أناقلي، ففشلتُ في الإمساك به.

آدم: هل ستتخلين عني؟ وهل ستهربين مني؟

حواء: طبعاً لا، سأبقى وطنك حين تشعر بالحنين، ومسكنك حين  
تتعبك الأيام.

آدم: كنت صادقاً معك لأبعد الحدود، وهو ما لم ألمسه منك.

حواء: كنت صديقة معك، لكنك لم تلمح صدقي، والآن أعدك أنني  
سأكون في قادم الأيام معطفك في أيام الشتاء، والأمل في فصل  
الخريف، وسأغدو منديلاً رقيقاً إذا ما بكيت، وسأرافقك كظلك  
على مختلف الأرصفة، والأهم أنني سأكون الضوء لعينيك في  
لحظات ظلمتك.

آدم: لكنك كنت الخيار الأصعب لي، ومع ذلك اخترتني رغم  
صعوبتك، فتخلت عني، وبسهولة تركت يدي تبحث عن يدي  
الأخرى كي تمسكها.

حواء: لم أتخلَّ عنكَ بتاتاً، وإن تخلَّيتُ عن ماضيِّ، فقلبي متشبَّتُ  
بك.

آدم: الظُّروفُ كانت أقوى من حبِّي لك.

حواء: حبِّي لك أقوى من الظُّروفِ كلِّها.

آدم: أخافُ أن أدرك الحقيقة متأخراً، ففي حينها أكونُ قد مشيتُ  
أميالاً في مسارٍ لا أرغب به، وربَّما أندمُ عليه.

ليس ثمة قلوبٌ خاليةٌ، فإمّا أن يسكنها الحبُّ وإمّا الوجع. قلبي مليءٌ بك وبأحزان الشتاء القارس، فلنبدأ عهداً جديداً بالحبِّ، بالصداقة والأمان والاطمئنان. دعنا يا صديقي نعش روعة البدايات وحسب، لا شيء غير البدايات، وما إن نبلغ المنتصف نعود كأطفالٍ صغارٍ إلى خطِّ البداية. لا تعترف مثلي بالنهايات؛ لأنّها لم تُخلق لأمثالنا، وإمّا هي حجج وضعها متسوّلو الحبِّ وسارقوه.

ليُسَطَّر التاريخُ قصّة أوّل عاشقين عاشا روعة البدايات فحسب، ولنعش باكورة حبِّنا وهيامنا يوماً إثر يوم، وكلّما همّ أحدنا بالرحيل ذكره الآخرُ بالعهد الجديد.

بين قلبي ونبضه موعدٌ يشتاؤك، وبين الشوق والحنين مسافهٌ ألم لا تُقاسُ بالمتر بل بكميّة الدُموع، تُقاسُ بتجاعيد الزّمن الحالمة

التي ترسمُ حلماً أرهقتهُ السُّنون، بحجم الوحدة وعذاب الانتظار،  
بوجهك الشَّاحب المتأمل عمراً مزهراً، قد ينتهي العمر ولا ينتهي  
الانتظار.

لا يهْمُني ما ستراه في السَّلف طالما أنّي لم أنكره ولم أخفه عنك،  
فقد وضعتُ لك البراهين بأنّي ما أغفلتُ أمراً عمداً، وإنّما هو  
النسيان، فلا يهْمُني بعدها حكمك عليّ.

ها أنا أعلنُ استسلامي أمامك وأرفعُ بيديّ الاثنتين العلم الأبيض  
الصَّغير، والآن لا مجال للحديث مرّةً أُخرى، فلا أنت ستتعب ولا  
أنا. لن أحكي ولن أُقرّر، فالقرار والحكم لك. سيرضيني قرارك  
وسيبكيني حكمك. أمّا القرار فسينبُع من عقلك ولا فرار منه،  
وسيصبُّ في عقلي ولن أفهمه. وأمّا الحكم فسيكون ظالماً وجائراً  
حين سنْتَهْمُني بأنّي امرأةٌ سيّئةٌ كانت ومازالت تنقضُ العهود  
وتحنثُ بها. بدءاً من هذه اللّحظة سأبكيك ليلَ نهار، ولن تشفع لي  
دموعي وانھیاراتي.

كم أصبحت قاسياً عمّا كنت عليه! لم تعد تأبه بتأوهاتِي في اللَّيل  
وبأنيبي. قد أصبحت شخصاً أنانياً وكأني ما عرفتك يوماً! بدأت  
تتحولُّ ببطءٍ إلى آدمٍ آخر لا يشبهُك، وهذا ما أمقتهُ! أن تصبح  
نسخةً عن غيرك، بينما قد أحببتُ فيك الاستثناء، فكن ذا ندرةٍ كما  
عرفتُك، ولا تكن شخصاً لا يُستساغ.

وفي نهاية رسالتي نصبت أوراقِي، وما عادت بحوزتي ورقةٌ  
واحدةٌ أقدمُها لك. إنِّي أعلنُ لك ذلك بهدوءٍ علَّك تسمعُ اعتذاراتي  
وتفهم بيّتي هذه، وأنا أعطيك إياها حزينَةً لما آلت إليه أمورنا  
غيرَ سعيدةٍ بها.

أستطيعُ أن أصرحك الآن بأنك كنت لي الحبَّ الطاهر النَّقيَّ،  
وبأني قد حلمت برجلٍ مثلك منذ سنين خلت. مرّت السنونُ تلَوَ  
بعضها، وزارني غرباءُ كثيرٌ، وكلُّ واحدٍ منهم يحملُ في عينيه  
شراً لم أكن لأطيقه ممّا دفعني إلى كره الجميع دون استثناء، إلى  
أن جنّتي وكنّت الاستثناء. قد أحببتُك بكلِّ ما فيك، بروحك

العفوية وقلبك النقي، بشخصيتك السمراء الجذابة، وبرجولتك.

وحين كنت تسألني عمّا أثار إعجابي بك كنت أُصرّحُ بقولي:

- "أحبُّكَ لأنَّكَ رجلٌ".

- "ماذا تعنين بهذا؟".

- "إنَّ الرُّجولة هي صفةٌ بحدِّ ذاتِها، وهي تجمعُ في طيَّاتها كلَّ

الصِّفاتِ الحسنة. أيكفيك هذا أم أزيد؟".

ومع كلِّ هذا الغرام وقف القدرُ والنَّصيبُ والمسافاتُ والماضي

ضدَّنَّا! أليس هذا جرماً كبيراً؟

آدم: أحياناً أشعرُ بأنِّي أبلُغُ في وصفِ مشاعري، فيحزنُنِي كلُّ شيءٍ.

حواء: هذا لأنَّكَ مرهفُ الإحساسِ والوجدانِ.

آدم: كلُّ الأشياءِ الموجهة تُوجعني أكثر، والكلماتُ الثقيلةُ تُدمِّرُنِي كما التفصيلُ تقتلُنِي.

حواء: قلوبُنَا تشعُرُ بكلِّ شيءٍ من حبٍّ وعذابٍ، ونحنُ لا نملكُ سوى أن نتجاوزَ مشاعرنا دون أن تسحبنا إلى القاعِ.

آدم: هل نستطيعُ تخطيَ الكلماتِ المهينةِ والمواقفِ المؤلمةِ دون أن نتعبَ؟

حواء: نعم، سيأتي يومٌ نصحو فيه من سكرةِ الشُّعورِ.

آدم: ولكنَّنا في حينها سنفقِدُ ذاتنا وجزءاً كبيراً من قلوبنا.

حواء: أجل، وسنكونُ في حينها قد تعلَّمتنا كيف نجمعُ مشاعرنا  
ونُقَيِّدُها، فنُعِيدُها إلى مكانها.

آدم: إلَّا أنَّ هناك أشياء لا تعودُ إلى ما كانت عليه.

حواء: الكلُّ سيعود إن عاد الحبُّ إلى طبيعته الأولى.

آدم: ونعودُ إلى البدايات.

حواء: ونبقى في البدايات.

تعالى نودّع الشوق وداعاً قصيراً كعامٍ لا ينتهي، ونعانق بعضنا  
ونحكي ألف ليلةٍ وليلةٍ عن الغرام وأساطيره. تعالي إليّ كي  
يموت الحنينُ قهراً وهو واقفٌ بغصّةٍ على أعتاب ماضينا. تعالي  
لأجلس بين ذراعيك كطفلٍ يأبى الكبر، لأقبلك وأهرب منك،  
وأجعلك تفتّش عني بين أروقة الحكايا وعلى رفوف الأساطير،  
وسرعان ما تجدينني جالساً قربك أتأملُ سحر الحبّ في عينيك.

لا تطيلي البعد، فالانتظارُ لم يُخلق لنا. قد قالوا قديماً:

- "حين تشتاق لأحدهم يُرغمك حبه على الكتابة!".

كيف وحبُّك تخطى بحور الشعر وأبجدية اللغة! في عينيك بريقٌ  
يجعلني أمياً لا أفقه الكتابة ولا القراءة. هيامي لا تُعبّر عنه  
روايات العالم قاطبةً، وإن كتبت لك مجلّداتٍ كثيرةً يبقى قلبي  
عاجزاً عن وصفِ مشاعري الهامسة بغرامك.

ما رأيك؟ أترجعُ إلى البدايات؟ هذا هراءٌ يا صغيرتي! هل سنبقى  
في نفس الدَّوامة فلا نخرج منها أبداً؟ إنَّ لدرب المحبِّين نهايةً  
معلومةً يا صغيرتي، ألا وهو الزَّواج، فكيف سنبقى في الطَّلِيعَة  
الأولى دون أن نتقدَّم خطوةً واحدةً؟ الخلافاتُ تجعلنا نقترُب أكثر،  
فبها أعرفُ ماهيةَ تفكيرك، وأنت كذلك.

إنِّي مشتاقٌ لك، متعلِّقٌ بخيوط الأمل لعلَّها توصلني إلى دنيا  
جمالك.

عيناى من الشُّهاد ما عادت ترى الألوان على حقيقتها، فقد اشتدَّ  
بي الشُّهاد طوال اللَّيل وأنا أحلمُ بكِ بعينيَّ اليقظتين. لم أعد أعرف  
النَّوم مطلقاً؛ لأنَّ تفكيري مشتتٌ في كلِّ الأوقات. ما هذا؟ بالله  
عليك! والله لهو الظُّلم بعينه.

لمَ تفعلين هذا بي؟ أنتنقمين ممَّن سبقوني بي؟ أكنتُ مقصراً في  
حقِّك؟ ستقولين لي:

- "لا، يشهد الله أنَّك لم تُقصِّر في حبِّك، بل أكرمتني بالحبِّ جدًّا".

إذن، لم تبخسين حقِّي وتهضمينه؟ كلُّ من مرَّ بحياتك أخذ حقه منك وأكثر إلا أنا لم ألقَ منك سوى الوجد. لم أستلَّ منك سوى عهودٍ لم تُنفذ واتفاقياتٍ على صفحاتٍ بيضاءٍ ناصعةٍ غير مكتوبة، ولم ألمح سوى إجهادٍ عينيٍّ وأمراضٍ لم أشعر بها من قبلُ زارتني وأنتِ معي. كلُّ هذا لأنني وثقتُ بك وبالحبِّ الذي تحملينه. أنا من لاحقك ليلَ نهار، وكتب إليك وعنك. أمّا أنتِ، فماذا فعلتِ؟ لم تفعلي شيئاً حياً، وبخجلٍ يربكك كنتِ تتذرعين بقولك:

- "إنِّي مرهقة"، "أودُّ النَّوم"، "إنِّي متعبة"، "قد أصابني صراعُ ففتك بي"، "اليوم باردٌ، وأنا أرغبُ بالنَّوم باكراً".

إنما هي حججٌ استعنتِ بها كي تهربي منِّي، أنا المُتيمِّمُ العاشقُ أسهرُ اللَّيلَ بمفردي وكأنَّ ليس لي في هذا العالم حبيبةٌ تُشاركني ساعةً سهرٍ واحدةٍ ليس أكثر. لم أطلبُ أن تقضي معي اللَّيلَ بأكمله مع أنِّي أرجو ذلك، طلبتُ منك أن تمنحيني القليل من وقتك، أن تمنحيني جزءاً من ليلك، فأنا راضٍ به، ولكن ما إن تتمَّ

السَّاعَةُ العَاشِرَةُ حَتَّى تَتَذَرَّعِي بِأَسْبَابِ تَافِهَةٍ وَتَهْرَبِي، وَمَعَ أَنَّكَ  
تَدْرِكِينَ الحِزْنَ وَالغُضَبَ الَّذِي يَتَمَلَّكُنِي إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُحْدِثُ فِرْقَانًا!  
وَفِي صَبَاحِ اليَوْمِ التَّالِيِ تَمَرِّينَ عَلَيَّ بِصَبَاحِ خَيْرٍ بَارِدَةٍ كَوَجْهِكَ  
دُونَ أَنْ تَذَكِّرَنِي لِي سَبَبِ هُرُوبِكَ وَدُونَ أَنْ تَرَافِي بِحَالِي، حَتَّى  
إِنَّكَ لَا تَتَفَكَّرِينَ بِمَا حَصَلَ مَعِي فِي اللَّيْلَةِ المَاضِيَةِ مِنْ انْهِيَارَاتٍ  
وَعَوَاصِفَ وَكَوَارِثَ وَأَزْمَاتٍ كَادَتْ أَنْ تَفْتَكِ بِي. تَبًّا لَكَ! بَيْتٌ  
أَمَقْتُ أَنَانِيَّتِكَ هَذِهِ، فَأَنْتِ لَا تَتَفَكَّرِينَ سِوَى بِنَفْسِكَ.

يَا نَدِيمَتِي سَأَتَخَلَّصُ مِنْكَ قَرِيبًا، وَسَأَعْلُنُ لَكَ رَسْمِيًّا القَرَارَ الَّذِي  
اتَّخَذْتُهُ، أَلَا وَهُوَ رَفْضِي لِلزَّوْجِ بِكَ. لَمْ أَعِدْ أُرِيدُهُ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ كَمَا  
تَعْرِفِينَ شَرُوطًا لِإِتْمَامِهِ، وَهِيَ أَنْتِ قَدْ اِمْتَنَعْتِ عَنْهُ، وَأَنَا أَمْتَنَعُ عَنِ  
الزَّوْجِ.

أَيُّرِضِيكَ هَذَا بَعْدَ أَنْ دَمَّرْتِ حَبِّي وَحَلْمِي؟

سَامِحْكَ اللهُ يَا طِفْلَتِي. سَامِحْكَ اللهُ بِمَا فَعَلْتَهُ عِنَادُكَ بِنَا. لَقَدْ دَمَّرْتِ  
الْحَبَّ كُلَّهُ، الْبَيْتَ وَالطِّفْلَ، طِفْلَنَا الَّذِي تَمَنِّيْتُهُ مِنْكَ، تَخَيَّلْتُهُ قِطْعَةً

صغيرةً تشبهك، أمّا أنتِ فكنتِ ترفضينه، وبشدةٍ، حتّى قمتُ  
بإقناعك، فأردته طفلاً صغيراً يُشبهني كي يُصبح لديكِ طفلان  
تلهين بهما.

آدم: أتحببيني؟

حواء: أجل، فغيابك يجعلُ وجوه النَّاسِ متشابهةً تحملُ وجهك  
فحسب، ورائحةُ الهواءِ مليئةٌ بأنفاسك.

آدم: مذمتي أحببيني؟

حواء: لم أعد أتذكر! حين بدأتُ ألمحُ روحك تطوفُ من حولي،  
وحين بدأتُ أشعرُ باليتم في غيابك.

آدم: وكيف حالكِ حين أغيب؟

حواء: أشعرُ بغربتي قد بدأت، وإن كنتُ بين الأهل والخلان.

آدم: هل سيموتُ حبي في قلبك؟

حواء: حين يتوقفُ القلبُ عن النبض.

عدني بالأ تَدعني أسقط من بين يديك في هُوَّةٍ سحيقةٍ لا نِجاةَ  
منها، وأن تعود في كلِّ مرَّةٍ أبتعدُ فيها عنك. أهربُ منك فأجدُك  
في منتصفِ الطَّرِيقِ فاتحاً لي ذراعيك لللممةِ شتاتي، فلا تُبعثر ما  
بقي منِّي. أراك تسألني في منتصفِ الصَّمْتِ:

- "كيف نبضُك يا نبض قلبي؟".

- "ما زال هادئاً يرُدُّ اسمك ويتألَّم، فلا تدعه يتوقَّف. عد إليه  
وانثر وعوداً ببقاءٍ يطول، ببقاءٍ أبدي".

سيذكركُ بريقُ عينيِّ وصوتُ ضحكاتي التي اعتدتها، وسيذكركُ  
ألَمي في كلِّ ليلةٍ بالعودة، فلا تهجر. الهجرُ يُعلمني البعد عن سَكَّةِ  
الحبِّ؛ لأنِّي لم أعتد غيابك بعد. كنتَ حينَ تغضبُ وتهمُّ بالرحيلِ  
أستوقفُك وأنا ممسكةٌ بتلابيبِ غرامك، وأستحلفُك بالله ألا تهجرني  
هجراً مباحثاً، فحينها ستقتلني دفعةً واحدة. كنتُ أقول لك:

- "إذا ما قرّرت الرّحيل فلا تغادر دون سابق إنذارٍ، وإنّما غادر  
ببطءٍ كي أعتاد الأمر".

لم أكن أعرف يا صاحبي أنّك تُخطّطُ للفراق، لذلك بدأت بالعدّ  
العكسيّ، وبدأت تهجرُ أيّاماً، ثمّ تزيدُها شيئاً فشيئاً، كمدمنٍ على  
الحبوب المخدّرة، مثلي حين أدمنتُك.

أرهقني الوقوفُ أزماناً على أعتاب حكايتك، فاستحلفُك بالله يا  
من أنبتهُ الله في قلبي ألاّ تطيل الغياب، ألاّ تدع الشّوق يتحوّل إلى  
ذنبٍ مفترسٍ يعوي طوال اللّيل وهو ينتظر ساعة الحنين لينقضّ  
عليّ وينهش ما بقي فيّ ويحملني جنّةً تبحثُ عن روحها في  
خزانة الذاكرة.

لا أستطيع التّدكّر، فلا تحمّلي ما لا طاقة لي به ولا تقدني إلى  
الجنون. كلّما استرجعتُ ذكرى ما يُعيدُ دماغي صياغتها من  
جديد، فلا تبقى كما كانت؛ لأنّها قابلةٌ للطرق والتّشويه والتّغيير.  
هذا ما يُسمّى بسرّاب الذاكرة، وهي تحدثُ حين نحاولُ قمع

الذكريات السيئة فتختفي. مرّت سنواتٌ عدّةٌ وأنا أُحاولُ قمعها كي تختفي من حياتي إلى الأبد، إلى أن أتيتني أنتَ وبدأتَ تطالبني باستعادتها كلّها، ومع أنّي أُجبتُ عن معظم إجاباتك إلا أنّ ما تريده يصعبُ الوصولُ إليه، ورغم ذلك مازلتَ تقاتلُ لإحياء جزئها الآخر، وهو الجزء المدفون الذي لا أرغب باستعادته، فهو سيقتلني إذا ما أحييته. لا أريده، ولا أطيّفه، فلم تُحاولِ تشويهه حاضري بماضٍ كنتُ قد بترته من حياتي قبل أن يبتر الحياة فيّ. دع دماغي يفشلُ في استعادة تلك الذكريات، وأنا سأشجّعهُ على الفشل، كيف لا وأنا لا أريدُ له النّجاح!؟

ببساطةٍ لا أريدُ استعادة شيءٍ قد رحل عني بإرادته، فلا يتمُّ بناءُ الذكريات إلا لحظة استعادتها، وهنا ستتغيّرُ كلياً عمّا كانت عليه، وهذا بالضبط ما حصل معي. دماغي يُرسلُ إشاراتٍ خاطئةً لصنع ذكرياتٍ لم تحدث، وإن كانت قد حدثت فهي ناقصةٌ وغيرُ مكتملة، ثمّ إنني لم أعد أستطيعُ التّمييز بين الذكريات الحقيقيّة وتلك الوهميّة والأخرى الحاجبة، وهذه الأخيرة هي التي تحلُّ

محلّ أُخرى، فتحجبها عن الوعي، وهذا ما سمّاه فرويد باعتلال  
الذاكرة.

لستُ بمخادعةٍ ولا كاذبة، ومع ذلك ستقول لي:

- "أنا سأسألك، وما عليكِ سوى الإجابة".

وإن سألتني فأنا لا أتذكّر شيئاً ولا أرى سوى صفحةٍ بيضاءٍ نقيّةٍ  
لا وجود لأثر الماضي داخلها، ولأنّي أحبُّك لا أستطيعُ الكذب  
عليك.

لا أستطيعُ جلبَ أحداثٍ لا وجود لها كي أرضي غرورك، ولا  
أستطيعُ خداع من وهبتهُ قلبي وعمري.

لن أعترض على قرارك، ولن أنبس ببنت شفة، وسيأتي اليوم  
الذي تدرك فيه أنّي كنتُ صادقةً معك وأنّك أخطأت حين لم تؤمن  
بصدقي.

آدم: كثيراً ما نعيشُ دور عديمي الإحساس كي نقتع أنفسنا بأننا  
بخير، بينما نحنُ نحترقُ من الدَّاخل.

حواء: اترك التفاصيل جانباً كي لا تحترق، وافتح أبوابك كي  
ينبض قلبي عندك.

آدم: الكتمانُ كالنزيف لا يراه أحدٌ، لكنَّ ألمهُ يقتلُ صاحبه.

حواء: أفصح عمّا في قلبك ودعه ينزف في قلبي، فأنتِ ما زلتِ  
تُشكِّلُ شيئاً عظيماً في قلبي وفي خطواتي وفي كلِّ حياتي.

أشدُّ ما يؤلمني أني حين أحتاجُ كتفكِ لأستندَ إليه شاكياً وجعي  
وتعبي لا أراكِ، فدوماً تختلقين أذاراً تافهَةً كي تبتعدي، فتُبقيني  
في ساحة الغرباء. يُرعبني أن أقضي حياتي وحيداً وبعيداً عن  
نصفي الآخر، فوجعُ الجسدِ قابلٌ للعلاجِ مع الوقتِ بمضادِّ حيويٍّ  
وبحميةٍ يحدِّدها الطَّبَّيبُ، ولكن هل لوجعِ الرُّوحِ من يعالجها؟!  
يُعذبُّني شعورُ الوحدةِ كثيراً مع أنَّ هناك على الأرض من  
تنتظرني وتنتظرُ مني إعادة فتح الطَّريقِ.

وبفضل حبِّكِ احترفتُ اللُّصويَّةَ وأصبحتُ لصاً بارعاً مذ  
أدمنتكِ، وأضحيتُ كلَّ ليلةٍ أزوركِ في الخفاءِ، أسرقُ فؤادكِ  
وأخفيه بين جفنيَّ، ومن ثمَّ أنام ليلةً هادئةً مطمئنَّةً. وإذا ما أتيتني  
باحثةً عنه فتحتُ لكِ ذراعِيَّ، وعانقتُكِ عناقاً حاراً لا مناص منه.

فاعذريني إن لم أعتذر لكِ عن سرقتي قلبك، فهو ملكٌ لي، ولي  
الحقُّ فيه، فلن أدعه لغيري.

لا أستطيعُ تصديقك؛ لأنكِ تخدعين القلب الذي هوأك وأعطاكِ  
الأمان وكان لكِ السند في كلِّ شيء.

إذن، فلنعش الحبَّ والألفة معاً، فقد بتُّ تواقاً لكِ بشدّة، وأشتهي  
تقبيل ما بين عينيكِ. خذيني بين ذراعيك، وافتحني للحبِّ آفاقاً  
جديدةً، وارسمي على وجدان العقل الغرامَ والهيامَ، وعلى مشاعر  
القلوب أبعدي وسطري ألحان الحبِّ المجنونة. عانقيني عناق  
الأموات، عناق اللحظة الأخيرة، ولا تفتني يديكِ أبداً. اطبعي قبلةً  
واحدة على جبيني، ووزعي باقي القبل في كلِّ أنحاء جسدي،  
وضمّيني إليكِ أكثر.

احتمي فيّ واهربي من شرور العالم إلى فؤادي، فأنا لن أتخلّى  
عنكِ ولن أدعك لغيري، لن تجدي في الحياة كائناً أحناً عليكِ

مَنِّي، فأنا أخافُ عليك من العين وشرورها ومن الهواء وغبارهِ  
ومن الحرب وآثامها ومن الوباء ولعناتِهِ.

أَسْأَلُكَ -بِاللَّهِ عَلَيْكَ- أَنْ تَجْعَلِي الْحَبَّ حَقِيقَةً وَتَخْلُصِينَا مِنْ أَوْهَامِ  
قَاتِلَةٍ أَضْرَمْتَ نِيرَانَهَا فِي أَفْئِدَتِنَا؛ إِذْ إِنَّهَا أَفْجَعَتْنِي وَأَبْقَتْنِي فِي  
زَاوِيَةِ الْحِكَايَةِ بِلَا أَيِّ دُورٍ، لَا أَفْعَلُ شَيْئاً سِوَى الْبِكَاةِ عَلَيْكَ. لَا  
تَضْعِينِي عَلَى الْهَامِشِ، أُرِيدُ أَنْ أَتَوَسَّطَ صَفْحَاتِكَ، وَأَكُونَ فِيهَا  
العنوان الرَّئِيسِيَّ.

إِنِّي أَتَوَجَّعُ يَا صَغِيرَةَ، وَالسُّهُدُ وَالْأَرْقُ بَاتَا صَدِيقِي كَمَا الْحَزْنُ  
وَالْأَلَمُ، وَأَنْتِ لَسْتِ رَحِيمَةً بِي. تَنْظُرِينَ إِلَى الْقَلْبِ الْجَرِيحِ فَلَا  
تَفْعَلِينَ شَيْئاً سِوَى الصَّمْتِ، صَمْتُكَ قَتَلَنِي وَأَنْتِ لَمْ تَسْعَفِينِي. مِنْ  
عَلَيَانِكَ تَنْظُرِينَ دُونَ أَنْ تَنْزِلِي إِلَى سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ، فَتَزِيلِي  
الْجِرَاحَ عَنِ كَاهِلِي الْمَتَعَبِ. كَمْ مَرَّةً يَتَوَجَّعُ عَلَيَّ الصُّرَاخُ وَأَنَا  
أَسْتَعِيثُ بِكَ! أَصْرُخُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ:

- "كفى عذاباً، فحُبُّكَ طغى على حبِّ الروايات جميعها. كفى

قهرأ، فارحميني يرحمك الإله، ولا تعذبي قلباً أراذك بالحلال".

ما ذنبي أنا؟ ما ذنبي إن أتيتك بعدما فعل الزَّمن فعلته بك، ورماك

على قارعة طريقٍ مجهولٍ مظلمٍ وبارد. أنفدتك ممَّا أنت فيه،

ونفضتُ عنك غبار المحن. نظفتُ فؤادك من الأسقام، وداويتُ

جراحك فمُنحتك الأمان.

مهما حاولتِ المكابرة لا بُدَّ أن تظهر مشاعرك الباردة لتقتل الحبَّ

الكبير، وستبقين مستهلكةً يا صغيرتي، ولا مجال ليزوغ الفجر

في قلبك من جديد، لا مجال لإحياء الوردة بعد ذبولها، فأنتِ ذابلةٌ

بقلبٍ منظرٍ مليءٍ بثقوب النَّاي الحزين، كلُّما حاولتِ العزف

عليه يُخرجُ لحناً حزيناً للغاية، لحناً مليئاً بالأشجان والآلام.

لا تقدرين على منحي القلب الذي منحتِهِ للجميع، فأنتِ تخشين

عليه منِّي وتخافيني، بينما لم تخشيهم حين أعطيتهم إياه وأنتِ

تضحكين وتمرحين، فما كان منهم إلا أن لوثوه بالتُّراب والوحل  
على مرأى منك. وحين قابلتُكِ قلتِ لي:

- "ليس لديّ ما أُقدِّمُهُ لكِ سوى فؤادٍ مهترئٍ فهل ترضاه؟".

فرضيتُ به على أن أخيط جروحه وأجبر كسوره، لكنَّ الشَّقَّ كان  
هائلاً يا صغيرتي. رأيتُكِ مازلتِ حبيسة الماضي وسجينة قلبكِ  
المهترئ، لا تريدين لأحد اقتحام أسراركِ، ولا تريدين منِّي أن  
أخيط ما أفسده الدَّهرُ بكِ، ولكن لم ألقَ منك سوى الألم والشَّقاء.

آدم: كلما أعياني الحنينُ إليكِ أفتحُ صوركِ، ففي جمالِ ابتسامتها  
صبرٌ مرّ.

حواء: سيهدأ قلبك حين تتجرّعُ الصبرَ وسيلةً للحياة.

آدم: أبحثُ في سطورِ الأحلامِ، وأتلو على مسامعِ قلبي أو هام  
الحبِّ لعلَّه يهدأ فيكفَّ عن البكاءِ شوقاً إليكِ، لعلَّه يغفو بعدِ عناءِ  
طويلِ.

حواء: الشوقُ سيبقى وإن كنا في أحضانِ بعضنا متعانقين، فلا  
مناص من لهفةِ الشوقِ ونزعةِ الجوى وصبوةِ الاشتياقِ.

لا تنه الكتاب على طريقتك، فروايتنا واحدة لن تكتمل إلا بـكليـنا.  
دعنا -يا رفيق الروح- نكتبها معاً، فلا قيمة لها إن أنهيتها بمفردك،  
ولن يقرأها أحدٌ، وستترك على الرف العتيق مكونةً بجانب كتبٍ  
كثيرةٍ أهملها أصحابها ولم يسأل عنها أحد.

لم يتبقّ مني سوى ليلٍ حالك الظلمة ونجمةٍ خافتةٍ مريضةٍ  
تحتضر وحدتها وقمر بعيد المنال يأبى الاقترابَ ويعزفُ لحناً  
لمواعيدٍ كثيرةٍ قد فاتت دون أن يحن اللقاء، لعبراتٍ انسكبت  
معبرةً عن شوقٍ دُفِنَ في الصدور، فارتسمت على الوجه ألفُ  
ابتنسامةٍ تحكي مئات القصص من الغرام.

في الأمسِ كُنَّا، وكان الهوى صاحبنا، ننهي محادثتنا في الليل  
القصير. كنتُ أنهيتها بالقول:

- "وداعاً يا روحي".

وكنت تردُّ بوداعٍ مشابهٍ لوداعي، ولكن ذات ليلةٍ باردةٍ أنهيتها  
بذات الوداع مع دمعٍ على الخدين منضود، فقلتُ لك حينها ودون  
أن تلمح انسكاب قطرات الدَّمع على وجنتي:

- "حين أقولُ لك ذلك، فمعناه أنني أُودِّعُ روعي برحيلك، فهي  
ستستقرُّ عندك وتتركني أبكي عزلتي وحدي، وسأغدو بلا روحٍ  
وبلا خليل".

ها قد بلغتُ ذروة الحبِّ وعشتُ عذابه بعد أن تخطَّيتُ جنون  
الحبِّ ببراعةٍ، وأحسستُ بلوعة الحبِّ كسلحفاةٍ هرمةٍ تعرفُ أن  
لها موعداً هناك، وأنها ستصل ولن يأخذ مكانها أحد. ربّما لن  
يسعفها الوقتُ كي تصل في الوقت المحدد، ولكن هي تؤمن  
بالحكمة القائلة:

"أن تصل متأخراً خيرٌ من ألا تصل أبداً".

وبدأتُ أنهي المحادثات بدموعٍ غزيرةٍ، جسدي ينتفضُ وحرارتهُ  
تعلو. أريدك يا كلَّ عمري، فلا تتركني للخراب الذي أنا فيه.

لازمي على قارعة الطَّرِيق ذاته حيثُ وجدتني، ولا تتركني.  
وحدك من يقوى على حمل شتاتي المنثور، فلا تبعثني كالريح  
الصَّاخبة. احمني من أهاتي ومن جنون الأيام، فحبُّك كفيلاً  
بزعة الوجدان والأحلام.

لا ذنب لي بكلِّ ما قد حصل، ولا ذنب لي بقدمك المتأخَّر. عليك  
اللَّومُ فيما حصل وفيما سيحصل؛ لأنَّك لو اعترفتَ لي بحبِّك في  
السَّاعات الأولى لكنتَ قد وفَّرتَ عاماً كاملاً من الوجد والخبية  
والحسرة. لم أكن المسؤولة عن فشل علاقتنا ووأدها كما تدَّعي،  
وإنَّما أنتَ العاملُ الأكبرُ في فشلها، فماذا فعلتَ حيال حبِّنا وهو  
يخبو؟

لا شيء سوى وقوفك كالمارد تتلو بياناً ضخماً لم يقرأه أحدٌ  
سواي، ومع ذلك لم أفهم منه شيئاً، فقد كان عصياً على الفهم  
والإدراك، ومازلتُ تلك التلميذة الغبيَّة التي لا تفهم الدرس من  
المرَّة الأولى. طلبتُ منك شرح ما جاء فيه، فقلتَ لي بحزنٍ بالغ  
الأسى أن لا سبيل للزواج بي!

لماذا؟

لأنَّ لي ماضٍ تجهلُهُ أنتَ وأخفيه أنا.

وبحزنٍ وألمٍ شديدين رأيتُ حبَّنا يندثرُ ويموتُ على مرأى منَّا،  
فأنتَ وقفتَ تسندُ ظهركَ إلى الجدارِ وأنا في مكاني أسمعُ عويلك،  
فأنفطرُ حتَّى النِّهايةِ. استنجدتُك بالله أن تترىَّتَ لنتعاون  
ونتساعد ونجتهد فإنَّ لكلِّ مجتهدٍ نصيباً.

ويبدأُ الاجتهادُ ونحلمُ بالنَّصيب، وسرعان ما نقفُ معاً كي نصل،  
فنقعُ أرضاً، ثمَّ نقفُ لنتابعَ المسير، وها أنتَ تُمسكُ يدي بينما  
يسبقُ قلبك قلبي بخطواتٍ كثيرةٍ، تُعَنِّفني على تقصيري، وأنا  
أستحلفُك أن نمضي معاً كي نتفتحَ كالوردة في آن، لكنَّك لم تفهم  
ذلك. اعتبرتنى المذنبَةَ والمخطئةَ في كلِّ شيءٍ، نظرتَ إليَّ وكأني  
اقترفتُ جرماً كبيراً وكأني السَّببُ فيما جرى وما سيجري. بدا كلُّ  
شيءٍ وكأنَّ ثقب الكرة الأرضيةَ كلَّها قد أحدثت في جسدي ندوباً

لم تستطع أن تراها، ومع ذلك كنت تدّعي أنك تفهمني أكثر من نفسي.

إذن، لم تفهم أنني بريئة من اتّهاماتك؟! لم تحاول تصديقي وتفنيد أحاسيسك؟!

آدم: لا أعلم سبب التصاقِي الشَّدِيدِ بِكَ و غيرتِي عَلَيْكَ!

حواء: لَأَنَّكَ تَهِيمُ بِي حُبًّا.

آدم: لَمْ أَنْتِ بِالذَّاتِ؟

حواء: ربما طاقَتانا متشابهتان.

آدم: رغم سكون اللَّيْلِ إِلَّا أَنَّ ذِكْرِيَاتِي بِغْرَامِكَ تَوْلَمُ قَلْبِي، فَيَصْرُخُ

حَنِينًا إِلَيْكَ.

حواء: اللَّيْلُ قَاتِلٌ مُحْتَرَفٌ يَقْتَلُنَا بِصَمْتٍ وَنَحْنُ نَسْتَحْضِرُ ذِكْرِيَاتِ

الْحَبِّ.

كمريض أنا بحاجة إلى جرعة من الأوكسجين تعصرها كفاك،  
عيناى نحوك مثبتتان، وكلّى رجاء أن تهبيني تلك الجرعة لأتنفّسَ  
هواك، فلا تبخلي عليّ بها. امنحيني إيّاها لأعيش عمري وعمر  
المحبّين جميعهم، فهلاً تهبيني ما أطلبه عساي أعيش حبك قرناً  
من الزّمن في ساعات لا تُحصى.

سجينُ عينيك الصّغيرتين، وأبحثُ عن الحياة في محيط قلبك،  
وبين يديك عالمٌ آخر أعيشه بعيداً عن إناث الأرض جميعهنّ. فلا  
تقولي وداعاً، ولا تمضي هكذا وكأن لا شريكاً آخر يُقاسمك الحبّ  
الذي به تنبضين. لا تبتعدي دونما التفاتٍ، فأنتِ بهذا تخلفين  
وراءك غيوماً تعجّ بدموعٍ منكسرةٍ وقلباً يتبعك في متاهاتٍ خطيرة  
الوصول وصعبةٍ وروحاً هشةً تنزفُ خيباتٍ قاتلةً.

لا تقولي وداعاً وتوصدي كلَّ الأبواب بيننا. اتركي باباً واحداً  
موارباً لعلَّك تحتاجينه غداً.

أخبرتُكِ سابقاً بضرورة أن نتعاون معاً كي نصل إلى مبتغانا،  
وإن لم نصل للكلِّ سنصلُ إلى جزءٍ كبيرٍ مختفٍ خلف خزانة  
الذاكرة، وسنتبعُ نظام الأسئلة، أي أنا أسأل وما عليكِ إلا الإجابة،  
الإجابة الحقيقية لا الوهميَّة، فأنا لا أريد وهماً ترضيني به؛ لأن  
ذلك سيغضبُني أكثرَ ممَّا يرضيني.

وابتدأنا معاً، رحنا نمشي على النهج ذاته، لكنَّكِ كنتِ غاضبةً  
على الدوام وتضطربين من أيِّ سؤالٍ أطرَّحُه وكأنَّكِ تتعمَّدين  
ذلك كي لا أصل إلى ما تُخفينه عني. هناك أشخاصٌ عبروا  
حياتك ولم تُحدِّثيني عنهم، فعرفتهم وحدي. توسَّلتُ إليكِ كثيراً أن  
تروي لي كلَّ شيءٍ وألاً تصمتي، لكنَّكِ دائماً ما كنتِ تُفضِّلين  
الصمت والكتمان. أغريتُكِ بكلِّ ما أملك، بحبِّ يدوم، وبزواجٍ  
سعيدٍ تُتوجِّجين فيه أميرة، ولكن لم أفلح معكِ أبداً! عاقبتُكِ  
بالهجران، وهددْتُكِ بالرحيل، ولكن!

ظَلَّتْ حِدَّتُكَ وَشَكَاسَتِكَ فِي كَتْمَانِ الْأَمْرِ كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَغَزٌّ كَبِيرٌ طَغَى  
عَلَى كُلِّ مَا ذَكَرْتَ.

وَحِينَ هَمَمْتُ بِالرَّحِيلِ تَرَاجَعْتُ، فَأَنَا رَجُلٌ ضَعِيفٌ لَا أَقْوَى نَهَائِيًّا  
عَلَى قَرَارِ كَهَذَا. كَيْفَ لِرَجُلٍ مِثْلِي مَرًّا بِمَرَاكِحِ الْحَبِّ جَمِيعِهَا أَنْ  
يَمْشِيَ بِهَذِهِ الْهَيْئَةِ تَارِكًا مَهْجَتَهُ لَدَى مَحْبُوبَتِهِ؟! وَإِنْ كُنْتُ حَاوِلْتُ  
كَثِيرًا، لَكِنِّي فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَتَعَدَّبُ وَأَعُودُ إِلَيْكَ مِنْكَسِرَ الْخَاطِرِ،  
مَنْفَطِرَ الْقَلْبِ، وَأَسِيرَ الرُّوحِ.

أُبْتَهَلُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَى الْحَقِيقَةِ كَيْ يَهْدِيكَ إِلَى قَلْبِي،  
وَأُتَضَرَّعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ لَيْلٍ تَخْتَفِينِ مِنْهُ أَنْ يَهْدِيكَ إِلَيَّ، وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ  
أَجِدُكَ قَدْ ابْتَعَدْتَ كَثِيرًا عَنِ دَرْبِ الْحَقِّ. أَرَاكِ تَصْمَتِينَ ثُمَّ تَعُودِينَ  
إِلَيَّ بِعَهْودٍ وَفِيرَةٍ، وَجَمِيعُهَا تُؤَكِّدُ لِي أَنَّكَ لَنْ تَسْكُنِي، بَلْ سَتَتَكَلَّمِينَ  
بِكُلِّ شَيْءٍ، فَأُفَاجَأُ بِأَنَّكَ مَازَلْتِ مَتَرَدِّدَةً غَيْرَ قَادِرَةٍ عَلَى الْبُوحِ بِمَا  
فِي قَلْبِكَ، وَهِيَ أَنَا لَمْ أَسْمَعْ مِنْكَ أَيَّ كَلَامٍ جَدِيدٍ سِوَى تَكَرُّارِ مَا قَلْتِهِ  
مِنْ خِيَابَاتٍ وَمَآسٍ.

أنظرُ إليكِ فألحظُ اتساعَ حدقتي عينيكَ، وأشعرُ بنبضاتِ قلبكِ وقد  
غدت أكثرَ حدَّةً، أمّا حرارةُ جسدكِ فبدأت ترتفع. ورغم هذا  
تحلفين بالله أنك لن تزيدي حرفاً واحداً. تغضبينَ وترمينِ الهاتفِ  
من يدك، ومعه ينكسرُ الفؤادُ وتجرحُ الرُّوحُ حتّى لا أستطيعُ  
لملمة نفسي إلا بعد أن تهدئي وتعودي إليّ بشخصيّةٍ أُخرى.

وكأنك أنثى جديدةٌ تعتذرين، وبهدوءٍ تلملمين بعثرتي، وتضمّدين  
جراحي بكلماتك الهادئة. وحينها يحينُ دوري بالصمتِ بينما أنتِ  
تتحدّثين وتتحدّثين.

أعتذرُ منكِ الآن، فقد حان وقتُ هروبي منكِ. اعذريني على هذا  
الهروب، وارأفي بي يا جميلة الرُّوح.

آدم: كنت كلَّ شيءٍ في حياتي، الحبَّ والإحساس.

حواء: ما زلت تملكُ الروحَ والمشاعرَ وحتىَّ الأنفاس.

آدم: شعرتُ معكِ بأنِّي على قيد الحياة، أعيشُ الغرام منذ الولادة.

حواء: وأنا شعرتُ معكِ بمشاعرٍ لم أفهمها إلى الآن، فقد كانت

كبيرة جداً، ولم تكن على مقاسي.

آدم: لكنَّ كرامتي وعزَّة نفسي تأبيان أن يبقى قلبي محطةً تريحين

بها قدميك.

حواء: لم يكن حضورك مؤقتاً بل دائماً، وقد جعلتُك وطناً أستريحُ

العمر بأكمله على أرسفتك وبين أعمدة الإنارة الخاصة بك.

آدم: لن أجادل ولن أعاتب. سأرحل بصمت.

حواء: وحبُّك لي؟

آدم: سيموتُ في داخلي.

نظرتُ إليّ بغضبٍ شديدٍ بعد أن أفرغت ما في جعبتك من كلام،  
ونظرتُ إليك من خلف الشاشة الصَّغيرة، وتمنَّيتُ لو أنّك ماتزالُ  
إلى الآن، لكنّهُ هرعْتُ إلى حضنِكَ وأمسكتُ بتلابيبِ قميصك،  
وهمستُ لك:

- "اخترتُكَ وطناً أحتمي به، لم أشأ أن تكون بلد حربٍ أهربُ  
منك. كن جنّةً أسعدُ بها، ولا تكن جحيماً يُشقيني. إنّي لم أرد  
سحباً سوداءَ تحملُ غضباً، وإنّما أردتُكَ سحابةً صيفٍ تُمطرُ على  
واحتي. أمّا أنا فكنّتُ الأرضَ المشتاقَةَ لقطرة ماءٍ تستغيثُ بها،  
فأغثني وأمطر عليّ من الحبِّ والهيام الكثير".

فالوجدُ صنع بي ما لم يصنعه غيرهُ من الأسقام، والحرفُ نطقَ  
من بحر عينيك لغته ليكمل الحروف الثمانية والعشرين، فتطوف  
حول جسدك وتبدع بلغاتٍ عشقٍ لم يفهمها أحدٌ سواي. لأجلك

أَتَقَنْتُ العومَ في بحرِ الاستكانةِ بغيةً أنِ يستكينَ فؤادي وِينامَ هادئاً  
مطمئناً غارقاً في هيامٍ ولهكٍ.

لن نَتَّفِقَ في ذلكِ أبداً، فالاختلافُ بيننا كبيرٌ جدّاً، وكلانا لن نصل  
إلى ما نريد. لذلك، أَتَّفِقُ معك في إلْغاءِ فكرةِ الزَّواجِ؛ لأنَّنا إذا ما  
تزوَّجنا سنفترق في السَّاعاتِ الأولى، وزواجنا لن يدوم طويلاً.

لنعشِ الحبَّ وجنونه بمعزلٍ عن عذابه وألمه، ولنستمتع بروعة  
البدائيات، ومن ثمَّ نعودُ إليها، وهكذا إلى ما لا نهاية طالما أنَّا لا  
نقبل بالنِّهايات غير المكتملة. دعنا نبتعد عن الخيانة والخديعة  
ولنعمل المستحيل كي ننتصر على أشواقنا، فأنا لَدَيَّ أملٌ كبيرٌ  
بأنَّكَ ستكون لي وبأني لك سأكون، فلنصبر على ضيم الحياة  
ولنصبر على بلوى الحنين إلى أن يُثْمَرَ صبرُنا لقاءاتٍ تغمرها  
الألفة والمودَّة.

إيَّاكَ أن تمشي دون أسبابٍ قاهرةٍ تقهرُ الحبَّ وتميته. دعنا نختلف  
كثيراً في جدالاتنا ونقاشاتنا، تغضبُ منِّي فأحنق عليك، تُزعجني

فأسخط، أغیظك فتستقزني، تُكدرُ حياتي فأكدرُ عيشتك، على ألا  
نضيغَ الودَّ بيننا أبداً. وفي نهاية كلِّ حوارٍ ليليٍّ ننامُ مطمئنين. فلا  
ندعُ الخصام يُفرِّقُ بيننا أيَّاماً وليالٍ، ولا ندعُ الهجر سبباً للعقاب؛  
لأنَّ المسافة ستطولُ والدائرة ستتسع. حينها سأعودُ يا صاحبي،  
ولكن بحلَّةٍ جديدةٍ باردةٍ وشاحبةٍ، وساعتادُ هجرِك وغيابك، فلا  
يغدو عندي فارقٌ إن حضرت أو غبت، حتَّى إنَّ أخافُ أن يصبح  
غيابك أشهى من حضورك.

لاحظ يا صاحبي كيف تبتعدُ عن ساحة الحبِّ كي تبقى بمفردك  
أيَّاماً، وبدل أن تنساني أصبح حديثاً في خيالك، وأشغل بالك  
بالشَّكل الذي يُرهقُك ويُتعبُك.

هل تُجهِّزُ لرحيلٍ طويلٍ لا أراك فيه أم ماذا؟

قد أخبرتكُ بذلك والخوفُ قد ارتسمَ على محيَّاي، خوفٌ لم تره  
لكنَّك شعرتَ به بفؤادك. صرَّحتُ لك بأنَّك تفعلُ ما تفعله كي  
أعتادَ الأمرَ فلا أنهار، وحتَّى في رحيلك كنتَ رجلاً فاق كلَّ

الرَّجَالِ، فابْقَ مَعِي؛ لِأَنِّي بَكَ قَدْ تَعَلَّقْتُ، وَبِتُّ لَا أَقْوَى عَلَى الْبَعْدِ  
عَنكَ، كَمَا لَا أَقْوَى عَلَى تَحْمُلِ الْمَسَافَاتِ وَاللَّحَاقِ بِكَ، وَجَلُّ مَا  
أَخْشَاهُ أَنْ أَتَوْهُ فِي الطَّرِيقِ فَلَا أَصِلُ إِلَيْكَ. أَخْشَى مِنْ ذُنَابٍ تَقْتُلُنِي  
فَلَا تَحْمِينِي؛ لِأَنَّكَ بَعِيدٌ عَنِّي كَثِيرًا، وَلَنْ تَرَانِي كَمَا لَنْ تَرَى الْوَجْعَ  
الَّذِي يَفْتِكُ بِي، فَلَا تَكُنْ أَنَانِيًّا يَا صَغِيرِي.

آدم: سأبتعد، فقد تعبتُ من حبِّ لا فائدة تُرجى منه.

حواء: لمْ طرقتَ باب قلبي مادمتَ لا تستطيعُ البقاء فيه؟!!

آدم: أنتِ السَّببُ فيما حصل.

حواء: لمْ اقتربتَ منِّي وغصتَ إلى أعماقي طالما أنك لا تعرف

العووم ولا السباحة؟!!

آدم: ظننتُ أنني أعرفُ، ففشلت.

حواء: لمْ أتيتني محارباً طالما لا تطيقُ حمل الحمل الثقيل؟!!

آدم: لأنك خذلتني بعدما نطقتُ بحبك أياماً كثيرةً وليالٍ طويلةً.

حواء: ألقيتَ وعوداً بالأبدية ولكن جعلتها مؤقتة.

آدم: توقفتُ عن العبثِ بالألفاظ، فالوهنُ الذي خلّفته في قلبي

سيعودُ إليك يوماً ما.

حواء: لي معها موعد، وعلى قدر النيات نرزق.

آدم: مشاعرك مؤقتة، وكلامك مكرّر.

حواء: ولكن أفعالي تُبرهن عن حبي لك.

منهكُ أنا وقدماي لا تستطيعان حمل جسدي الضَّعيف والمرهق،  
فهلاً تنتشُلني من قاع الألم وتأخذني في جولةٍ هانئةٍ في أحضانك.  
هلاً تقصص عليَّ أحاديثَ الوصب والوله، لعلِّي أنامُ عمراً أغزِلُ  
فيه حكايةً متيمَّةً بك. إنِّي متعبٌ جدًّا، وأحتاجُ كتفك لإكمال  
الطَّريق، أستريحُ عليه كعجوزٍ هَرِمٍ تخجلين أن تزيحي يده عن  
كتفك كي لا يقع أرضاً.

لَمْ وهبتني فوق الألم ألماً مضاعفاً وأسقيتني كأساً من الحنظل؟!!

ها قد شربتُ علقمه وأنا أتأمُّلك، فماذا أنتِ فاعلة بقلبي؟!!

رايتُك تهريبين لتخرسيني كي لا أشكو لكِ ألمَّ بي بسببك.  
ارحميني يا رفيقة الدَّرب القصير، فأنا رجلٌ يحتاجُ كأساً من  
حنان، فيه من الشَّغف والغرام الكثيرُ. لا تتركيني لذنوبٍ لا طاقة

لي بها، وهي ليست من صني وتديري، بل إنها من صنع يديك  
وتديبر عقلك الصغير.

ما زلت على قيد حبك أعيش، وبرغم فقر اللقاء إلا أنني أتنفس  
أملاً بأن هناك بصيص نور في انتظارنا، وسنعيشه ذات يوم معاً.  
وكما عودتك بأنك جزء من قلبي فإني كنت وما زلت وسأبقى  
الجزء الأكبر الذي ينير لياليك ويخلصها من عتمة الشوق وظلمة  
الفراق.

قرارك مؤلم واختيارك جائر، كما أنك لم تفكري بأبعد من أنفك.  
أنت تعيشين وقتك فحسب دون مبالاة بالمستقبل وبما سيحدث لنا.  
كيف أحبك وأغرم بك دون أن ألمسك!؟

لا أستطيع تقبل فكرة معانقتي لك من خلف الشاشة، فافهمي هذه  
الأمور. أنا لا أستسيغها. أريد الاحتكاك بك بأي طريقة كانت  
حتى وإن لم تكن شرعية وقانونية، وأرغب باحتلال جسدك كي  
أطبع عليه آلاف القبلات الغرامية. أريدك الآن وليس غداً، لا حباً

يطولُ ويطولُ دون أن يفضي إلى نهاية، فلكلِّ حبٍّ خاتمةٌ،  
وعسى أن تكون خاتمةُ حبِّنا زواجاً يجعلني أقترن بك العمر كله.  
إنِّي لا أستطيعُ تقبُّلَ هذا الحبِّ ولست بقادرٍ على ذلك دون لمسك،  
فنارُ الشَّوقِ تحرقُني ولا ترحمُني. كثيراً ما أتأمَّلُ صوركَ  
المحفوظة في حاسوب العمل، وأحاولُ تكبيرها لأتأمَّلَ بها شعاع  
عينيك.

قد فكَّرتُ مراراً أن أكسر الشَّاشة وأهرول إليك لأسرقك من  
سريرك الكبير وأخذك في رحلةٍ جنونيَّةٍ، فنكون أنا وأنتِ والحبُّ  
ثالثنا. أريدُك يا هذه، فافهمي كلامي، ولا تتَّخذي قراراتٍ لا  
أطيقُها، قراراتٍ لستُ أهلاً لها. أنا لا أرى فيكِ سوى زوجةٍ  
حلالٍ، فلمَ تقوديننا إلى حرامٍ لا يشبعنا وإنَّما يرعبنا؟!!

الحلالُ سهلُ الطَّريق، وهو ليس بصعب كي نمشي فيه معاً خطوةً  
تعقبُها خطوة، فربَّما ننجحُ، وأنا أثقُ بذلك. أمَّا هذا الطَّريق فلا  
أريدُهُ ولا أريدُ لكِ أن تُعيديه مرَّةً أخرى.

إمّا الزَّوْجُ وإمّا الفراق الأبدي، ولك أن تختاري الخيار الذي  
ترتاحين إليه، وأنا سأتقبَّلُ قراركِ أيّما كان، وسأساعدُكِ على  
المضيِّ به، ولكن لي أملٌ وأتمنّى ألا تخيبي ظنِّي، أن تختاري  
الأوّل! فبذلك نبقي إلى الأبد معاً في بيتنا وعالمنا الجميل. اختاري  
ما قد اختاره قلبي، ولا تدمري ما بقي من علاقتنا.

آدم: لا تعودني إن كنتِ تنوين الرّحيل.

حواء: لن أرحل، فأنا أودُّ البقاء معك إلى ما لا نهاية.

آدم: عودي من حيثُ أتيتِ.

حواء: أتيتُ من قلبك وسأرحلُ إلى روحك، فأنا منك وإليكِ.

آدم: لقد تعبتُ من الوقوف في المنتصف. قد تعبتِ قدماي، فهلاً

سحبتي إليكِ.

حواء: تعالْ لأعطيكِ عهداً جديدةً بالبقاء.

آدم: لا أريدُ وعوداً ولا عهداً، فالقدرُ سيقْتُلُها. أريدُكِ أنتِ وعوداً

لا يغيب.

حين قرّرتُ الكتابة لكَ تلعثم قلبي وارتيك، فصمت، ثمّ هوى. لم  
يستطع منحك كلاماً نابعاً من القلب كلاماً يليقُ بحبك، فأنتَ  
أسطورةٌ خالدةٌ لا مثيل لها، وقد وقفت الأحرافُ أمام عظمتك  
وراحت تتنحبُ صمتها وتبكي عجزها وتخبرني أنّها عقيمةٌ عن  
ولادة أحرف مبعثرةٍ تصلحُ لكلينا. بحثتُ في القواميس جميعها فلم  
أعثر على أيّ كلامٍ يُعبّرُ عن النجوى التي أذابت قلبي هياماً، وبِتُّ  
طوال الليل أجلس وحيداً، أحاولُ اختراع أحرف تليقُ بالجو  
وبغرامٍ لم يكتب سوى لك، فوحداً من تليقُ به أحرفٌ تُنشأ  
لجلالته.

احملي بين يديك فراشةً لا تكسرُها مسافةً أو بعد. خذني بعيداً  
عن ضوء شمعةٍ وهميةٍ تكادُ تحرقُني. لا تتركني في مكانٍ بعيدٍ  
عنا بحجة الأمان، فحضانك هو الأمان وملاذك الدّفء والحنان.

احملي بعيداً عن كلِّ شيءٍ، وفي قلبك ابن لي بيتاً لم يُبْنَ له مثيل،  
أنوارُهُ لا تنطفئ، وأعمدته لا تُهدم. ازرع من حولي الورود، فقد  
تعبتُ من صحارى القلوب وجفاف الرُّوح، وزين راحتي بيدك  
باللون الثَّامن من ألوان الطَّيف، وليكن حضنك الأعبوبة الثَّامنة.

فكرةُ البقاء في المنتصف ترعيني أكثر من فكرة اتِّخاذ القرار  
وتنفيذه، ثمَّة ثلاثة قرارات وضعتها أمامي، وكلُّها صعبةٌ للغاية،  
وأنا لم أرغب بتنفيذها، فيها سأغدو مثيرةً للشَّفقة؛ لأنَّ الحمل  
الثَّقيل أتعبني، فما بالك لو ازداد الحمل أضعافاً.

يُرعيني وقوفي هنا وحيداً في الدَّائرة المظلمة بينما أنت خارجها،  
قد أردتُ سحبك إلى الدَّاخل كي تعيش ظلامي وتقتنع بأحلامي  
وآمالي. إنَّك تتحدَّثُ عن الزَّواج وكأنَّ مشكلتنا قد حُلَّت. يا طفلي  
الصَّغير، التَّفاهمُ بيننا شبه معدومٍ ولا مجال للاتِّفاق بيننا بتاتاً،  
فماذا سيصنعُ الحبُّ حينها؟ لن يصنع شيئاً، سيموتُ قهراً من  
أفعالنا. أمَّا نحنُ فلن نبقى معاً مدَّةً طويلةً، سنفترقُ عاجلاً أو  
أجلاً.

أُغْتَرِبُ مَعَكَ فِي غَرْبَةٍ لَا أَرْضِيهَا، وَأُخْشَى أَنْ تَتَحَوَّلَ فِيهَا إِلَى  
رَجُلٍ يَشْفِينِي وَلَا يَشْفِينِي، يُحْزِنُنِي وَلَا يُسَعِدُنِي، يُرْعِبُنِي وَيُنْسِينِي  
الْأَمَانَ، يُهْدِدُنِي وَيُرْبِكُنِي، وَمَنْ تَمَّ يُبْكِينِي.

لَقَدْ عَشِقَ كِلَانَا الْآخِرَ، وَزَادَ الْغَرَامُ بَيْنَنَا، وَمَرَرْنَا سَرِيعاً بِدَرَجَاتِ  
الْحُبِّ الْأَرْبَعِ وَالْعَشْرِينَ، فَتَجَاوَزْنَاهَا مَعاً وَكَأَنَّنا نَمْشِي عَلَى حَدِّ  
السُّكَّانِ، فَانْتَصَرْنَا وَلَمْ نَنْسَ جِرَاحَنَا، وَمَعَ أَنَّكَ سَبَقْتَنِي بِدَرَجَاتٍ لَا  
بَأْسَ بِهَا إِلَّا أَنِّي تَبِعْتُكَ بَعْدَ جَهْدٍ جَهِيدٍ، وَوَصَلْتُ إِلَيْكَ مَرَهَقَةً وَأَنَا  
أُحَاوِلُ شَرْحَ مَا فَعَلَهُ حُبُّكَ بِي، وَلَكِنْ لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ أُوَصِلَ  
مِشَاعِرِي إِلَيْكَ، فَاتَّهَمْتَنِي بِأَنْ لَيْسَتْ لِي رَغْبَةٌ فِي إِكْمَالِ الْمَسِيرِ  
مَعَكَ وَبِأَنِّي بَلَائِلٌ وَلَا أَعْرِفُ الْحُبَّ. سَكَتُ ثُمَّ قُلْتُ لَكَ:  
- "عَلَّمَنِي إِيَّاهُ".

سَأَتَقَبَّلُ أَنْ أَكُونَ تَلْمِيزَتَكَ عَلَى الدَّوَامِ، عَلَّمَنِي الْحُبَّ الْحَقِيقِيَّ  
لِأَحْبَابِكَ، وَلَكِنْ لَنْ أُحِبَّكَ بِطَرِيقَتِكَ، فَحُبُّكَ حُبُّ امْتِلَاكِ، وَأَنَا  
عِصْفُورَةٌ الْحَرِيَّةِ وَلَا تَرْضِينِي أَقْفَاصُ الْعَالَمِ كُلِّهَا.

خيارك الأخير الجائر بحقنا كلينا ألا وهو الفراق، أتراني قادرة  
عليه؟

ألا ترى تعلق فؤادي بفؤادك؟ ألا ترى دموع الحب وقد أغشت  
مقلتي؟ وغليان الدّم في جسدي في كلّ مرّة ترحلُ فيها عني؟  
إنّي أرغبُ بك زوجاً كما ترغب بي، ولكن افهم منطقي، وصدّق  
روايتي. صدّق الحبّ الصادق، ولا تُكذِّبه. ثق بي، ولندع الحبّ  
يأخذنا حدّ النّشوة. وإن لم نستطع فيكفي أن نبقى أصدقاء باسم  
حبّ لن ينطفئ، نتشاركُ الهموم والمسرات، الروايات  
والحكايات، الأفعال اليوميّة والسّياسة والرياضة وجميع كوارث  
العالم.

دعنا نفعل كلّ شيءٍ عدا الفراق.

آدم: بيننا الكثير من المشاعر، واللقاءات معدومةً كلياً.

حواء: كلما ضاقت بي الحياة ركضت روحي إلى روحك لتجد فيها دفء اللقاء.

آدم: ليتني أستطيع الرجوع بالساعة إلى الخلف، ما كنت أولعت بك حينها.

حواء: ولو عاد الزمن إلى الوراء سأحبك، وسأظل أعب بعقارب الزمن، وسأحبك مرّات كثيرة.

آدم: ليتك بقيت تلك الغريبة الغامضة التي لا أعرف عنها سوى القليل.

حواء: ليت لي مئة قلب كي أحبك مئة مرّة، وليت لي ألف روح لتسافر كلها إليك.

آدم: ليتني متُّ وما عرفتك.

حواء: أتمنى العيش مرّتين فوق عمري لأحظى بحبك في كل الأزمان.

ما بيننا أكبرُ من الحبِّ، بيننا ألفةٌ وودٌّ وهوى، بيننا شوقٌ وحنين.  
إنِّي أرى الحبَّ واقفاً شاردًا في عينيكِ يسألكِ أن تمنحيه نوراً من  
عشقكِ ليكبرَ بكِ. أراه واقفاً يسألكِ عن بريقِ عينيكِ الممتلئتين  
بنارِ الشوقِ، وكم يتمنّى لو يحظى بحبِّ كحبِّكِ! إذ أقعدته نارُ  
الغيرةِ على رصيفِ الألمِ حتّى راحَ يتسوّلُ منكِ ومنيّ حروفِ  
الحبِّ كي يُغرقَ بها العالمِ.

فلتسافري معي إلى البعيدِ، إلى خريطةٍ تجمّعنا، نلعبُ بها ونمرحُ  
ونعبثُ بالحدودِ كما نشاء. اليومَ عيدُكِ، فعسى أن تخبريني أين  
تودّين الهروبَ، وأيِّ مكانٍ ستختارينه مقراً لنا ومرتعاً لهيامنا.  
فاسمحي لي يا ذاتِ القلبِ الكبيرِ أن أقطفَ لكِ من النُّجومِ أشدّها  
بريقاً ومن الأزهارِ أشدّها تورُّداً. اسمحي لي أن أقدمَ لكِ جنّةً  
خُلقت لأجلكِ، ووحداً سيديتها وأميرةً في قصرها، وسأهديكِ

خريطة صغيرة فيها شجرة واحدة نستريح تحت فيها حيث لا  
وجود لحدودٍ تجرُّنا إلى ليلٍ طويل الشوق والحنين، إلى دمع على  
الخدَّين يسيل. أترضين بفؤادي سكناً لك؟ سأهديك عمري وما بعد  
العمر سنين لا تُعدُّ ولا تُحصى.

بدأنا بالنفور من بعضنا؛ إذ إنِّي اتَّهَمْتُكَ بأنَّك سببُ دمارِ علاقتنا،  
وأنتِ أيضاً. قد أرغمني هذا على الهروب منك واللجوء إلى  
وحدتي التي فيها أعانقُ وسادتي، فأنا مطمئنٌ غافياً وكأنَّك في  
أحضانِي، فأنا ما عدتُ أصلحُ للأحاديث اليومية السطحيَّة،  
وصرتُ مستنزفاً لدرجةٍ أحتاجُ فيها فسحةً من الوحدة كي أرممَ ما  
أحدثته الحربُ عليكِ في داخلي، فما عدتُ قادراً على إجابتك عن  
أيِّ سؤالٍ عاديٍّ أو روتينيٍّ.

تظنِّين أنني سأنساك في أسبوعٍ غيابي عنك! لا، يا حبيِّ الأوَّل،  
فعقلي لن ينشغل إلا بكِ وقلبي منظرٌ منكسرٌ يُريدُ التَّواصلَ معك،  
بينما كرامتي تستغيثُ بي وأنا عليَّ إغاثتها ونصرها. أغيبُ عنك

مدّة أسبوعٍ أو أقلّ من أسبوعٍ فتدهسين كرامتي ووحدتي برسالةٍ لطيفةٍ منك، وبها تعيديني إلى الأرض لأقف على قدمي من جديد.  
كيف لي أن أفقدَ كرامتي وألهتَ وراءَ كلماتكِ اللطيفة متناسياً ما فعلته بي من برودٍ وجحودٍ وجمودٍ؟! وتستمرّين كعادتكِ بالقاء الوعود لألتقطها منك بسعادةٍ لا تُوصف، وأعود بها كطفلٍ صغيرٍ عاد إلى بيته مشتاقاً إلى حضن أمّه، فلا تبخلي عليّ بدفءِ الحضن يا فتاتي. أريدُ أن أعود إلى حضنكِ ناسياً كلَّ شيءٍ، فليعاتب كلُّ منّا الآخر وليسامح لا أن نفترق، بل لنعيد الحبّ الذي كان، ولننهِ هذا الخصام، فأنا بتُّ أكرههُ معكِ.

لا تعيديني إلى الوحدة، أتوسّلُ إليك، فأنا أريدُ أن أمسك بتلابيب وجدانك وأتأمّل لمعة الغرام في عينيك. أتضرّعُ إليك ألا تعيديني إلى الوحشة ثانيةً، فأنا أكره التفرّد ولا أطيعهُ. أريدُ أن ألصق بكِ أكثر فأكثر، فأنا راغبٌ بالاقتراب من جسدكِ كي أتحد معكِ، فلا تهربي مني.

بِتَّ صامتةً على الدَّوام، بعيدةً بقلبك بعد المسافة بيننا، فاقتربي يا  
حبيبة القلب والرُّوح. أعيدي أيَّام صفائنا وعسلنا وهيامنا، عودي  
إلى الحبِّ الأوَّل ولا تبتعدي عني بقلبك وعقلك وروحك. اتركي  
لي شيئاً واحداً يُعينني على وحشتي.

ورغم رجائي بدأتِ تضنِّين عليَّ باللقاءات، وتقترين بالأحاديث،  
وتبخلين بالكلام وبالوجود، وتهربين.

آدم: لن أنسى شناعة ما أشعرتني به.

حواء: سأنسى جرحك وإهانتك لي وكلَّ شيءٍ، وسأتذكرُ شيئاً واحداً، ألا وهو حبي لك.

آدم: سأنسى كلَّ شيءٍ إلا فظاعة الإحساس الذي جعلتني أحسُّ به عندما خذلتني.

حواء: لبيتَ عقلي يكفُّ عن التّفكير بك.

آدم: أردتِ بي كسراً، فخيّبَ الله ظنّك، وازددتُ قوّةً فوق قوّة.

حواء: هنيئاً لك بقوّةك الجديدة. أتمنّى أن يخيبَ ظنُّك وتفهم حبي على حقيقته.

آدم: لبيتَ عيني تتوقّفُ عن رؤياك.

حواء: حينها سيسقطُ القلبُ قتيلاً، ولن تداويه كلُّ وعود العالم.

هل لك أن تتخيّل أنّي إلى الآن أفكّر بك طوال ساعات النهار  
ودقائق الليل الحزين، ولو أنّك بقيتَ معي ولم ترحل لأُغرمتُ بك  
أكثرَ فأكثرَ، ولكنّا إلى الآن نثرثُرُ في النهار، وفي الليل نحلُمُ  
باللقاء. لو لم ترحل ولو أنّك وقفتَ أمام الباب كي نتحدّث في كلِّ  
الأمر لدخلتَ وأغلقتَهُ خلفك، وأنتَ مبتسّمٌ وفرحٌ لعودتك سالماً  
إلى حكايةٍ جديدةٍ من حكايات نجوى الحبِّ. فدع عنك الجوى،  
وتعال إلى الهوى كي لا تهوي في بئر الفراق؛ لأنّك لن تستطيع  
حينها الصُّعود إلى عرش الحبِّ.

فلا تُغادر ولا تُهدّد بفراقٍ أبديٍّ، فحجمُ حنينك قد فاقَ حجمَ حنين  
العالم بأكمله، ولا تُغمِض عينيكَ على شوقك وهيامك. مُدَّ يدك  
وصافح بها يدي، كي نقلب الصّفحة إلى أخرى ناصعة البياض،

ولنكتب بها فتون الحبّ وغرامه. لا ترحل، فقلبك مازال يُعانقُ  
فؤاداً خالياً من كلّ شيءٍ إلا من الحبّ، فهو ممتلئٌ به.  
أرجوك لا تطل الهجرَ والبعدَ، فالفراقُ لم يُكتب لأمثالنا.  
نحن اللذان رسمنا الأمل على صفحات الحبّ، ولوّناه بالفتون  
وصبوة العشق. أيعقلُ أن نغيبَ عن بعضنا، ويغيبَ اللّونُ عن  
لوحاتنا وكأنّها لم تلوّن من قبل؟! فالهجرُ ليس من عادات المحبّ  
ولا العاشق.

كفالك غياباً، فقد تعبَ قلبي، وأوشكَ عقلي على الاحتضار وهو  
يرسمُ في كلّ دقيقةٍ أحداثاً تُعانقنا، أحداثاً قد لا تتكرّر، وربّما  
تُباغثنا المنيةُ قبل أن يحينَ اللقاء.

حين أخبرتك أنّي سأهلكُ إن تركتني، فأنا لم أكن أمزح، قد هلكتُ  
فعلاً واندثرتُ ولكن من الدّاخل. والآن لن أعود مثلاً كنتُ، ولن  
ترجع الضّحكاتُ إلى ما كانت عليه. ابتسامتي التي فتنتك كثيراً  
ستغيبُ كغيابِ أبدِيّ لشمسٍ في لوحةٍ طفوليّةٍ، أحاديثي التي

اعتدتها ستكون قليلة وباردة، وسأبقى شاردة الذهن أفكر في كل الكوارث والحروب بينما لا أفكر بأي شيء معك. وها أنا أستطيع الإقرار بسماعك بينما سيبقى عقلي يفكر في النهاية، وكم سيكون حجم الألم فيها؟!

أشعر بوحشة الوحدة، فليس لي أحد سواك. أقلب هاتفي الأباكم بين يدي وأفتح وأغلق عشرات المرات، أراقبك بصمت وألم وحسرة دون أن أستطيع خوض حديث معك؛ لأنك ستتجاهل كلامي وكأنك ما رأيته، فأنت في الخصام أقسى من حديد لا يلين، وإن تعرضت لحرارة شوق عالية فلن تباغتني برسالة منك.

حين تعود إلى رُشدك وتقرر النزول من برجك العاجي لتجري حديثاً بسيطاً معي تسألني عما ألم بي، فأردُّ بكل برود:

- "لا، ليس ثمّة شيء".

إنك لن تفهم ولن تشعر بالوجع المقيم في داخلي، وهناك الكثير من الكلام الذي أودُّ قوله لكنّه عالق بين الحب والحزن، وأنا

سأكتمه شفقةً ورحمةً بنفسي؛ لأنك ستقابل ما فيّ بتقريعٍ ولومٍ  
وعتابٍ جارحٍ، ومن ثمّ ستضعني في خانة المذنبات، وهكذا لن  
أنجح أبداً في جعلك تعترفُ ولو لمرةً واحدةً بأنك مخطئ.

سأبتعدُ لأنّي أعرفُ أنّ اليوم الذي تُقرّرُ فيه الرّحيل دون عودةٍ  
أت، وحينها سُنصنّفني من الخصوم، ولن تترك لي هدنة سلامٍ  
أُعانقك فيها، بل ستكونُ حرباً طاحنةً لا نجاة منها.

أرجوك كن لي ساعاتٍ حبّ لا تنتهي فأكون لك الحبّ كلّهُ واللّهفة  
كلّها. لا تُعاقب بالهجر؛ لأنّي امرأةٌ لا ينفع معها حلٌّ كهذا،  
وسأعاقبك حينها بالبرود والجمود. قد توسّلتُ إليك كثيراً ألا  
تفعلها يا صاح، لكنّك لم تسمع كلامي، صمّمتَ على الهجر أكثر  
من قبل. كنتَ تعتقدُ أنّك تُعاقبني بهذا الأسلوب، ولم تنتبه لأنّي  
كنتُ أبتعدُ عنك بقلبي وعقلي، وحينَ حاولتَ الاقترابَ منّي  
وتوسّلتَ إليّ بالقرب لم أستطع، ووجدتني بعيدةً عنك.

حاولتَ الاقترابَ بشتّى الوسائل، وكنتَ في كلّ ليلةٍ تقولُ لي:

- "اقتربي".

كيف أقتربُ وأنت تغزلُ خيوطَ الفراق؟!!

لقد أدركتَ خطأك، إلا أن إدراكك أتى متأخراً، فعرفتُ حينها أنني  
تأقلمتُ مع غيابك، حتى بدأ عقلي يُفكّرُ مثلك بالفراق الأبديّ.

- "لم نحن معاً الآن؟"

كان هذا سؤالك دائماً، وكنت تصمتُ، ثم تقول:

- "والله نحن نُعذبُ كلانا الآخر كثيراً".

أنت محقٌّ في قولك، قد فهمت ذلك بعد كمية الانهيارات التي  
أصابتنِي في مهجتي.

قلتُ لك ذات مرّة:

- "لا تغب دفعةً واحدة، لأنني سأنهارُ حينها دفعةً واحدة".

فقلتُ لي:

- "ماذا عساي أفعل؟"

أجبتك:

- "ارحل بهدوءٍ دون أن أسمع خطواتك وهي تعبرُ قلبي، اجعلها متباعدةً، قلل ساعاتِ اللقاء، واختصر الأحاديث".

بهذه الطريقة سأنهارُ أجزاءً كرحيلك، فأنا مذُ أدمنتُك لم أجد علاجاً يساعدني على الشفاء منك. كنت الترياقَ لي والسّمّ الزُّعاف، وكنت الداءَ والدواء، البلسمَ والأسقام.

والآن هل تعتقدُ أننا سننجحُ في هذا الحلّ؟ ربّما سنفشلُ؛ لأنّ روحينا التصقتا ببعضهما حتّى لم يعد هناك مجالٌ للانفصال.

آدم: مهما اتسع المدى بيننا يبقى نبض القلب يهواك.

حواء: مهما تغير الزمان والمكان أنينُ العشق لن يكون لسواك.

آدم: حين همتُ بكِ همتُ بكلِّ ما يُشبهُك من براءةٍ وصبا.

حواء: أحبيتُ الربيع حين أحببتُك؛ لأنَّ كليكما الأملُ الدائم.

آدم: عشقتُ غيثَ حضورِك، وكرهتُ قحطَ غيابِك.

حواء: عندما أراك أرتوي من بحرِ عينيكِ وإن كان العالمُ مليئاً

بالجفاف.

آدم: ألقيتُ ورائي حياتي التي مضت دونك، لتبدأ الحياةُ بتاريخ

حبنا.

حواء: عشقتُ أشباهك الأربعين وكلَّ ما فيك وما حولك.

آدم: منحتك الفؤاد راضياً، وصرختُ بلغاتِ العالمِ كلِّها "إنِّي

متشبَّتُ بكِ وملتصقٌ".

لا أحد يغوصُ إلى أعماقِ قلبكِ سواي، ولا أحد يهْمُهُ أمرُكِ  
سواي، فكوني بخيرٍ لقلبِ أَرادكِ واقِعاً كما طلبته حقيقةً، كوني  
بخيرٍ لقلبِ يَأمَلُ هروبكِ من الأحلام فتأتيه بحبٍّ وحنان. ارفضِي  
كونكِ بطلاً في الحكايا، وتعالِي لتلعبِي دوراً رئيسياً في حياةٍ لن  
تكون مستحيلةً، فأنا أحترقُ ولكن لا أستطيعُ إخباركِ بذلك، فلا  
دخان يخرجُ مِنِّي، ولا دموع تنسكبُ من مقلتي. كيف لي أن  
أبرهنَ لكِ أَنَّهُما ابيضَّتَا من كثرة النُواح والبكاء وأنِّي مازلتُ  
واقفاً في انتظاركِ؟! كيف أُخبركِ أَنِّي مع الوقت أُميلُ تلقائياً، ومع  
مرور الزَّمن ستريني في الأرض مرمياً إذ فقدتُ عَكاظتي في  
الأتكاء؟!!

كيف أُخبركِ أَنِّي حين ذهبتُ من عندك احتضرتُ لوحدي؟!!

قد رأيتك تحبسِين الهواء في إحدى يديك، وفي الأخرى حبستِ  
قلبي ورحتِ تضغطين عليه بقوةٍ حتَّى راح ينزفُ عِبْرَاتٍ وأسى.  
كيف أُخبرُك أنِّي أعيشُ في وادٍ به من العذاب ما لا يحتمل  
ومازلتُ إلى الآنُ أحاولُ الوقوف والابتسام في وجهك كي تتوهي  
فلا أراكِ؟

ربّما لا أستطيعُ البقاء معك، لكنني لن أتوقّفَ عن حبّك أبداً؛ لأنّ  
روحي امتزجت بروحك. اقتربتِ أم ابتعدتِ يبقى القلبُ مسكنك  
وملأذك، وحبُّنا ليس مجردَ التقاء، وإنّما هو وفاءٌ واستغناءٌ  
ورضى، وإن ابتعدتُ عنك مرغماً فأنتِ في القلبِ تقطين.

نعم، قد حصل هذا بالفعل لكنّه ليس من شأنِي بل من شأنكِ أنتِ،  
أو لنقل ربّما هي قصّةُ تراكماتٍ كثيرةٍ وخيباتٍ متكدّسةٍ منذُ  
أشهر، ومازال الغبار عليها. احتجبتُ خلفها أبكي حظّي العائز في  
تلك اللّيلة الظّلماء، أمّا أنتِ فلن تذكريها، أعرف ذلك. كانت ليلةً  
طويلةً جميلةً مليئةً بالحبِّ والغرام تحدّثنا خلالها في كلّ شيءٍ،

كنتُ تُحدِّثيني بحبٍّ لمحتُّه في كتاباتكِ لي، فأنا لم أركِ حينها؛ إذ كانت محادثتنا كتابيَّة لم أسمع فيها صوتك، ولكن نمتُ على إثرها سعيداً مطمئناً متمنياً لكِ الخير. لقد تمنَّيتُ أن تصبِحِي من ضمن أهلي وناسي، وهذا ما كُنَّا نُردِّده في نهاية كلِّ حوارٍ ليليٍّ، فتقولين لي:

- "تصبح على خير".

وحين أُرِدُّ عليكِ بقولي "وأنتِ من أهلي" كنتِ تفرحين كثيراً، بينما كنتُ أعني بها الكثير.

أُتفاجأ في اليوم التَّالي وأنا أتلو على مسامعك ما تحدَّثنا به في اللَّيلة الفائتة بأنَّكِ قد نسيتهَا بأكملها ونسيتِ ما جاء فيها حتَّى إنَّكِ لم تتذكَّري حرفاً واحداً من حديثنا.

جُنَّ جنوني في ذلك الصَّبَّاح وأتَّهمتُكِ بالإهمال؛ فلو كنتِ مهتمَّةً لما أغفلتِهَا وأهملتِهَا. قد كان من الأجدى بكِ أن تنتبهي لكلامنا

وتتقّظي له، لا أن تشغلي بأمرٍ آخرٍ وتتركي كلامنا ينسلُّ منك،  
حتّى سهيتِ عمّا ورد فيه.

عقلك شارداً على الدوام، فكيف أستطيعُ العيش معك في ركنٍ  
صغيرٍ يدعى بيتنا وأنتِ من الآن تنسين أهمّ الأشياء؟! لظالما قلتُ  
لكِ العبرةُ في الاهتمام، ولو كنتِ مهتمّةً لما نسيتِ. نسيانك جاء  
من إهمالٍ متعمّدٍ أو شيءٍ أكبرَ من ذلك، فلا تُرجعيه إلى النسيان  
وحسب.

آدم: عليّ أن أُحصن نفسي ضدّ الخيبة؛ لأنّي رأيتُ من خيبات  
الأمل الكثير.

حواء: أن ترحل مثلاً؟

آدم: ربّما، ولكن ليس الآن.

حواء: تغيّرت كثيراً عمّا كنتُ عليه، أنا التي اعتدتُ حديثك  
الطويل أراك الآن صامتاً على الدوام.

آدم: ستعتادين أشياء جديدةً لم تألفيها من قبل، كما اعتدتُ جمال  
روحك فانقلبت فجأةً إلى أخرى، ولكن لا بأس، فقد كنتِ رائعةً  
ذاتَ يوم.

حواء: وسأبقى في عينيكِ رائعةً على الدوام؛ لأنّك تراني بعين  
عاشق.

آدم: أتمنى أن أراكِ بعينٍ أُخرى كي أهربَ إلى البعيد حتَّى أصبحَ  
مجرّد نقطةٍ لديكِ، لا فاصلةً تُعيدُنِي مع الأيَّام في حلَّةٍ جديدةٍ.  
حواء: النُّقطةُ أهمُّ من الفاصلة؛ لأنَّها تدعُنَا نبدأُ من جديدٍ.

لن أرحل عنك ولن أهجرك، سأبقى بجانبك عهداً قطعته على  
ذاتي بحلو الحياة ومُرّها، وسأمسكُ بطرف الخيط الذي جمعنا،  
وسأطلبُ منك أن تُمسكَ بالطرف الآخر، لننّفقَ بعدها على عدم  
إفلاته، ونتشبّه به ونشدّ عليه بكلتا يدينا، وإذا ما أرهقتِ الحياةُ  
أحدنا شدّ الحبل إليه ليقع الثاني في حضنه، فيطول العناقُ وتدمع  
الأعينُ فرحةً بحبّ أبديّ خالد.

سنظّلُ نمحُ بعضنا فرصاً جديدةً، وإن استهلكنا كلّ ما لدينا من  
فرصٍ سنخلقُ غيرها، وإن نفذت ستصنعُ أيدينا أخرى، وحين  
نصلُ إلى الباب المغلق سنهدمُهُ بحبنا كي لا يُغلقَ في وجهنا مرّةً  
أخرى، فنمضي من البداية أو ما قبل البداية لنستلذّ في بداية  
البدايات.

يؤلمني غيابك وابتعادك عني أماً في الحصول على الراحة رغم  
أنك حين تغادرني تتعب كثيراً ولا تجد الراحة سوى بين طيات  
محادثاتي وفي جمال ابتسامتي.

تحزنني الخيبات القاتلة حين آتي إليك بقلب عاشقة ذبحها الشوق  
وأدماها، فأجد قلبك مليئاً ببرود الصيف وجليد الشتاء. لم تبحث  
عني ولم تُفتش زوايا الكتب بحثاً عن حرفٍ كتبته لك، إنها المرة  
الأولى التي لم يهَمَّك فيها إن وجدتني أم لا. كنت أظن أنني مازلت  
حبيسة دائرتك حيث نلهو كما الصغار، وقد غدوت أخشى  
الهروب منها كي لا يواجهني عالم لا أَرغب به، فابق الأمان لي  
كما عهدتُك.

أنت محق فيما قلته، ولكن لا تنعتني بالمهملة! لم يكن إهمالاً بل  
كنت معك قلباً وقالباً. دعنا نتفق على شيءٍ واحدٍ بأنني مصابةٌ بداء  
النسيان، وهذا دليلٌ قويٌّ على ذلك، ومع ذلك لم تقتنع، قلبت  
الطاوله عليّ، خاصمتني كعادتك وحملتني رغماً عني ما حدث،  
ثم بدأت بالإسهاب عن الماضي ومشكلاته والحاضر وهمومه

والمستقبل وغموضه، وبدأت توجّه إليّ الإهانات كالغشّ والخداع  
وبأنّي لا أستحقُّ ثقتك، وفي المقابل كنتُ بكماءٍ ليس لديّ ما أُدافعُ  
به عن نفسي.

فنشئتُ في تلك اللَّيلة عن كلمةٍ واحدةٍ أستحضرُها كي ترحمني،  
ولكن لم ألمح سوى ورقةٍ سوداءٍ عليها ظلالٌ لم أكن لأعرف  
هويّة صاحبها، فقد مُحي ما بداخلها حتى لم يعد بوسعي تذكُّر ما  
حدث، حينها أمسكتُ رأسي بكلتا يديّ وبكيتُ بكاءً حارقاً في حين  
بعدت عني لتفكّر وحدك وتقرّر ما سيحدث دون أن تبحث عن  
السبب، فكلّ نتيجةٍ سببٌ، وأنت لم تحاول البحث عن الأسباب،  
فضلتَ الهروب متّهماً إيّاي بالإهمال، وسارعتَ لعقابي بالهجر،  
وتركتني أبكي ليلةً كاملةً والآن لا أذكرُ ما قلناه خلالها، أظنُّ أنّي  
توسّلتُ إليك أن ترحم ضعفي وحبّي، أن ترحم ذاكرتي لكنك بقيتَ  
مصرّاً على أفكارك وعنيدياً في خصامك.

آدم: أراكِ سيئة المزاج اليوم.

حواء: دائماً هناك حكايةٌ لسوء الحال يصعبُ تفسيرُها.

آدم: ماذا بكِ؟

حواء: أيرضيكِ أن أختلقَ أعذاراً كاذبة؟

آدم: طبعاً لا، أرغبُ بحقيقةَ ألمكِ تفصيلاً.

حواء: حتّى هنا ترغبُ بالتفصيل!

آدم: كي أصل إليكِ يا عزيزتي.

حواء: لا يمكنني البوحُ بها.

آدم: حتّى لي؟

حواء: حتّى لكِ. ألن تقول لي: "سيزهرُكِ الله مهما طال خريفُك"؟

آدم: لا، سأقول لكِ: تعالي إلى قلبي، واروي له ما عجز لسانُكِ

عن قوله.

لم تكن ليلةً عاديَّةً إطلاقاً، فقد كنتِ فيها أميرة قصص الغرام،  
كانت ليلةً طويلةً عشتها معكِ وسطرتُ فيها أروع الأحلام،  
طلبْتُكِ في جنح اللّيل من خالقي، تألّمتُ كثيراً وأنا أتضرَّعُ إليه أن  
يخلق جزيرةً تخصُّنا وحدنا، ليس فيها مسافاتٌ أو بعدٌ أو شوقٌ  
يقتلنا، وليس فيها حنين يفتأُ بنا.

صحتُ صباحاً على كلماتِ عشقٍ أرسلها قلبُكِ إلى قلبي حتَّى  
أدركتُ أنّ أجمل حدثٍ حصل معي هو وجودُكِ بجانبِي، وأجمل  
ما في الصِّباح ابتسامتُكِ. تلاشت الأحلامُ لأستيقظ على واقعٍ لم  
أرغب به، واقعٍ لستِ فيه، فأنتِ بعيدةٌ عنِّي آلاف الأميال، وقلْبُكِ  
مسافرٌ إلى البعيد، وأنا أخشى ألا ألقاه أبداً.

تعالِي إليّ لنلتقي وسط الحقول، تعالِي كما أنتِ، لا تتعطّري بعطري  
يُسعدُنِي لحظةً ويُسقِنِي عمراً بأكمله، فأنا أخافُ التعلُّق بالرَّائحة،

أخافُ البكاءَ كلَّما مرَّتَ من أمامي أنثى تحملُ ذاتَ الرَّائحةِ،  
ستستوقفني قليلاً فأتكئُ على عَكَازِ ذكرياتي وحيداً، وأقعُ في  
حفرك الكثيرة، ربَّما أتهورُ وأعانقُها وأنا مغمضُ العينين،  
فأتخيُّك أنتِ وأبكي دهوراً دونك. تُتعبني تلكَ الرَّائحةُ كلَّما وقفتُ أم  
بائعِ العطور، أحملُها بين يديَّ بحرصٍ كي لا ينسكبَ منها شيءٌ  
ويرشَّ منها على ثيابي فأبتاعها مرغماً، وينتهي بي الأمرُ  
بالهروب من ثيابي ومن نفسي، فأركضُ إلى نهرِ النَّسيانِ كي  
أستحمَّ وأزيلَ تلكَ الرَّائحةَ العالقةَ بي، لكنَّها تبقى عابقةً في أنفي  
تذكِّرني بجمالِك. أتمنَّى يا صبيةَ الحسن أن يختفي ذاكَ العطرُ من  
الأسواقِ فيبقى لكِ وحدك.

فقدتُ النَّقَّةَ بكِ ولا سبيلَ لاستعادتها، فأنتِ لستِ أهلاً لها. هناكِ  
أشياءٌ كثيرةٌ تفعليها وتتعمَّدين بها إغاظتي، ومع ذلكِ مازلتُ  
مصمِّماً على حبِّي لكِ. مهما فعلتِ بقلبي أجد نفسي منساقاً إليكِ  
ومكبَّلاً بأصْفادِ غرامِك. يا أنثى لا تُشبهُ النَّساءَ في شيءٍ، ماذا  
فعلتِ بقلبِ لا يملكُ من الدُّنيا سواه؟! حطَّمتِ فؤادي بمعولِ

الأحلام، وهرعت إلى حضني باكيةً خبت العالم، ومن يدك تنزف  
الدِّماء التي أراقت الأوهام.

يا أنثى هي أول حب في حياتي وآخر حب كفي عن الكلام واتبعي  
الأفعال، افعلي أي شيء يجعلني أعترفُ بغرامك، فأنا بدأتُ أعتقدُ  
أنك لا تعرفين الحبَّ وأنك لم تحبيني، لعلك سرت في درب الوله  
هرباً من وحدة تخنقك وملل يفتك بك، فأنت لا تستطيعين العيش  
دون رجل. ترعبك فكرة إكمال الطريق وحدك، وتفزعك الوحشة  
كثيراً، لذا ترغبين بالأنس دوماً، ومن ثمَّ وجدتي حجر غرام في  
دربك، فأمسكت بي، ومرت الأيام، فوجدت نفسك قد اعتدت عليَّ  
في حياتك، وبدأت تخافين أن أهجرك كي لا أرجعك إلى وحدتك  
المغلّفة بالوحشة والكوابيس.

تقصين القصص وتهولين إليَّ إن جرحك إنسان، تبكين في  
أحزاني، ومن ثمَّ تهربين مني إلى وحدتك بعد إنهاء مهمتك  
وكانني في مهمّة رسمية تنتهي بانتهاء كلامك.

أردتُكِ شرياناً دائماً متّصلاً بالقلب والحياة، وأنتِ أردتِني عقداً  
جميلاً تُجمّلين به عنقك وتخلعينه حين تملّين منه رغم اعتيادك  
عليه. الفرقُ بين غرامي وغرامك واضحٌ وصريحٌ، أنا أردتُكِ  
عمرأً وأنتِ أردتِني مدّةً مؤقتةً تنسين بها حبّاً قديماً وتبقيني حيثُ  
أنا رسولَ حبٍّ وغرامٍ وأحاديثٍ ورواياتٍ صباحاً ومساءً وحسب.

آدم: سأبدلُ الجوى إلى ألحانٍ عذبةٍ أُغنيها في داخلي.

حواء: سيصلني مُتسللاً كاللصِّ من نبضاتِ قلبك إلى نبضاتِ قلبي.

آدم: لن يرحل ولن يزول، سيبقى ناراً مشتعلة.

حواء: سينطفئ.

آدم: حين لقائك فحسب.

حواء: لقد ضاع فؤادي في درب غرامك ولم يعد.

آدم: هل تخشين عليه مني؟ قد احتفظتُ به بين الشريان والوريد.

حواء: أخافُ عليه من الغرق دون النجاة، فهو مازال طفلاً لا

يعرفُ العوم.

لقد اتَّفَقنا على الفراق بهدوءٍ وسكينةٍ، فلمَ افترقنا بثوراتٍ هائجةٍ  
و حربٍ أضرمنا نارها في فؤادينا؟

لم سرقتَ لبَّ عقلي ورحلتَ معلناً انتصارَكَ على جرحي؟  
رميتني بسهام العتاب والملامة السَّهم تلو الآخرَ دون أن تترك لي  
مجالاً لأحمي نفسي من طيش سهامِكَ، وقطعتَ حبال الودِّ بيننا  
وتركتني في مهبِّ الآلام أتجرِّعُ ويلا تِك التي ما كنتُ لأنجُو منها  
بسهولةٍ.

ألم نتَّفَق على وداعٍ نستذكرُهُ طوال حياتنا بفرحٍ يغمرُ قلوبنا  
و ذكرياتٍ نستعيدُها كلَّما ضاقت بنا السُّبُلُ وأرهقنا الحنين؟  
لم جعلتُهُ فراقاً نبكيه عمراً بأكمله؟ أنا وإلى الآن لم أفهمك جيِّداً  
لكني فهمتُ دموعي حين انهمرت شللاً غزيراً على ما اختزن  
في داخلي منذ مدَّة طويلة، لم أستطع مسحها، أخافُ أن تمسحني

عن الدنيا؛ لأنها كانت أنت. تمنيتُ حينها أن تبقى قليلاً، أن تبقى  
قروناً كثيرة، وحين رفعتُ عينيَّ لأفتشَ عنك لم أجده، فحبستُ  
في عينيَّ العبرات، كي لا أذرفَ الدُموع، ووضعتُ يدي على  
فمي كي لا أصرخَ باسمك، فيعرفَ الجميعُ أنك سببُ انهياراتي،  
وهكذا خبأتُك كالموت في ذاكرتي ليغدو الوصولُ إليك أمراً لا  
يتكرّر.

كُفَّ عن الملامة، فأنا أعرفُ الحبَّ أكثرَ منك وأعرفُ واجباتي  
وحقوقي أيضاً. الحبُّ حرِّيَّةٌ، ليست أسراً وتقييداً وقلَّةُ ثقة. الحبُّ  
ألفَةٌ ومودَّةٌ، وليست خصاماً وعتاباً، ليست شكاً دائماً في الأقوال  
والأفعال وفي المشاعر والأحاسيس.

أنت لم تعرفِ الحبَّ من قبل، وكثيراً ما كنتُ أصرخُ في وجهك  
وأنتفضُ في كلِّ مرَّةٍ تلومني بها على حبِّي، فأقولُ لك:

- "الحبُّ لم يكن كذلك أبداً، وما بيننا اختلافاتٌ كبعدِ الثُّرى عن الثُّرى، وبيننا تشابهٌ أيضاً، وكلانا يدركُ ذلك، ولكنَّ الاختلافات أكبر، وأهمُّها مفهومُ الحبِّ لدى كلِّ واحدٍ منَّا".

لكلِّ واحدٍ منَّا مفاهيم ومبادئ تختلفُ عمَّا هي لدى الآخر، ونظريَّاتٌ يُطبَّقها بحسب معرفته كيف سيعيشُ في هذه الحياة، عداكَ عن ذلك اختلافُ الثَّقافة بيننا، فأنتَ صعبُ المراس وذو مزاجٍ حادٍّ ومتقلِّبٍ، تُريدني لك وحدك ولا تُريدُ لأيِّ إنسانٍ أن يُشاركك فيَّ حتَّى لو كانت عائلتي. أستطيعُ أن أفهم أنَّكَ بدأتَ تُشبهُ مالك في كلِّ شيءٍ، فلا تكن مثله. احتفظ بي، ولا تُضيِّعني كمالك الذي أراد أن يستملك محبوبته فأضاعها من يده. أتعرف لم؟

لأنَّه كان متشبَّهاً بها كالرَّمَل في راحة يده، فانزلقت من بين أنامله بسهولةٍ ويسرٍ، ولو أنَّه أمسكها بهدوءٍ وحذرٍ وراحةٍ لتمسَّكت به خشيةً الوقوع أرضاً، ولو اهتمَّ بها وهي في راحة يده وراقبها وهي تكبرُ لكانت قد أحبَّت اعتناؤه بها وظلَّت معه. فلا تكن مالك،

ولا تكن آدم. أريدك رجلاً لا يُشبه الرجال في شيءٍ، فجميعهم  
القاعدة ووحداك الاستثناء. أريدك غيثاً يدوم طويلاً، لا مطراً  
يسقطُ بغزارةٍ فتصبُ مياهه في البحيرات دون أن يراها أحد.  
أنت الذي أتيتني بعد سنواتٍ عجافٍ وأمطرت فوق أوديتي، لن  
أنساك، وستبقى في فؤادي أمد الدهر حياً. لن أنساك مع الأيام  
والسنين، فليكن حبك كحبي الخفيف اللين السهل؛ إذ أردتُك حبيباً  
وزوجاً دون تقييدٍ لحرّيتك، فلا أكونُ بذلك كمن لا يفهم من الحبِّ  
شيئاً، وإنما أمنحُ الحبيب مساحتَهُ الخاصّة لعلّه لا يُحبُّ أن يتعدّها  
أحد.

آدم: لن تشعري بوجودي الدائم إلا بعد أن أغيب.

حواء: لن تشعر بانتظاري لك على أرصفة الحب إلا بعد أن أختفي.

آدم: لن تفهمي معنى الحب العميق حتى أغدو شخصاً آخر.

حواء: أفهمي الحب وعلّمني إيّاه، وكلّما أخطأت عاقبني بالعناق والقبلات.

آدم: أودُّ إبقاء رأسي على كتفك وبين يديك وفي قلبك.

حواء: أودُّ البقاء في لياليك المظلمة وصمتك الحزين.

آدم: أرغبُ أن أكون أغنيةً لقلبك المتعب.

حواء: أرغبُ بالمكوث في تفاصيلك الدقيقة.

اللَّيْلُ قَاتِلٌ مَتَخَفٌ يَنْسَلُ ببطءٍ وَيَبْدَأُ بِتَمْزِيقِ أوردَةِ الحنينِ حَتَّى  
تَنْزِفَ عَلَى الجسدِ وَتَمِيتَهُ أَلْمَاءً، لَا يُعَاقِبُهُ قَانُونٌ وَلَا تُقَيِّدُهُ عَادَاتُ.  
إِنَّهُ يَقْتُلُنِي بِبطءٍ دُونَ مِرَاعَاةِ مَشَاعِرِي، فَيُبَاغِتُنِي بِمَوْجَاتٍ مِنَ  
الحنينِ القاسيةِ التي تَجْعَلُنِي أَنْكَمِشُ عَلَى ذَاتِي وَأَصْرُخُ بِتَأْوِهِ،  
فَأَتَقَلَّبُ فِي فِرَاشِي مَنشِدًا النُّومَ، فَيُخَذِّلُنِي. أَدْعُوهُ إِلَى سِرِيرِي كِي  
أَهْرَبَ مِنْ هَذَا الهمِّ الثَّقِيلِ لَكِنَّهُ يَطْوُلُ وَيَطْوُلُ، وَيُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ  
مَكْتٌ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْآثِمَةِ قَرُونًا.

وَمَا إِنْ تَخَمَدَ نَارُ الحنينِ حَتَّى يَعُودَ وَيَفَاجِنُنِي بِكَمِّ هَائِلٍ مِنَ  
الذِّكْرِيَّاتِ الصَّغِيرَةِ مَقْتَرَنَةً بِتَفَاصِيلِهَا الدَّقِيقَةِ. وَهَكَذَا أَجْلِسُ بَعْدَ أَنْ  
رَفِضَ جَسَدِي النُّومَ لِيُبَاغِتُنِي الشَّوْقُ فِي الهَزِيعِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ  
وَيَحْتَضِنُنِي إِلَى أَنْ أَنَامَ بَاكِيًا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ.

أَسْتَيْقِظُ عَلَى صَوْتِكَ وَهُوَ يَهْبِطُ عَلَى قَلْبِي كَمَطَرٍ يَأْتِي بَعْدَ أَعْوَامٍ  
كَامِلَةٍ مِنَ القَحْطِ وَالجَفَافِ، بَيْنَمَا تَهْرَوُلُ نِظْرَاتُكَ إِلَى قَلْبِي وَتَتَّخِذُهُ  
مَسْتَقَرًّا كَالْبَيْتِ الَّذِي حَلَمْنَا بِهِ سَنِينًا، كَحَلْمِنَا الْمُنْطَفِئِ وَقَلُوبِنَا

اليئيمة، كأرواحنا المهترئة وأحضاننا الجافة، ومانزال في قائمة  
الانتظار ماكثين.

كان الحلم بسيطاً، فقد حلمتُ بقلبٍ يتحمّني على الدوام ويتحمّلُ  
تشبُّثي بالتفاصيل الصَّغيرة، تلك التفاصيل التي تحتلُّ حيزاً كبيراً  
في القلب وتخزُّه بشدَّة. تمنيتُ أن تأخذي حزني على أنه قضيتك  
الأولى وتدافعي عنه بالاهتمام بعلاقتنا، وأنت تعرفين أنّي لا  
أكونُ بخيرٍ حين أُخبرُكِ وأنا مبتسمٌ أنّي في أفضل حال.

كان بإمكانك إصلاح ما عجزت عن إصلاحه، بإمكانك أن  
تتنازلي قليلاً وتهشمي صخرة العناد التي تتمتعين بها، فما  
تشعرين به ليس حبّاً، ربّما هو في عقلك فحسب، ولكن ليس كما  
تتخيّلينه.

أنا لم أعرف الحبَّ حتّى أحببتك يا صغيرتي، قد عرفتُ الحبَّ  
معك وأغرقتك به، ومن ثمّ أصبحتُ بلا روحٍ أو إحساسٍ وبلا  
شيءٍ. إنّني لم أشعر يوماً بالوحدة كما أشعرتني بها.

وها أنا أفتقدُ شعور الحاجة لشخصٍ آخر غيرك، وأحسُّ على  
الدَّوامِ بأنِّي لصيقك وفي حاجةٍ إليك على الدَّوامِ.

صدِّقيني يا طفلي أنتِ أملُ الأشياءِ اليائسةِ والسَّاقُ الأخضرُ  
لجذوري اليابسة، وأنا أخشى فقدانك؛ لأنِّي لن أقوى على  
النُّهوض بعدها. لم أكن أتخيَّلُ أنَّ الفقد سيؤلِّمُ الرُّوح هكذا، فلا  
تُغلقي الأبواب؛ لأنَّ رُوحِي عالقةٌ على الجدار، وإن أغلقتِ الباب  
في وجهي سأموت، فلا تزيدني البعد شوقاً، ولا تجعلني الحنين في  
آخر اللَّيل ينتصر على روحِ أحبَّتكَ.

أخشى أن يأتي يوم أكفُّ فيه عن الكتابة إليك وتتوقَّفين فيه عن  
الكتابة إليّ، لن يكون يوماً عادياً لكلينا، سيكون يوماً طويلاً بليلٍ  
قاسٍ لا ينجلي، وفي ذلك اليوم سنعودُ غرباءً كما بدأنا، لن تكون  
البداية التي تعشقينها وإنَّما سنعودُ إلى ما قبل البداية، وسنشعرُ  
بتلك الغصَّة المؤلمة التي نتمنَّى لو أنَّنا بقينا نشعرُ بها بدل أن  
نخطو خطوةً باتِّجاه علاقةٍ كانت بمثابة لغمٍ لكلينا، وكنا نخافُ  
انفجاره في أيِّ لحظة، وإن لم ينفجر بي سينفجر بك، وحينها

سأفقدك إلى الأبد، وسأفتقدك يا أعزَّ مخلوقِ عرفه قلبي وراته

عيناى، وكم تمنَّت يداى معانقتك!

آدم: أصعبُ حبًّا وأعظمُ حبًّا هو حبُّ الرُّوح.

حواء: بالطَّبع، فحينها سيلازمُكَ طيلة حياتك.

آدم: حبُّ الوجه يتغيَّرُ بمرور النَّجَاعِيدِ عليه.

حواء: وحبُّ الاعتيادِ سنمُلُّهُ مع الوقتِ.

آدم: إنَّما الرُّوحُ واحدةٌ ليس لها شبيهةٌ، ولن نراها في شخصٍ آخر.

حواء: حتَّى أشباهي الأربعين؟

آدم: جميعهم ماتوا، وبقيتِ نادرةُ الوجود، فليس لكِ على الأرضِ

شبيهةٌ.

إني عالقة في المنتصف المميت، لا التَّقدُّم يُحييني ولا الرجوع  
يشفيني، ولا أدري كم مضى على مكوثي هنا، كم قرنٍ ودهرٍ!  
إني أخشى التَّقدُّم وأخاف التَّراجع، وها هي الحيرة تُفنتُّ عقلي،  
والخوفُ يأكلُ قلبي، وليس هناك من يُنيرُ عتمتي ومن هو قادرٌ  
على إضاءة قلبي. مازلتُ في المنتصف، يُرعبني كثيراً التَّقدُّمُ  
خطوةً واحدةً نحو الأمام، فقد يكونُ مجهولاً، وأمَّا الخلفُ  
فسيبكيني كثيراً ويقتلُ فيَّ الحياة.

حينَ كنتَ تمضي وكنْتَ ألُوْحُ لَكَ بيدي الباردة وأنا أصرخُ:

- "وداعاً يا عمري".

عمري قد ودَّعتهُ بوداعك. لم يسبق أن رحلتَ بمفردك، كنتَ في  
كلِّ مرَّةٍ تأخذُ بعضاً منِّي، قد أخذتَ القلبَ والروحَ، وها أنتَ تأخذُ

الآن مني عمري، فلا تطل الغياب، وأعطِ كلَّ ذي حقِّ حقَّهُ كي  
أُغرمَ بكَ بقلبين وروحين عمراً كاملاً لا ينتهي.

لا أقوى على الحياة بعيداً عنكَ ولا أستطيعُ النُّهوضَ من سبات  
أوهامي. لم يصلك صداحي في اللَّيل الطَّويل، أو لعَلَّكَ تجاهلتَ  
أنين الكلمات. قد تأوّه قلبي كثيراً وهو يناديك:

- "يا قلب الرُّوح، أنا ملاذُكَ من بطش الحياة وعذابها".

لكنَّكَ لم تسمع نداءه! ربَّما أصابكَ الصَّممُ كي تهربَ إلى  
الأعماق، إلى حيث لا يصلُ دوي انفجارات قلبي المتعالية بصياح  
الجوى وآلامه، ومع ذلك تصرخُ بملء فيك:

- "أين هو الحبُّ؟ لا أراه!".

ماذا تُريدُني أن أفعل كي أرضيك وأنا العاجزةُ عن إرضائك؟ أنا  
في حيرةٍ وحزنٍ كبيرين، حزني عليك ومنك جرَّاء اتِّهاماتك  
الكثيرة وحزني على ذاتي كوني لا أستطيعُ أن أردَّ عليك بالمثل

ولا أستطيعُ شرح ما في جعبتي لك، فأصرخ وأغضب منك كثيراً، والسببُ يعودُ لك.

تشتاقُ كثيراً فنتور وتغضب وتتهمني باتِّهاماتٍ لا تمتُّ إليّ بصلة وأنا أتحسّرُ على ذاتي وعلى الحبِّ الذي في قلبي، ألمُّ حاجيَّاتي على عجلٍ كي أهربَ منك إلى الأبد، لكنِّي أعودُ بعد دقيقتين لأعتذرُ لك عن أشياء لم أفعلها، عن الحروب التي قامت والأوبئة التي اجتاحت عالمنا، عن سفرك وغربتك، عن نظرات الرِّجال الهامسة بالغزل والإطراء، وأعتذرُ لك عن الكوارث كلِّها، فهل يرضيك هذا؟

تصمتُ ويعقبُ صمتك ليلٌ كثيرُ الغيوم، ومن ثمَّ تقول:

- "وجارك الذي طرق بابك في ذلك اليوم ما هو مطلبه؟"

ترميني في سلَّة الشكِّ من جديدٍ، وما يسعني إلا أن أردَّ عليك بما طلب، وهنا تُفندُ كلامي وتكذبُ الحقائق، فتبدأ سلسلة الشكِّ عندك وتبني في خيالك أحداثاً لا وجود لها، وتؤلِّفُ رواياتٍ من

الأساطير. أمّا أنا فأستمعُ لما تقوله دون أن أنفوه بكلمة، أنتظرُ أن  
تنتهي كلامك لأرى إلى أين سيفضي، وحين أحاولُ الدِّفاع عن  
نفسي أتلعثمُ أمام شكِّك وأفشل في ذلك. أتخيّلُ أنّي في غرفة  
تحقيقٍ مظلمةٍ وأنتَ المُحقِّقُ العصبِيُّ الذي يضرب الطاولة بكتنا  
يديه بغضبٍ إذا ما حصل على إجابة خاطئة.

أنظرُ إلى لمعة الشكِّ في عينيك ثم أقولُ لك ببرودٍ:

- "ماذا تُريدني أن أقول؟".

فنتقول:

- "الحقيقة، لا شيء غيرها".

أنظرُ إلى ياقة قميصك دون النّظر إلى وجهك، فعيناك تُرعبانني  
وأنتَ تتفرّسُ في وجهي وتنظرُ إليّ نظراتِ شكٍّ وريبةٍ، ثم أقولُ

لك:

- "وأنا قلتها".

ويعقبُ جوابي صمتٌ قاتلٌ تتأمَّنني خلاله، تتأمَّلُ وجهي وتُحاولُ

دراسةَ نظراتي كي تستنبطَ الجواب، لتقول لي فجأة:

- "وذاك النَّهار الذي عدتِ فيه باكراً، أينَ كنتِ؟ لم تذهبي حينها

إلى البيت كما ادَّعيتِ!".

أنظرُ إليكِ بمللٍ عقبَ السُّؤال الذي اعتدتِ طرحه يومياً، وأقول

لكِ بتأفُّفٍ:

- "إلى البيت، نمتُ فور وصولي إليه".

مؤكِّدةً أنَّكَ لن تستلَّ منِّي جواباً آخر، ولو سألتني مئة مرَّةٍ هذا

السُّؤال لن تأخذ سوى إجابةٍ واحدة؛ لأنِّي قد أخبرتُكَ بما حصل،

وليس لديَّ ما أُضيفُه.

آدم: مَدْ افترقنا ألوانُ الكونِ قد غابت فلا ألمحُ فيها سوى الظُّلْمَة.  
حواء: لم أعد أسمعُ سوى نبضِ قلبي المتسارع الهامس باسمك،  
و حين ذهبتُ إلى الطَّبيب لأشكو له سرعة نبضات القلب قال لي:  
- "كفِّي عن الحبِّ يا امرأة، وحينها سيعودُ النَّبْضُ إلى ما كان  
عليه".

آدم: أنامُ في موعدِي المعتاد، فأراكِ تنتظريني عند زيزفون  
الحبِّ ولافاندر العشق. أستيقظُ فأجدني في وحشتي أنتظرُ موعداً  
دون أمل.

حواء: ولكن، قد يطولُ الانتظار.

آدم: سأظلُّ في انتظارك حتَّى ألقاك.

أُفقلتُ جميع الأبوابِ عدا بابك، تركتُهُ مفتوحاً على مصراعيه  
غيرَ أبه بالأعاصير والرياح العاتية، فقد كانت نسائمك تهبُّ عليَّ  
في كلِّ حينٍ لتنعشني وتحييني.

أُفقلتُ جميع النوافذِ عدا تلك التي تُطلُّ على عالمك، فقد تركتُها  
مفتوحةً؛ لأنَّها مزركشةٌ بحبِّك وهيامك. تركتُها قاصداً غيرَ أبه  
بما قد يدخلُ منها، فوجودكِ خلفها يبعثُ في قلبي حياةً أجملَ  
بكثيرٍ من غيرها.

أُتلقتُ جميع الأدوية التي منحها الأطباءُ لي، واتَّخذتُكِ دواءً ناجعاً  
لجميع الآفات والمعضلات.

وفي ختام كلِّ ذلك وبمجيء الأملِ غداً أُخبرُكِ بأنَّكِ الخيرُ لكلِّ  
عيدٍ وكلِّ عامٍ، فبيني وبينكِ مشاعرُ الحبِّ الأربعة والعشرون، من

حبّ وولهِ وجنونٍ، وآخرها الألم. بيني وبينك بريقُ العيون  
ورجفةُ الشَّفاهِ وعناقُ الأيدي.

بيننا أحلامٌ وآمالٌ وأحاديثُ غرام، ما بيننا ليس بغضاً ولا  
خصاماً، إنّما هو حبٌّ عظيمُ المقام، حبٌّ سيبقى إلى الأبد، وإن  
كُنّا مانزالٌ ندّعي اللّامبالاة بينما نحن ننتظرُ ونتأكلُ من الدّاخل  
سيبقى الحبُّ لأوّل حياةٍ عرفناها ولأوّل من نبض له الفؤاد.

أتمنّى منك أن تشعريني بأنّك متعلّقةٌ بي و متمسّكةٌ بالحبّ الذي  
بيننا، أن تشدّيني إليك دونما إفلاتٍ، ومن ثمّ تقولين لي:  
- "لن أتركك، فأنتَ لي".

أتمنّى أن تشعريني بأنّك موجودةٌ في الحياة لأجلي كما ينبضُ  
قلبكِ لأسمعهُ أنا وحسب.

أنتِ تكذبين! مُراوغةٌ كالثعلب، بارعةٌ في اختلاق الحكايات، وأنا  
أدركُ كما تُدرकिन بأنّ هناك شيئاً مخيفاً في حاضرِك لم تبوحِ به

حتى اللحظة، فأفعلك هي من تستدعي الشك في الحاضر  
والماضي وليس كلامي أو أحاسيسي.

لا أكاد أنسى جارك الذي جاء يطرق بابك حين كنت وإيّاك نُجري  
مكالمة غرام، لا أنسى كيف أقلتِ الهاتف في وجهي لتفتحي له  
الباب. لم أنهيتِ المكالمة فور مجيئه؟! أليست هذه إشارة واضحة  
لأمرٍ تخفيته عني؟! لعلك أردتِ أن تبقي معه على انفراد،  
وأغلتِ ما كان بيننا في لحظة. لا أستطيع أن أفكر مثلك بأن  
علاقتنا هاتفيّة فحسب، وأننا حين نُغلق الهاتف ينتهي ما بيننا. لسنا  
بهذه الدرجة من الفراغ والغباء لنفعل ذلك، نحن أعمق من كل  
هذا، وإذا ما أغلقتِ الهواتف تعانقت الأرواح وسافر العقل إلى  
أرض الذكريات، فلم فعلتِ مثل هذا الفعل الشنيع، وإن حاولتِ  
تبريره فلن تُقنعني مبرراتك.

جرحتني في الصميم حين حاولتِ إخطاة الجرح، فعلتِ ذلك بقلبٍ  
قاسٍ وسكبتِ زجاجة الكحول على جراحي، فألمتني أكثر ودون

حبوب المسكّن ضمّدتِ جراحي النَّازفة وتركتني أننُ في ساعات

اللَّيل الطَّويلة بمفردي، فأين كنتِ؟

كنتِ نائمةً على سريرك الكبير تحتضنين أحلاماً ربّما لستُ فيها،

ناسيةً جراحي النَّافرة، وفي النَّهاية تقولين بكلِّ برودٍ:

- "ثق بي".

كيف أثقُ بكِ وأنا أرى خياناتكِ وأتمسُّها بأحاسيسي قبل عيني؟!!

آدم: ماتت المشاعر.

حواء: اندثر الإحساسُ الجميل.

آدم: ذبلت الرُّوحُ المزهرةُ وتلاشى عبيرُها.

حواء: لم يعد للحياة طعمٌ، ولم يعد بوسعنا الاعتقاد على الحياة

المؤلمة.

آدم: كم وددنا أن تنموَ قصَّتنا وتزهرَ وتثمر!

حواء: لم نبخل بشيءٍ إن كان كبيراً أو صغيراً.

آدم: كلُّ الأحاسيس الرائعة منحناها لمن نحبّ.

حواء: ولم نأخذ سوى القليل لقاء ما منحناه.

تختلفُ الغيرةُ عن الشكِّ كثيراً، فالغيرةُ يطلبُها الجميعُ ويسعون إليها بخلاف الشكِّ الذي ينفِرُ منه الكلُّ. حين تغارُ تأكّد بأنك لا تنهمني بشيءٍ حتّى لا تتحوّل الغيرةُ إلى شكٍّ قاتل. حلّ المسألة، وابحث عن جميع المعطيات، وأحضر الأدلّة المطلوبة، ثمّ اسأل بهدوءٍ وحنانٍ كي أتجاوب معك بسلاسةٍ كما تحبُّ وترغب.

لا تكذّبي، دعني أعطيك مبرراتٍ لأفعالي قبل الإتيان بأمرٍ قد تندمُ عليه لاحقاً. إنّ الشكَّ يودّي إلى العصبية التي بدورها تُفسي إلى عواقبٍ جسيمةٍ ستندمُ عليها لاحقاً، وقد تبكيك كثيراً. لا تكن دائم الرّيبة، وحين تغارُ تأكّد من أنّك مازلتَ في حدود الغيرة المعقولة. لا تندفع كثيراً وراء الأحاسيس الوهميّة فقد تكون كاذبةً، ولا تجرِ وراء الشائعات كي لا يلومك في النهاية سوى قلبك لأنّك سترهفهُ وتتعبهُ، وحين تغارُ ستُعيدُ للحياة رونقها،

وحين ترتابُ أو تشكُّ ستُعِيدُ العَلاقةَ إلى الصِّفرِ أو ربَّما ستسرِّعُ  
في النِّهايةِ غيرِ المَطْلُوبَةِ.

أَمَّا الغيرةُ فمن حَقِّكَ، وَأَمَّا الشُّكُّ فلا، فعدِ إليَّ ولو أذنبتُ ألفَ  
ذنبٍ. إِيَّاكَ أن تتركني لذنوبي، احتضن خيباتي وارحم زلَّاتي. عد  
إليَّ وانسَ ندوبَ رُوحِي، فأنتَ الدَّواءُ لأسقامي كُلِّها، ووحْدَكَ  
بلسمُ الأملِ ووجهُ القمرِ ونورُ المستقبلِ. تعال، أرجوكِ.

استهلكتَ رُوحِي واستنزفتني يا هذا. جعلتني أكرهُ نفسي، ولأوَّلَ  
مرَّةٍ أمقتُها. أنت تَرى أنَّ حظَّكَ سيِّئٌ معي وأنَّكَ الوحيدُ الذي لم  
يأخذِ حقَّه، وأنا أوكدُ لك في رسالتي هذه أنَّكَ الوحيدُ الذي  
استنفدتَ رُوحِي وجعلتني أرى بشاعةَ نفسي حتَّى كرهتُها بسببِكَ،  
فأنتَ الذي سلبتني الرُّوحَ النَّصِيرَةَ المَرحَةَ، أطفأتني ثمَّ اشتكيتَ  
ظلمتي، سارعتَ إلى ذبولي وبدأتَ تنوحُ وتبكي. لقد أصبحتُ في  
نظركِ سيِّئَةً للغايةِ رغمَ أنِّي لم أكن كذلك ولن أكون. كأنَّكَ وحدكِ  
الطَّيِّبُ وأنا السَّاحرةُ الشَّمْطاءُ في الحكاياتِ!

أليس كذلك يا صاحبي؟

أسألك هذه الأسئلة المتعاقبة فتصمتُ طويلاً ثم تقول لي إنَّكَ  
متعبٌ ومرهقٌ وفي حاجةٍ لقسطٍ من الرَّاحةِ والخلودِ إلى النَّومِ.  
أدركُ أنَّكَ لن تنام، كما تُدركُ أنتَ هذا، وتعرفُ أنَّي أعرفُ أنَّكَ  
لن تنام، وفي المقابل أيضاً أنا على علمٍ بما تعرفه، ومع ذلك  
تصرُّ على الهروب منِّي كلَّما أقنعتُكَ بوجهة نظري، لكنَّكَ تُفندُّها  
بحجَّةِ أنَّكَ تفهمني وتفهمُ مشاعري أكثر منِّي.

إن كان الأمرُ كذلك لمَ لم تُصدِّقْ صدقي في كلِّ حرفٍ نطقتُ به؟

لَمَ يا صاحبي؟

لأنَّكَ لم تفهمني، كما لن تفهمني أبداً.

آدم: لم تحببيني؟

حواء: لأنك الأمان لأنثى شديدة الخوف.

آدم: كنت أهتم لأدق تفاصيلك بينما كنت قليلة الانتباه.

حواء: كنت أمني، وقبلك كنت بئسة في عزلي ووحشتي قبل

مجيئك عالمي.

آدم: وقعت في حبك بشكل كارثي رهيف.

حواء: عقلي مرهق، فهو لا يهدأ من التفكير بك.

آدم: تجتاحين أفكاري في كل لحظة، وفي أوقات نومي تزوريني

في الأحلام.

حواء: غرقتُ ببحرك، والآن لا أتمنى من أحد أن يمد لي طوق

نجاة؛ فأنا أريدُ الغرق بك أكثر فأكثر.

آدم: قلبي بات دائم النظر إليك، وعيناي لا تبتسمان إلا لرؤيتك.

حواء: أنتَ في دعائي في جنح اللَّيل وفي حديثي إلى الله دوماً

وندائي في كلِّ صلاة.

آدم: أنتِ الأبديةُ المنطوقَةُ واللُّغَةُ المكتوبةُ. أنتِ الكلامُ المتردِّدُ

والكلامُ الذي لا يُباح.

حواء: أنتَ فؤادي، والفؤادُ هو أنتَ.

لم يكن الفراق سهلاً لكلينا، بل كان عسيراً، ومع ذلك كان قراراً صائباً وخطوة مؤلمة وصعبة للغاية، لكن هذه الخطوة جريئة وصحيحة في الوقت نفسه.

قد وصلنا إلى جوى الحب المؤلم وإلى وله العشق المجنون، وصلنا إلى ولع الفتون، وغصنا في أعماق الغرام، وثملنا حتى سكرنا. قد كفرنا بالفراق وأمنّا باللقاء، فأنت الذنب الذي لا أتوب عنه والأمنية الخالدة العالقة في الحلق والقلب، ومع ذلك لم نعش الوصل، ولم نفهم بعضنا أبداً، فالتفاهم أهم من كل ما ذكرت. لربّما هو فارق العمر بيننا أو اختلاف الثقافات أو بعد المسافات أو ماضي كل واحدٍ منّا.

دخل كلانا فؤاد الآخر، وتبادلنا الأماكن بالخيال والأحلام، وقد سافرت الروح وبقيت تحوم حولينا تتأبط الحب الذي كان، تتشمّم

أخبار نهايتنا، ولكن لم نفهم بعضنا! قد كثرت خلافاتنا وزادت  
حدّة المناقشات، فكبر الخصام بيننا، واتّهم كلُّ منّا الآخر بالتّقصير  
والإهمال، وبقينا نندبُ حبّنا ونرثيه بدلاً من إسعافه ومداواته،  
وجلُّ ما أردته أن نفترق ويبقى الاحترام بيننا ولو خسرنا الحبّ.

لا أعرفُ كيفُ أصفُ لكِ غربتي عن روعي وعن نفسي، ضائعُ  
بين الهوامش الطّويلة، ولا أستطيعُ الوصول إلى المكان الذي  
تمنّيتُ أن أصل إليه مع محبوبتي، كما أنّي لست قادراً على  
المضيّ قدماً معك.

لم أستطعُ إيجاد نفسي، فكيف أجذك؟! لم أستطعُ البحث عنك؛  
لأنّني في زنزانة روعي أعيشُ، وأبحثُ بعيني عن باب الخلاص  
فلا أراه، لا بدّ أنّك تُخفينه خلفك في الظلام وأنا لا أستطيعُ  
الإمساك بكِ كي تحييني وتنجديني.

ضائعُ في المنتصف المُميت، لا التّقُدُّم يُسعدني ولا التّراجُع  
يُسعفني، وأمّا المنتصفُ فهو المرحلة الأشدُّ ألماً.

إذن، لم لا نتخذُ قراراً قاسياً الآن ومريحاً غداً؟! سنتعذبُ في  
البداية كثيراً وسنتأقلم بعد مدّةٍ ثمّ نرتاح.

لمّ علينا أن نرضى بالعذاب لكلينا؟!

أيرضيك ما أنا فيه من عذاباتٍ وآلامٍ؟!

أرجوكِ يا صاحبة الفؤاد الجريح لا تقسي على فؤادي أكثر من  
ذلك، إن لم تقوي على الاقتراب فلتبتعدي دون أن تأتي مرّةً  
أخرى. اخطي خطوةً جريئةً في درب علاقتنا ولا تستثقلي. إنّما  
الفراقُ يكون سهلاً بعد انتزاع الرُّوح منك، حينها تكونين جسداً لا  
يتألّم ولا يشعر، فما فائدة بقائكِ معي إن كنتُ لا أستطيعُ رؤيتكِ  
أو لمسكِ أو معانقتكِ أو حتّى تقبيلكِ؟ وما فائدة بقائكِ معي إن  
كنتِ ستهربين من السّهر والأحاديث اليوميّة؟

تعالِي نَنفِقْ على فراقٍ يُنصفُنَا، فالبقاء في الوسط يقتلني بدل أن  
يُحييني، يُعذبُّني ولا يُريحُنِي. إنّه يدخلُ في جسدي كالذّبَابِيس،  
يجعلُّني أتمزّقُ إرباً تحت تأثير مخدّر الوعود.

لم نصل إلى نتيجة مرضية للطرفين، وإذا ما أردتُ الحديث ذاتِ  
يومٍ عن كلِّ ما جرى معكٍ من تفاصيلٍ إلى أشياءٍ تافهةٍ ستجديني  
إن أردتِ ذلكِ. سأبقي باباً موارباً يا صغيرتي، لكِ وحدكِ ولظلكِ  
وروحكِ، وإن غالبكِ العنادُ وانتصرَ أبقيني ذكرى جميلةً عندكِ  
ولا تأتي إلى قلبي لتثيري أوجاعه من جديد.

آدم: لم تكوني جادة في المضيّ معي إلى النّهاية، كالريّح التي  
ظنّنت حين غادرت الحقل أنّ الأوراق ستغادر معها، لكنّها تشبّنت  
بالأشجار رافضة الرّحيل.

حواء: لأنّ الريّح عاثت في الأشجار والأوراق فساداً، وما كان  
للأوراق أن تغادرَ برفقتها بعدما فعلته بها.

آدم: لأنّها أرادت أن تكون ملكها، فحاولت خطفها، ولكن لم تفلح.

حواء: ربّما لو رأته فيها الرّقّة والحنان لذهبت معها بإرادتها.

آدم: كنتُ معك عطوفاً رقيقاً مليئاً بالحنان، ومع ذلك لم تتغيّر

المشاعر نحوك، أتدريين لمّ؟

حواء: لمّ؟

آدم: لأنّ العقل هو الذي يغضبُ في حين أنّ القلب يصفح ويعفو.

ألم نتفق على جعل النهاية كالبدء؟

لم مزقت دفاترنا ورسمت أبشع الرسومات في الصفحة الأخيرة  
ثم مزقت أروع لحظَاتنا وحياتنا؟

قد استطعت محوها بأكملها وكأنها ما كانت، تَبّاً لأنانيتك، وتَبّاً لي  
حين أمّنتك على دفترنا ووضعْتُ بك كلَّ الثقة، فخبّبت أمني  
وظنّي! لا طاقة لي بعد اليوم بشراء دفترٍ جديدٍ، ولا طاقة لي  
بالكتابة في دفترك، فليمضِ كلُّ منّا في سبيله شرط أن نحترم  
نهاية خطِّ الفراق كما رحبنا ببدايته، وهنا أعني اللقاء.

أخاف أن تجري الأيام بسرعةٍ عجيبةٍ دون أن أستطيع نسيانك،  
سيكون الأمرُ ثقيلاً على قلبي، فأنا أأكلُ من الدّاخل كلّما نظرت  
إليك أنثى. أفكّرُ بغيره حارقةٍ تكادُ تحرقُ المكان الذي أنا فيه  
ويغيبُ الهواء قرناً من الزّمن وأنا أتأمّلُ كتاباتك وأفسرُها ألف  
تفسير، ما يخلقُ في نفسي مشاعرَ متشابكةً لا أفقهُ تفسيرها، فلا  
أدركُ سوى أنني مازلتُ في غرامك عالقة، والغرامُ هو شدّةُ

الحبّ، فهلاًّ أحسستَ بألمي قبل أن تخرقَ سهامك روح الحبّ  
وتقتله.

لا أستطيعُ المسير، ألا تفهم بأنّي بك متيمّة؟!!

ألم تفهم بأنّي حاولتُ الهروب كثيراً ولم أفلح في ذلك؟!!

كلّما حاولتُ إبعادك عن ساحتي وجدتُ نفسي قد هرعت إليك  
شاكيةً وباكيةً ألم الفراق.

قد استعبرتُ عبراتي في كلّ مرّة ودعّتك فيها؛ لأنّي ما ألبتُ أن  
أعود إليك، فأحاولُ أن أعطيك عهداً في وصبٍ جديدٍ كي أُطيلَ  
الحبّ بيننا مع أنّي أدركُ تماماً أنّه سينتهي في يومٍ من الأيام رغم  
عدم رغبتني بانتهائه.

ربّاه، ساعدني.

ربّاه، لم خلقت النّهيات؟

كي تندثر الأحلام وتموت قهراً على أعتاب واقع لا نرغبُ به!

أكره نفسي كثيراً وأمقتها وأكره من سبقوك من رحالة الحب.  
ليتك سبقتهم وكنت أولهم، لكنت قد وفرت عمراً كاملاً من  
العتاب، فما ذنبي إن أتيتني وقد تغيرت الأمنيات والأحلام  
والأوهام، وتغيرت الأنفس والأرواح والأماكن والأزقة.  
كم أحلم أرسو معك على شاطئ الحب لنستمتع معاً بجماله! ليت  
البدايات تعود يوماً، ولترحل الأحزان إلى قعر وديان الدُموع.

آدم: يا عمر الحبّ وزهرته، كوني سعادة الأيام اللّامعة.

حواء: كن معي على وفاقٍ وونام.

آدم: أخشى الاصطدام معك، فأهرب منك، أخشى الاحتراق.

حواء: اخلق بيننا مودّةً واشتياقاً.

آدم: اخلقي شعوراً جديداً يُضمّدُ الجراح ويُعطي الأرواح فرصة

العناق.

حواء: افتح أبواباً للفرح عسى أن يدخل الحبُّ بانسراح.

آدم: أخشى أن أخسر ذاتي إن فتحتها، ولكن إن خسرت كلّ شيءٍ

مقابل ذاتي هل يُعدُّ هذا انتصاراً أم هزيمة؟

حواء: أن تكسب نفسك انتصارك بالطّبع.

أبحثُ بين الحُطامِ عن وجوهٍ كانت لي رفيقةً، فلم أجد فيها من  
يُخبرني بأنِّي لن أجد ما أبحثُ عنه؛ لأنَّها نادرةُ الوجودِ وليس ثمةً  
من يُشبهُها، لكنِّي رأيتُ الكثيرَ ممَّن يبحثُ فيجدُ ما يُريد. هي  
وجوهٌ متكدِّرةٌ وأخرى ضحوكةٌ، وجوهٌ حزينةٌ وأخرى أتعبتُها  
الحياة، إلَّا أنا، فقد جلستُ على ركامِ الحياة أتأمَّلُ وجوهاً لا  
تُشبهُني وفي داخلِ الرُّوحِ غربةٌ عميقةٌ وصقيعٌ يأكلُ قلبي ببطءٍ لا  
ينفكُ عن تذكيري بأنِّي لا أنتمي إليها وإنما إليكِ فحسب.

صورتكِ في هاتفي أتأمَّلُها كتعويذةٍ قبل النَّومِ، وأتلو كلماتِ الحبِّ  
عليها وأمسحُ عنها غبارِ الحنين. أتأمَّلُ هشاشةَ قلبكِ وألمكِ على  
فراقِ اخترتهِ رغماً عنكِ، ثمَّ إنَّكِ لم تقنعي نفسكِ فحسب بل  
أقنعتني أنَّ الإنسانَ مخيرٌ في الفراقِ ومسيرٌ عند اعتناقِ الحبِّ،  
فالحبُّ لم نختره بإرادتنا، بل سرنا معه مغمضي الأعين حتَّى  
وقعنا في فخِ السُّهدِ والأرقِ، وقعنا معاً وطال مكوئنا هناك حتَّى  
أيقنا أنَّ النِّهايةَ قادمةٌ لا محالة، وأنَّه قد وجب علينا بترُها كي لا

نخاف ونموت قهراً، فاخترنا ما اخترناه مرغمين، وهكذا رحلتِ  
دون أن تتركي لي شرف وداعك.

مازالت صورتك في ذاكرتي أحناً عليك مني، ومازالت عيوني  
تتأملُ الغرباء بحثاً عن بريق عينيك، ومازال صدى صوتك  
هامساً في أذني يمنعي من سماع الجميع، يسرقني منهم ليبقيني  
في عالمك غارقاً بانتظارك وأنا أعرفُ أنك كغيث الصيف لن  
تأتي.

مع أنني أعلمُ أن ما يُصيبني يُصيبك أضعافاً لكُنك لن تنحني وأنا  
في المقابل مكابرٌ لن أرجع.

إذن، كلانا سنبقى نعول على أحدهما أن يكسر جدار الصمت.  
انتهى الكلام، وليس ثمّة ما أودُّ قوله سوى أننا فشلنا، ووجب  
الاعترافُ بذلك. لذا، لا تدّعي المكابرة وأنت تهوين في وادٍ  
سحيق. أراك وانتظرُ منك أن تعترفي بهذا الفشل، ألمسُ الملك من

كتابَاتِكِ. يا عزيزتي، إن كنتِ تظنّين أنّي أعرفكِ الآن فأنتِ  
مخطئةٌ في ظنّكِ؛ لأنّي أعرفكِ منذُ سنين خلتِ.

مرّت سنونٌ عدّةٌ لم نكن فيها معاً، لكنّي استطعتُ أن أقرأ ما بين  
سطوركِ من كلماتٍ ظلّت عالقةً في ذكرياتِكِ. أفهمُكِ أكثرَ من  
نفسكِ، وقد حاولتُ جاهداً مساعدتكِ على تخطّي الأمرِ بسهولةٍ  
ويسرٍ، لكنّكِ كنتِ جامدةً ثابتةً في مكانكِ مطأطأة الرأسِ، وقد  
غلبكِ العنادُ فأوقعتني وأوقعتِ نفسكِ في حفرةٍ لا مناصَ منها،  
وإذا ما خرجتُ ساكونٌ ملوئاً بخداكِ، وحينها ستعلنين انتصاركِ  
على جرحي وستقيمين الأعراس فرحاً بيتمي الجديدِ.

سامضي بعيداً عنكِ رغم أنّي لن أنساكِ، فاسمُكِ في القلبِ قد نُقشَ  
وحُفر، ولا سبيل للخروج من مأزقِ حبِّكِ سوى بالموتِ المُحتمِّ.  
أمّا أنتِ فستتعرّفينِ غيري وسأصبحُ في قائمة الأشخاصِ  
المحظورين المطرودين من رحمتكِ، ستقصّين لغيري أخباري،  
وستتعتنيني أمامه بالأبله الذي أحبُّكِ بقوةٍ فأوجعتِه بشدّةٍ أكبرِ.

ستقصين الحكايات ثم ستقفين وتنفضين غبار الذكريات العالقة  
بك، ستأوهين ثم ستقولين بابتسامة:

- "كان ذلك من الماضي".

كم شخصٍ تحتاجين كي تنسيني! لن تجدي مثلي مهما بحثت، لن  
تجدي مثيلاً لي في عشقي لروحك قبل جسدك. كنتُ شخصاً  
ضحى كُرمى لكِ بينما لم تمشي خطوةً واحدةً نحوي، فقد اخترتِ  
البقاء في المنتصف، وستبقين كذلك إلى أن ينتهي أجلك، ستمرُّ  
عليكِ السُّنُونُ وأنتِ هيكَلٌ عظيمٌ، وستمرُّ النُّسُوءُ بالقرب منكِ  
فنتقول:

- "قد أحببت ذات يومٍ لكنّها رفضت الوصول إلى ذروة الحبِّ،  
وفضّلت البقاء هنا ما بين الجنّة والنّار!".

آدم: ليس البعدُ ما يُسبِّبُ الجفاء.

حواء: إذن، ما سبب الجفاء؟

آدم: إنّما هي القسوةُ في التّعامل.

حواء: ربّما الأفعالُ السّليبيّةُ أيضاً.

آدم: الحزنُ المتواصلُ وكأنّك تُعاقبين المحبَّ بذلك.

حواء: مثلكَ تماماً.

آدم: حينما أشعرُ بأنّ وجودي لا يُشكّلُ أيّ فرقٍ عن غيابي.

حواء: وجودك هو الأهمُّ في كلّ شيء.

آدم: تكرارُ الخذلانِ يُسبِّبُ الجفاء أيضاً.

حواء: وتكذيبُ المحبِّ وعدمُ تقديره أيضاً.

كانت عثرةً لا تُغفَرُ حين أشعلتُ أمامك شموعي جميعها كي  
تخطو نحوي بسرعة البرق، ولم أترك شمعةً واحدةً تُعيدني إلى  
نفسي. أطلت الطريق وأنت تتلقفت خلفك خائفاً حذراً، وأبطأت  
المسير وسلكت دروباً أخرى متعرجةً، ثمَّ عدتَ تمشي في  
الطريق المنير الذي أنرتُهُ بنفسِي.

قد طال سفرك وطالت ليالي المظلمة حتى انطفأت آخرُ شمعةٍ،  
ولكن لم تصل. بقيتُ في ظلامٍ ظلك أنتظرُ قدومَ نهارٍ أستضيءُ  
بنوره، فطال ظلامُ الليل وبقيتُ في العتمة وحدي أندبُ بقايا  
الشمع المحترق، فيا ليتني خبأتُ شمعةً واحدةً تُعيدني إليّ.

استعجلتُ تحقيق الأحلام وكانت الحياةُ لحبنا بالمرصاد، فكانت  
تؤجّلها على الدوام، ولم تكن نعرفُ في حينها أنّها على صواب؛  
لأنّ الخيرة دوماً في ما اختاره الله.

في كلِّ خصامٍ لنا تهربُ إلى البعيد، ثمَّ تعودُ إلى حضني. أقول في سرِّي:

- "وصل خصامنا إلى حدٍّ أنَّ كلينا بدأ بتوجيه اتِّهاماتٍ بشعةٍ إلى الآخر، وهكذا لن نعود بتاتاً".

ثمَّ نعودُ بعد أيَّامٍ لكن ليس كما كُنَّا، ففي كلِّ مرَّةٍ ينكسرُ شيءٌ لا نستطيعُ لملمته، ويبقى هناك جزءٌ ناقصٌ لا نصل إليه، وهو ما ذكَّرني بلعبة التَّركيب (البازل)؛ إذ قلتُ لك ذات مرَّة:

- "إنَّ أعطيتُك القطع كلَّها كي تُركِّبها وتُعطيني لوحةً جميلةً فظهر لك أنَّ ثمَّةَ قطعةٍ مفقودةٍ لم تنتبه لها إلاَّ بعد أن أوشكت على الانتهاء من تركيب القطع كلَّها، لا بُدَّ أنَّك ستبحثُ عنها، ثمَّ ستطلبُ مساعدتي كي أفتِّشَ عنها معك. ستسألني أسئلةً عدَّةً بهدف الوصول إلى القطعة المفقودة، فلعلِّي خبَّأتها في مكانٍ ما ونسيئها. ولكن، القطعة لا يُمكنها أن تتوه عن إخوتها، فهي معاً على الدوام في خزانة الثَّياب.

وفي النهاية ضاعت كما حدث لذاكرتي، القطع التي وجدتها هي  
الأحداث التي تلوتها، والقطعة المفقودة هي التفاصيل الضائعة".  
أترحل بسبب قطعةٍ واحدةٍ مفقودةٍ، وتنسى كل ما في حوزتك من  
قطع؟!!

لا تُبحر بعيداً عني، سأكتفي بالوقوف على الشاطئ لأحدث  
النوارس عنك وعمّا فعلته بقلبي وما فعله القدر بنا. لا تدفعني إلى  
الإبحار بحثاً عنك، فأنا لا أعرفُ العومَ، وسأغرقُ في بحر  
الشوق وعذابه، وهكذا لن أصل إليك؛ لأنك ستكونُ تائهاً في  
جزيرةٍ أخرى باحثاً في الوجوه عن وجهٍ يُشبهني بينما أنا خلفك  
أبحثُ عن ظلك بين الظلال.

زاحمني كيفما شئتَ، ولا تترك مجالاً لغيرك كي يمتلكني  
ويضمّني إلى إنجازاته، فأنا أريدُ أن أصبحَ أعظم انتصاراتك  
وأهم إنجازاتك وأجمل ممتلكاتك. لا تدعني أذهب إلى غيرك حتى  
يُطفئ ناري، فلربّما حولني إلى دخان ملوثٍ ورمادٍ مُضربٍ بالحياة.

عُدُّ كما كُنْتُ، فقد كرهتُ تحوُّلاتِكَ غيرَ المنطقيَّةِ. لا تلزم  
الصَّمْت، أخرسِ كلَّ الآهاتِ المنبعثةِ من قلبِكَ، وأنكرِ ما أصابَكَ  
منِّي، فلم يكن بقصدٍ منِّي.

واستعدِّ لكتابةِ روايةٍ تروي حبَّنا بألفِ حكايةٍ وحكايةٍ.

آدم: أنهزمُ دائماً أمام حبِّك؛ لأنَّ قلبي يقفُ في صفِّك دائماً.

حواء: إذن، دعنا نعدُّ كما كُنَّا.

آدم: وتعود اللقاءاتُ التي طالما جمعتنا.

حواء: نعم، ونتحدَّثُ عن حالنا طوال الوقت.

آدم: وأطربُ لسماع نغم صوتك.

حواء: ونرى بعضنا كثيراً، وإن كان من خلف الشاشات، فذلك

سيُسعدنا.

آدم: كما في المنام حين التقيتُك في الزُّحام بصدفةٍ من الأحلام.

حواء: اروي لي ما حصل.

آدم: كان حلماً بريئاً، سؤالٌ عن الحال ثمَّ سلام.

حواء: وماذا عن لمعة العيون؟

آدم: قد قالت كلّ ما خفي عند اللقاء.

حواء: ليت الفراق يأتي في المنام، وليت اللقاء تختاره الأقدار

لواقع يتبدّل ويتغيّر باستمرار.

آدم: كُنْتُ أَضْحَكُ بِالرَّغْمِ مِنْ ظُهُورِ الدَّمْعِ فِي عَيْنَيْ وَأَصْمْتُ  
وَفِي فُؤَادِي كَدَمَاتٌ تَتَكَلَّمُ. جُرِحْتُ كَثِيرًا مِنْ مَحْبُوبَتِي لَكِنِّي  
اكتشفتُ فِي النِّهَايَةِ أَنِّي عَشَقْتُ مِنْ لَيْسَ لِي. وَمَعَ ذَلِكَ نَسِيتُ  
الجراحَ وَرَكَضْتُ وَرَاءَ الأوهامِ، فَالتفتُ إِلَيْكَ بِقَلْبٍ مُحِبٍّ لَمْ يُرَدِّ  
سِوَاكَ. حَاوَلْتُ التَّكَلُّمَ فِي غِرَامِكَ، وَلَكِنْ عَجَزَ لِسَانِي عَنِ التَّعْبِيرِ  
فَأخْرَسَتْهُ حُرُوفُ الحَبِّ.

لَقَدْ تَسَلَّلْتُ إِلَى دَاخِلِي كَلِصَّةً مَحْتَرِفَةً، وَسَرَقْتُ قَلْبِي فَتَنَفَّسْتُ  
هَوَائِي. بَدَأْتُ تَرِينَ الحَبَّ بِعَيْنِي كَمَا نَبِضَ قَلْبُكَ بِاسْمِي شَهُورًا  
كَثِيرَةً. أَمَّا أَنَا فَفَقَدْتُ شَعْرَتِي بِجَسَدِكَ وَبَدَأْتُ أَنْطِقُ حُرُوفَكَ دُونَ أَنْ  
أَدْرِي أَنَّكَ أَصْبَحْتَ كُلَّ حَيَاتِي، وَمَعَ هَذَا الحَبِّ كُلِّهِ ااكتشفتُ أَنَّكَ  
سِرَابٌ فَحَسْبُ.

حواء: عَش في الحقيقة والواقع، واترك الوهم والأحلام. قد  
حلمت بامرأة مثاليّة تعيشُ مع الملائكة، واكتشفت أنّي أنثى من  
لحمٍ وماءٍ وأنّي لستُ ملاكاً كما لستُ شيطانة. أنا امرأةٌ يا آدم،  
وكيف ستُسعدُنِي وأنتَ لم تفهم أحزاني؟

آدم: لا أعرفُ نيتك بالرَّغم من أنّي شعرتُ بها في معظم  
الأحيان، فما يضيرك إن كنتِ ملاكاً كما الرواية التي اخترعها  
قلبي برفقة عقلي وخيالي؟

ليتكِ ترحلين فتأتي تلك المرأة التي أحببتها لا أنتِ التي حطمتِ  
قلبي وضربته بالفأس، وبضربةٍ واحدةٍ صار أشلاءً، فما عادت  
تؤثّرُ فيه ندوب الدُّنيا كلّها.

حواء: ليتني أستطيعُ التَّنكُّرَ لإسعادك، لابتسمتُ لكِ وفي عينيّ  
بريقُ الكيد قد اجتمع، ولبكيّتُ مع حزنك وقلبي يُهلُّ فرحاً

لْمُصِيبَتِكَ. لِيَتَّنِي كُنْتُ امْرَأَةً لِعُوبَاءَ، لَكُنْتُ فَزْتُ بِحَبِّكَ وَلِتَوَجَّتَنِي  
حِينَهَا عَرُوساً عَلَى عَرْشِ قَلْبِكَ. لِيَتَّنِي أُجِيدُ اللَّعْبَ عَلَى أوتارِ  
الْقُلُوبِ وَالْبَحْثَ عَنِ الْمَظَاهِرِ وَالْمِصَالِحِ. لِيَتَّنِي أَسْتَطِيعُ اللَّعْبَ  
عَلَى خَمْسِينَ حَبْلًا مِثْلَ الْكُذْبِ وَالْخِيَانَةِ وَالْخِذَاعِ، لَكُنِّي وُلِدْتُ  
بِوَجْهِ وَاحِدٍ، وَبِعَفْوِيَّةٍ عَشْتُ الْحَبَّ بِأَكْمَلِهِ مَعَكَ.

لَمْ أُتَقِنَنَّ اللَّعْبَ بِقُلُوبِ الْآخَرِينَ، لِذَا لَمْ أَرْضِكَ وَلَنْ أَرْضِيكَ  
أَبَدًا، وَلَوْ أَنِّي امْتَلَكْتُ عَشْرِينَ وَجْهًا لَكُنْتُ مِنْذُ زَمَنِ زَوْجَتِكَ.

آدم: وَخِذَاعُكَ؟ وَحَلْمُنَا الَّذِي بَنِينَاهُ مَعًا حَجْرًا يَعْלוهُ حَجْرٌ؟ لَقَدْ  
سَقَطَ مِنْ بَيْنِ أَنْامِلِي مَا بَيْنَ لِحْظَةٍ وَأُخْرَى، فَرَأَيْتُهُ يَتَلَاشَى بَيْنَ  
يَدَيْكَ بِغَبَائِكَ وَعِنَادِكَ.

حواء: ابقَ لِي هَدَنَةً لَا تَنْتَهِي، مَرِحَلَةَ سَلَامٍ خَالِدَةٍ، بِحَيْثُ يَنْقُضِي  
العَمْرُ وَلَا تَنْقُضِي. لَا تَكُنْ حَرْبًا مَدِيدَةً تَسْرِقُ مَنَّا الْقَلْبَ وَالرُّوحَ،  
فَأَنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ بِقَلْبِ طِفْلَةٍ مُشْتَاقَةٍ لِأَبْوَتِهَا الْمَسْلُوبَةِ مِنْهَا، ثُمَّ رَحَلْتُ

عناك بقلب عاشقةٍ منقطرةِ القلب منكسرةِ الرُّوح، فعن أيِّ حلمٍ  
تتحدّثُ وحلمنا واحدٌ لا يتجزأ؟!!

آدم: سأعتزلُ في وحشةٍ تذبحني، فهي ستكونُ أحنَّ عليَّ من قلبٍ  
ظننتُهُ بيتَ أمانٍ بينما عدّني مقعداً خشبياً مهترناً على رصيف  
الأمل والذكريات.

حواء: من خلف الشاشة أفصحتُ لك عن مشاعري في جوف  
الليل، أرسلتها برسالة نصّيةٍ وعيوني بالدمع قد امتلأت، كتبْتُها  
بأصابعٍ ترتجفُ خوفاً من الفراق وبقلبٍ يُطلقُ نبضاته بسرعة  
وكأنه سيخرجُ من مكمّنه ليهرول إليك. لقد خرجت أحاسيسي  
تنشدُ حبك وأنا التي لطالما تمنّيتُ لحظاتِ الحبِّ وخشيئها. ها قد  
أتيتني على بساطٍ من ولهٍ، فهجرتَ قلبي والغرام. لقد أبكيتني ليالٍ  
كثيرةً حتّى تحجّرتِ الدّمة في مقلتي مرّاتٍ عديدةً ثمّ خضعتُ  
للنّصيب غيرِ راضيةٍ به، فإنّما هو القدر.

آدم: مازلتُ أكتبُ لكِ عن عتابي المتواصل، إلا أنّي لم أجد إلى  
الآن له صدى في قلبك، كما أنّك لم تكتبي عني سوى الملامة. إنّنا  
تمنينا اللقاء معاً واعترفُ لكِ بأمنيّتي، لم أكتم الاشتياق، وقلمي  
هو من عزف لحن الحبِّ وGRAMه، والنَّفْسُ قد طربت لنغماته.

حواء: سأظلُّ على عهد حبّنا، يا من ناديتُك كلَّ نهارٍ فلم تلبي  
النِّداء. قد ناديتُك وأخبرتُك أنّا ابتعدنا قبل الاقتراب وقبل اللقاء،  
قبل العناق وقبل ملامسة الأيدي. صحتُ باسمك بحبٍّ أوجعني،  
فلم نقرب ولم نبتعد.

ارسمني يا صديقي، وألّف عني روايةً تصفُ الحبَّ الذي أحال  
العينين ناراً حمراءَ شديدةَ اللّهب، وأنا سأروي قصّتنا بإحساس  
يتيمٍ فقد الحبَّ في لحظة، وسأملأ الدفاتر باسمك وسألونها  
بمشاعر الحبِّ الأربع والعشرين، فأنا قد أحببتُك بقربك مثلما  
أحبتُك رغم بعد المسافات وطولها.

آدم: سأدوّن ما حصل بيننا من حبّ وخصامٍ وأفراحٍ وأحزان،  
وسأحيلُ أصابعَ يديّ إلى اللون الأزرق الدّاكن، وسأكتبُ عنكِ  
مجلّداتٍ تُوفيكِ حقّكِ من الحبّ، وإن لم أنصفه أنا ستنصفه  
الأقلام. لا تنسي ظلمكِ لي بابتعادكِ وإغفالكِ الحقيقةَ المختبئةَ في  
خزانةِ ذاكرتكِ السّريّة.

حواء: حين تتوقّفُ عن لعب دور الضّحيّة في الحياة فاعلم أنّك قد  
وضعتَ خطواتك في الاتجاه الصّحيح، فسلامٌ لك يا عظمةَ الحبّ  
وأملهُ، وسلامٌ عليك يا نورَ الأمل، يا من افتترقتُ عنه قبل اللّقاء  
وقبل العناق والقبلات، يا من أحببتهُ بكلّ جوارحي.

وإلى لقاءٍ يكتبهُ لنا القدرُ، وحينها سنكونُ في قائمة الغرباء بعد أن  
مررنا بمراحل الحبّ كلّها. ها قد عُدنا إلى ما قبل البداية وكأن ما  
كان حلمًا لذيذاً صحوّنا منه على نصيبٍ يرفضُ لقيانا.

آدم: وداعاً، حبيبتي، وستبقين حبيبتي إلى الأبد.

وداعاً يا بسمة الربيع وسعادة الأيام، يا أجمل ضحكةٍ أطلقتها

معك.

وداعاً يا أظهر حبّ عشتُهُ.

وإلى اللقاء يا آخرَ قطرةٍ دمعٍ أسكبُها.



إليكم أكتب..

أحببتها أكثر من أي شخص عرفته؛ إذ كانت روعي، والروح لا تتبدل. كانت قلبي ومسكني وأمني وحياتي كلها، وقد أدخلتها عالم الحبّ وعلمتها الخطوات الأولى. زينت لها أطلال الغرام بالعشق والوجد والنجوى، وأعطيتها ما تمنّت وحلمت، فكنّت لها كالظّلّ، كما قد رسمت الابتسامات على ثغرها.

مارسنا معاً الحبّ على نغمات السعادة، فتلهفنا للقاء يطول ويطول. مارسنا الجنون وعشنا الألم. أريتها القلب الفارغ الذي وشمته فوق قلبي، كان فارغاً طيلة أعوام، وقد أقسمت بعهود كثيرة بالألا يمتلئ القلب إلاّ بها.

ولكن! لقد أتعبتني كثيراً وأدخلتني العناية المشددة مرّاتٍ عدّة مع أنّي لم أطلب منها شيئاً سوى لحظة صدقٍ واحدةٍ سواء في الماضي أو الحاضر.

حديثٌ طويلٌ تروي به ما حصل معها بشكلٍ مفصّلٍ كان كفيلاً  
لتصبح زوجتي أمام الله وأمامكم. هذا مطلبي، ولا أريدُ عنه.  
علاوةً على ذلك ألا تُهملني، فأنا رجلٌ، والرجلُ يرغبُ بحبيبته  
طوال الوقت. إنني أحتاجُها على الدوام، فهل هذا كثيرٌ عليّ؟

(آدم)



إليكم أكتب:

أدافع عن نفسي ضدَّ ما اتَّهمني به آدمُ زوراً وبهتاناً، فقد أتاني بعد  
انقضاء ربيع عمري. قد جاءني في خريف العمر، أتاني وأنا  
مستنزفةُ خائرةُ القوى، باردةُ المشاعر والأحاسيس، مستهلكةُ  
والقلبُ في حزنٍ دفين. جاء وللقلب ألف مفتاحٍ، ما أتعبه وأرهقه  
وهو يكسرُ الأفعال. أتاني عاشقاً ولهان في حين كنتُ هاربةً من  
الصِّبا والجوى. لقد كسرَ الأفعال وترك في القلب الخراب، ثمَّ  
نظَّف مكاناً صغيراً يأويه، ونسي تراكم الأقدار، ليجلس هادئاً  
مطمئناً.

لم يُحبِّني كما أنا بل أراد أن يُحبِّني على طريقته، فحوَّلني إلى  
كراتٍ تُلجُّ كما أراد، ووقف عند نقطة الماضي كالتمثال، ومن ثمَّ

عاندني وعاند قاموس الحبّ بأن لن يخطو خطوةً واحدةً قبل أن  
أروي له ما جرى في سالف الزّمان.

إنّي امرأةٌ مصابةٌ بداء النّسيان، وفي كلّ مرّةٍ تتعرّضُ ذاكرتي  
للطّرق والتّشويه، فأنسى تفاصيلٍ وأتذكّرُ أخرى. لم يُصدّق ما  
أخبرتهُ به بل اتّهمني بالغشّ والخداع وبأنّي شوّهتُ معالم الحبّ  
في هذا الزّمان، ثمّ إنّه لم يرحم دموعي ولم يرحم آهاتي، كان  
شديد القسوة كمنمرٍ مفترسٍ وأنا لستُ بفريسته.

(حواء)



الحبُّ وُجِدَ وإنَّا على وجوده نشهد، من شرارة الحبِّ إلى لهفته  
وجنونه وآلامه. مارسا الحبَّ وصعدا درجاته كلَّها، وإن كان قد  
سبقها بخطواتٍ لا بأس، فهي استطاعت بجهدٍ أن تتبعه حتَّى  
بلغت معه ذروة الحبِّ.

افترقا مرَّاتٍ عدَّةً وتلاقيا من بعد كل فراق، جمعهما الضحكُ في  
آن والبكاءُ في آن دون أن يصلا إلى حلٍّ يُرضيهما.

التَّفاهُمُ أساسُ العلاقات، وهو لم يفهمها، لم يصل إلى بذرة الطَّيبة  
التي بداخلها، ولا لم اختارته من بين الرِّجال بينما كان قلبها مغلقاً  
بألف مفتاح، هي التي كانت رافضةً فكرة الزَّواج، ولكن بعد أن  
رأت الحبَّ في عينيه أرادتُه لنفسها زوجاً وحبیباً، أمَّا القدرُ فلم  
يرد لها ذلك.

وهكذا لم يصلا، ولن يصلا ما دامت قناعاتهما لم تتبدَّل، فهو  
يُكابِرُ وهي لن تتحني، والعنادُ قد تملَّك الطَّرْفَيْنِ.



حواء:

أليس مؤلماً يا حبيبي أن نفرق قبل اللقاء؟

العالمُ ينهارُ ونحن لم نلتقِ بعدُ، لم تجمعي بكِ صورةً واحدةً، ولم يسمح القدرُ بلقائنا، فحالت بيننا المسافات ولم نلتقِ، لكنَّكَ ستبقى هنا في الفؤاد المتيمِّم بكِ.

إنَّ أسوأ ما في هذا العالم أن يأتي الشَّخصُ المناسبُ في الوقت غير المناسب.

آدم:

أتمنَّى شفائي منك في أقرب وقتٍ، وعليَّ أن أمتنع عن ذكرك، عليَّ أن أكفَّ عن التَّفكير بكِ، وعليَّ أن أتناسى كي أعيش.

تمَّت ٢٠٢٠/١٠/٧

من رحم الألم يُولدُ الإبداع